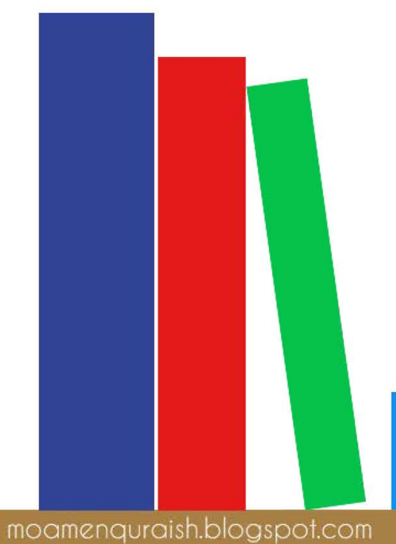


دقائق مع القرآن

الشيخ محسن قرائتي



دقـائق مـع الـقرآن

هوية الكتاب

الكتاب: دقائق مع القرآن

تأليف: الشيخ محسن قراءتي

ترجمة وتحقيق: مؤسسة العرفان للثقافةالإسلاميّة

توزيع: مؤسسة المصباح الثقافية

البريد الالكتروني: al.orfan@yahoo.com

المطبعة: دار الولاء - بيروت - لبنان

الطبعة: الأولى

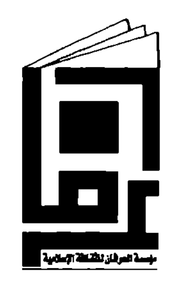
عدد النسخ المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

تاريخ الإصدار: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

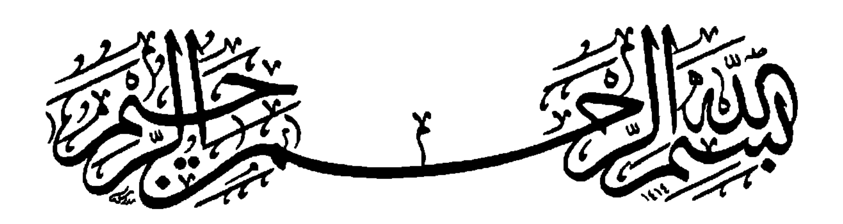


دقــائق مــع الــقرآن

الشيخ محسن قراءتي



مؤسسة العرفان للثقافة الإسلاميّة


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

كلمة الناشر

دأب أعلام المسلمين على بيان القرآن الكريم وتفسيره، متناولين آياته الكريمة من زوايا مختلفةٍ، وقد كان للبعدين الأخلاقيّ والتربويّ منه نصيبٌ كبيرٌ، إلا أنّ عرض المفاهيم القرآنيّة الأخلاقيّة والتربويّة - فضلا عن العقيديّة والفكريّة - منها بأسلوبٍ قريبٍ من فهم عامّة الناس قد ندر جداً، فما زالت مكتبتنا الإسلاميّة تفتقر إلى هذه الموارد الّتي بها حاجةٌ ملحّةٌ للفرد والمجتمع، فبهما حاجة إلى تحصيل التماسّ العمليّ مع نصوص القرآن وروحه، عن طريق التركيز على البعد العمليّ الّذي يكون موجّها حقيقياً لسلوكيّاتنا، قولا وعملا.

وهنا ما يحاوله هذا الكتاب الجليل (دقائق مع القرآن)، إذ يقودنا كاتبه - الّذي عاش أكثر من نصف قرنٍ مع القرآن الكريم، تلاوةً وتفسيراً وتطبيقًا، حتّى صار مدرسةً قرآنيّةً ناطقةً - سماحة الشيخ الأستاذ محسن قراءتي - حفظه الله - في رحلةٍ قرآنيّةٍ نستجلي بها جملةً من المفاهيم القرآنيّة ببعدها العمليّ المؤثّر في سلوكنا العامّ والخاصّ.

وينبغي لنا التنبيه أوّلاً: إلى الجانب التبليغيّ العلميّ الذي كان هو المنظور الأوّل في هذه الرحلة القرآنية والمحطّات التربويّة، وثانياً: ارتأينا تقديم بعض التوضيحات المهمّة في الهوامش، وهي قليلة جداً؛ إلاّ أنّها نافعة.

ومن دواعي سرورنا أن نختصّ بأوّل ترجمةٍ لهذا الكتاب الّذي نتوقع أن يكون له رواجُ كبيرُ في الوسطين العربيّ والإسلاميّ.

وأخيراً نسأله - تعالى - التوفيق الدائم لخدمة القرآن وحملة القرآن وأهله، كما لا يفوتنا توجيه الدعوة الصادقة لأساتذتنا الأعزّاء من أصحاب الاختصاص العالي في المجالات المعرفيّة الإسلاميّة عموماً، وفي مجال القرآن

وعلومه ولاسيّما حين يرفدوننا بنتاجهم القيّم؛ من أجل العمل على طباعته ونشره، ومنه - تعالى - نستمدّ التوفيق.

مؤسسة العرفان للثقافة الإسلاميّة

مباحث

في دقائق عِدّة



صلة الرحم

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١]

نقل العلامة المجلسي (رضوان الله تعالى عليه) في ذيل قوله (عزّ وجل): ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾[٢]، مئة حديثٍ وعشرةً في أهمّية صلة الرحم، وقد بَحَثَ تلك الأحاديث وبيّنها هناك[٣]، ونحن هنا ننقل بعض النكات المهمّة التي جاءت في تلك الأحاديث:

- صلوا أرحامكم، حتى ولو كان ذلك بمقدار شربة من ماء.
- صِلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر.
- صِلة الرحم توسع في الرزق.
- أفضل الأقدام قدم رُفعت لصِلة الأرحام وملاقاتهم.
- من آثار صِلة الرحم مقام مخصوص في الجنّة.
- صِلوا أرحامكم وإن قطعوكم.
- صِلوا أرحامكم وإن أساؤوا إليكم.
- صِلوا أرحامكم ولو بالسلام.
- صِلة الرحم تخفّف سكرات الموت وتهوّن الحساب يوم القيامة.
- صِلة الأرحام تزكّي الأعمال وتنمّي الأموال.
- أجرُ إعانة الأرحام بالمال تعادل أربعة وعشرين ضعفًا من إعانة الآخرين.
- صِلوا أرحامكم ولو بمسير سنة.
- لا يجد ريح الجنّة قاطع رحم.

---

(١) البقرة: ٢٧.

(٢) الرعد: ٢٥.

(٣) بحار الأنوار، ج٧١، ص ٨٧.

وعن أبي عبد الله عن أبيه (عليه السلام) قال: ((قال علي بن الحسين (عليه السلام): يا بني إياك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله (عزّ وجل...))[1].

آداب تلاوة القرآن

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2].

نبّه الإمام الصادق (عليه السلام) في خصوص آداب تلاوة القرآن على ثماني نكات:

١. ترتيل الآيات. ٢. التفقّه في الآيات. ٣. العمل بالآيات. ٤. الأمل بالوعد الإلهي. ٥. الخوف من الوعيد. ٦. أخذ العِبرة من القصص القرآني. ٧. العمل بالأوامر الإلهية. ٨. ترك النواهي.

وفي آخر الرواية نبّه الإمام (عليه السلام) على أن حقّ التلاوة ليس هو حفظ الآيات، أو تعلّم الحروف، أو القراءة والتجويد فقط[3].

وطبق ما جاء عندنا من روايات فإن الأشخاص الذين أدّوا حقّ تلاوة القرآن هم الأئمة المعصومون (عليهم السلام) فقط[4].

آثار الصوم وبركاته

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5].

إن من أهم آثار الصوم التقوى ومخافة الله تعالى في الظاهر والباطن.

---

(١) تفسير راهنما، وتفسير نور الثقلين.

(٢) البقرة: ١٢١.

(٣) تفسير الميزان،ج١،ص١٥٣.

(٤) الكافي، ج١، ص ٢١٥.

(٥) البقرة: ١٨٣.

إن الصوم هو العبادة الوحيدة التي يؤتى بها بخفية، فالصلاة، والحج، والجهاد، والزكاة، والخمس مثلاً يمكن أن يراها الناس، أما الصوم فلا يُرى.

وإن الصوم يقوّي إرادة الإنسان، فالشخص الذي سيطر على أكله وشربه وشهوته لشهر كامل، يستطيع أن يسيطر على نفسه أمام أموال الناس وأعراضِهم.

والصوم باعث على تقوية العاطفة أيضًا، فالشخص الذي ذاق طعم الجوع في شهر كامل يصير عنده الألم مأنوسًا عندها يحسّ بألم الجياع ومعاناتهم.

وقال رسول الله (ﷺ): ((الصيام نصف الصبر)) [١].

هنا وإن صوم العوام هو الابتعاد عن الأكل والشرب والشهوة في نهار الصوم، أمّا صوم الخواصّ فهو فضلًا عن اجتناب المفطّرات الاجتناب عن الذنوب أيضًا، وأمّا صوم خاصّة الخاصّة فهو فضلًا عن اجتناب المفطّرات واجتناب الذنوب تخلية القلب عن غير الله تعالى[٢].

الصوم يصيّر الإنسان مشابهًا للملائكة؛ إذ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون وليس لهم شهوة[٣].

آداب ضيافة شهر رمضان

قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[٤].

جاء في كتاب ((وسائل الشيعة)) رواية مفصّلة في أخلاق الصائم نقرأ فيها: ((... فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وغضّوا أبصاركم، ولا تنازعوا،

---

(١) تفسير المنار،ج٢،ص١١٧

(٢) تفسير روح البيان.

(٣) آية الله جوادي آملي.

(٤) البقرة: ١٨٥.

ولا تحاسدوا، ولا تغتابوا، ولا تماروا، ولا تكذبوا، ولا تباشروا، ولا تخالفوا، ولا تغاضبوا، ولا تسابّوا، ولا تشاتموا، ولا تنابزوا، ولا تجادلوا، ولا تبادوا، ولا تظلموا، ولا تسافهوا، ولا تزاجروا، ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة، والزموا الصمت والسكوت والحلم والصبر والصدق ومجانبة أهل الشر، واجتنبوا قول الزور والكذب والفراء والخصومة وظن السوء والغيبة والنميمة....))[1].

وإن شرط الحضور في هذه الضيافة ليس هو تحمل الجوع فحسب؛ إذ قد جاء في الحديث أن مَن لمّ يطع القادة الإلهيين، أو من يسيء لأهل بيته ولا يرحمهم، أو يتقاعس عن تأمين احتياجاته المشروعة، أو كان أبواه غير راضيين عنه، لا يُقبل منه الصيام، وحينئذٍ فلم يحقّق شرائط هذه الضيافة.

وعلى رغم أن للصيام فوائد طبّية كثيرة من قبيل دفع المواد الزائدة عن البدن، ولكن قيام السحر، وتلطيف الروح، واستجابة الدعاء في شهر رمضان شيء آخر، والمُفلس الواقعي هو من كان محرومًا من هذا الخير العميم.

تشبيه الزوج باللباس

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2].

إن في تشبيه الزوج باللباس نكاتٍ ولطائف مخفية كثيرة، من جملة ذلك:

- ينبغي للباس أن يكون - في التصميم واللون والنوع – مناسبًا للإنسان، كذلك الزوج يجب أن يكون كفء الإنسان ومتناسبًا و فكره وشخصيته.

---

(١) وسائل الشيعة، ج٧، ص ١١٩.

(٢) البقرة: ١٨٧.

- اللباس سبب الزينة والاطمئنان، والزوج والولد أيضًا سبب لزينة الأسرة واطمئنانها.

- اللباس يستر عيوب الإنسان، كذلك ينبغي لكلٍّ من المرأة والرجل أن يستر نقص صاحبه وعيوبه.

- اللباس يقي الإنسان من البرد والحر، كذلك وجود الزوج يحفظ الأسرة من الأخطار، ويجعل الأسرة في دفء من البرد.

- اللباس حريم الإنسان وستره، والعري يفضح الإنسان، كذلك العزوف عن الزواج سبب للانحراف وهو سبب لافتضاح الإنسان.

- في البرد يستفاد من اللباس الغليظ وفي الحر من اللباس الرقيق، كذلك يجب على كل واحد من الرجل والمرأة أن تكون أخلاقه متناسبة و الاحتياجات الروحية للطرف المقابل، فإذا كان الرجل متوترًا فيجب على المرأة أن تتعامل معه بلطف، وإذا كانت المرأة مجهَدة فعلى الرجل أن يتعامل معها بمداراة.

- على الإنسان أن يحفظ لباسه من الاتّساخ، كذلك على كل واحد من الزوجين أن يحفظ صاحبه من الاتّساخ بالذنوب والمعاصي.

علّة حرمة شرب الخمر

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

- الخمر بمعنى الستر؛ ولذا يقال للستر الذي تضعه النساء على رؤوسهن مراعاةً للحجاب ((خمار))، ولمّا كان الخمر قد أذهب قوّة التشخيص من العقل، فإن ذلك ستر في الواقع؛ ولذا قد قيل له خمر من هذه الناحية.

كذلك ((المَيسر)) من ((اليُسر)) بمعنى السهل، فكأن الأمر في القمار أن كل واحد من الطرفين يريد أن يأخذ أموال الثاني من دون جهد وبأيسر طريق.

---

(١) البقرة: ٢١٩.

- إن السؤال الأول للناس هو في خصوص حكم الخمر والميسر.

وإن الآية تقول في جوابهم: إن شرب الخمر والقمار من الذنوب الكبيرة، إلى جانب أنه ربما يكون لها منافع أيضًا، كما لو أن بعضهم يحصل - بزرع العنب أو بيع الخمر، أو إدارة مكان لعب القمار - على الثروة.

وقد فُصّلت الآثار والعوارض السلبية والمفاسد المضرة الفردية والاجتماعية للخمر والقمار في الكتب العلمية والتربوية.

وهنا نبيّن فهرسة عامّة عن مضار الخمر والقمار مقتبسة من تفسير الأمثل:

تقليل العمر، الآثار السلبية في الأطفال، خصوصًا إذا كانت مقاربة الرجل للمرأة في حال السكر، وانتشار الفساد الأخلاقي وارتفاع عدد الجنايات، من قبيل: السرقة، الضرب والجرح، والجرائم الجنسية، كذلك ارتفاع المخاطر والحوادث المرورية.

وقد نقل عن أحد العلماء أنه: إذا أغلقت الدول نصف حانات بيع الخمور سنغلق نحن نصف المستشفيات والمصحّات العقلية.

كذلك من العوارض السلبية للخمر والقمار: الهيجان المضر،و الأمراض العصبية، والسكتة العقلية والقلبية، وارتفاع خفقان القلب، وفقدان الشهوة للطعام، وتغيّر لون الوجه، والأمراض الجسمية والروحية، كذلك إن مطالعة الإحصاءات تفيد أن ثلاثين بالمئة من الجنايات مرتبط بالقمار.

إن للقمار أثرًا مخرّبًا في الاقتصاد، وهو يمحو نشاط العمل المفيد.

وقد أُعلن في بعض البلدان غير الإسلامية عن منع القمار لسنوات وجعله مخالفًا للقانون، كبريطانيا مثلاً في سنة ١٨٥٣، والاتحاد السوفيتي في سنة ١٨٥٤، وألمانيا في سنة ١٨٧٣.

التوحيد والمالكية الحقيقية

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[1].

- إن الله سبحانه هو المالك الحقيقي، والمالكية ومالكية الإنسان - في الواقع - ليست إلا عارية لا أكثر.

وإن مالكية الإنسان مقدّرة بعدّة أيام ومحدودة بمجموعة شرائط، تعيّن من المالك الحقيقي الذي هو الله تعالى، ولمّا كان الله هو المالك الحقيقي فلِمَ يعبد مملوك مملوكًا آخر؟!

إن الآخرين مملوكون مثلنا، ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[2].

فالطبيعة ملك الله تعالى والقوانين الحاكمة عليها محكومة له سبحانه، فيا ليت الإنسان كان قد انتفع من مِلكه ومُلكه بانتفاع أفضل.

وإنْ كان كل شيء من الله ولله، فلِمَ البخل إذن؟! هل تَرَكَنا الله خالقنا؟ ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[3].

روي أنه مرّ الإمام الكاظم (عليه السلام) بباب بيتٍ لشخص يقال له ((بشر)) فسمع صوت اللهو والطرب واللعب يعلو من ذلك البيت، فسأل جارية كانت قد خرجت من ذلك البيت: هل صاحب البيت عبد؟ فقالت: لا ليس عبداً، بل هو حرّ، فقال الإمام (عليه السلام): نعم؛ إذ لو كان عبداً لما عصى.

ولما رجعت الجارية حكت كلام الإمام لسيّدها، فتنبه على إلى نفسه وتاب من ساعتها[4].

ونُقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن أول درجات التقوى والعبودية لله هي أن لا يظن الإنسان بنفسه أنه مالك[5].

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) الأعراف: ١٩٤.

(٣) القيامة: ٣٦.

(٤) تتمة المنتهى، ص ٣٢٩.

(٥) بحار الأنوار، ج١، ص ٢٢٥.

موافقو ولاية الله ومخالفوها

قال تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

- بعض صفات موافقي ولاية الله تعالى:
- من قَبِل ولاية الله انصبغت أعماله بصبغة إلهية، ﴿صِبْغَةَ اللّهِ﴾[2].
- يتّخذ لنفسه قائداً إلهيًّا، ﴿إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[3].
- طريقه واضح، ومستقبله معلوم، وواثق بأعماله، ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾[4]، ﴿إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[5]، ﴿لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[6].
- في الحرب والأخطار متوكل على الله تعالى، ولا تخيفه القوى الأخرى، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَاناً﴾[7].
- لا يخاف الموت، ويرى القتل في سبيل الولاية الإلهية سعادة، قال الإمام الحسين (عليه السلام): ((إنّي لا أرى الموت إلا سعادةً))[8].
- لا تعني له الوحدة في العيش شيئًا حلواً أو مراً؛ لأنه يعلم أنه في عين الله، ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾[9].

---

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) البقرة: ١٣٨.

(٣) البقرة: ٢٤٧.

(٤) يونس: ٩.

(٥) البقرة: ١٥٦.

(٦) يوسف: ٥٦.

(٧) آل عمران: ١٧٣.

(٨) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ١٩٢.

(٩) التوبة: ٤٠.

- لا يتردّد عن الإنفاق والتصدّق؛ لأنه أوكل المال إلى وليه، ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[١].

- لا يؤثّر به الإعلام السلبي؛ لأنه علّق قلبه بالوعد الإلهي الحتمي، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

- كل شيء في نظره غير الله صغير، قال الإمام علي (عليه السلام): ((عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم))[٣].

- لا يتحيّر بسبب القوانين والأوامر المتعدّدة؛ لأنه لم يقبل إلا القانون الإلهي ولم يفكّر إلا به فقط، وإذا فُتحت أمامه مئات الأبواب فلا يختار منها إلا ما كان موافقًا للمعيار الإلهي الذي عيّنه الله سبحانه، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[٤].

وأمّا مخالفو الولاية الإلهية فهم محرومون من هذه البركات ويعيشون في ظلمات بعضها فوق بعض.

المباهلة

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٥].

لفظة ((نبتهل)) مشتقة من مادة ((بهل)) التي بمعنى نشر اليد وفتحها ورفعها باتّجاه السماء للدعاء[٦]، وقد عُرفت هذه الآية لوجود هذه اللفظة فيها بآية المباهلة،

---

(١) البقرة: ٢٤٥.

(٢) الأعراف: ١٢٨.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٣.

(٤) المائدة: ٤٤.

(٥) آل عمران: ٦١.

(٦) لسان العرب ، مادة (بهل)، ج١١، ص٧١.

يعني تضرّع مجموعتين متخاصمتين إلى الله تعالى وطلب اللعنة منه على المجموعة المقابلة التي هي باطلة الاعتقاد من وجهة نظر الطرف الآخر[١].

ونقرأ في تفاسير الشيعة والسنة وبعض كتب الحديث والتاريخ أنه في السنة العاشرة من الهجرة ذهب عِدّة من الأشخاص وبأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى منطقة ((نجران)) لتبليغ الإسلام هناك، شكّل نصارى نجران من جانبهم أيضًا مجموعة من ممثّليهم وأرسلوهم إلى المدينة لمحاجّة نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله)، فوقعت هناك المحاجّة والمناقشة، ولكن نصارى نجران أنكروا على النبي الأكرم وتردّدوا في أحقيّة الإسلام، فنزلت هذه الآية مخاطبة النبي (صلى الله عليه وآله)، فلما سمع نصارى نجران ذلك من رسول الله أخذ ينظر أحدهم إلى الآخر متحيّرًا، فطلبوا الإمهال ليفكّروا بالأمر ويتشاوروا فيه، فقال لهم كبيرهم: اقبلوا المباهلة وإذا رأيتم أن محمداً قد جاء لها برفع الصوت والضوضاء وجمْع كبير من الناس فلا تقلقوا ولا تخافوا، ولكن إذا جاءكم مع أفراد قلائل فلا تباهلوا واركنوا إلى المصالحة والسلم.

وفي يوم المباهلة رأوا أن نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) جاء مع صغيرين وشاب واحد وامرأة، وكان الصغيران هما الحسن والحسين (عليهما السلام)، وذلك الشاب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأمّا المرأة فكانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت النبي (صلى الله عليه وآله).

فقال أسقف النصارى: أنا أرى وجوهًا لو أنها طلبت من الله أن يزيل الجبال لأزالها، إذا باهل هؤلاء الأشخاص لم يبق نصراني واحد على وجه الأرض، لذا قد أعلنوا الانصراف عن المباهلة واستعدادهم للصلح، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((والذي بعثني بالحقّ نبيًا لو فعلوا لاضطرم عليهم الوادي نارًا))[٢].

وقد جاءت هذه الحادثة – فضلاً على إلى تفاسير الشيعة - في مصادر أهل السنة[٣].

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن.

(٢) تفسير مجمع البيان، مناقب ابن المغازي، ص ٢٦٣.

(٣) تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير)، تفسير الالوسي، تفسير المراغي، تفسير روح البيان، تفسير المنار، تفسير ابن كثير، في ذيل الآية المذكورة آنفاً، كذلك جاءت في كتاب الكامل لابن الأثير، ج٢، ص ٢٩٣، مستدرك الحاكم، ج٣، ص ١٥٠، مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص ١٨٥.

يقول العلامة الطباطبائي: اتفق على نقل واقعة المباهلة واحد وخمسون فرداً من الصحابة[١].

وأورد صاحب كتاب ((إحقاق الحقّ)) اسم ستّين فرداً من كبار أهل السنة وعلمائهم من الذين قالوا أن هذه الآية دالة على عظمة النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)[٢].

ووافق يوم المباهلة الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين من شهر ذي الحجّة، وكان محلّها في أيام النبي (صلى الله عليه وآله) خارج المدينة، التي صارت الآن جزءاً منها، وقد بُني هناك مسجد باسم ((مسجد الإجابة)) يبعد عن مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) كيلو مترين تقريباً، (اللهم ارزقنا زيارته وشفاعته).

وطبق الرواية التي جاءت في تفسير الميزان فإن المباهلة لم تكن خاصّة بالنصارى، فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد دعا اليهود أيضًا للمباهلة.

ولم تكن المباهلة خاصّة بزمن النبي (صلى الله عليه وآله)، بل - وطبق مفاد بعض الروايات - فإنه يمكن للمؤمنين الآخرين المباهلة أيضًا، وقد أمر الإمام الصادق (عليه السلام) بذلك[٣].

وإلى جانبِ أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يستطيع أن يباهل النصارى بمفرده من دون مشاركة علي، وفاطمة، والحسن والحسين (عليهم السلام)، لكن الله تعالى ورسوله أرادا بهذا العمل أن يفهمونا أن هؤلاء الأشخاص أنصار الرسول وشركاؤه في الدعوة للحقّ والهدف، وكانوا إلى جانبه مستعدّين لمواجهة الخطر ومواصلة حركة الرسالة ومسيرها.

وقد ينقدح سؤال وهو: لم يكن في هذه الواقعة من النساء إلا فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) فلِمَ استعمل القرآن كلمة (نساءنا) بصيغة الجمع؟

---

(١) تفسير الميزان، ج٣، ص ٢٥٧.

(٢) إحقاق الحقّ، ج٣، ص ٤٦.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج١، ص ٣٥١؛ أصول الكافي، ج٢، باب المباهلة.

ويكون الجواب: هناك في القرآن موارد متعدّدة يذكر فيها الله تعالى شخصًا واحدًا بصيغة الجمع، من ذلك الآية ١٨١ من سورة آل عمران، إذ إن الذي قال ﴿إن الله فقير﴾ - هناك- هو شخص واحد، ولكن القرآن يقول بصيغة الجمع: ﴿الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾[١]، كذلك قال القرآن بشأن النبي إبراهيم (عليه السلام): ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[٢]، مع إنه كان فردًا واحدًا لا أكثر.

أفضل الأمم

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣].

أشير في هذه الآية إلى مرحلة عامّة من مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي تشتمل على شرائط ونكات، منها:

١. إن أفضل الأمم لا يقاس بالشعار، بل بالإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ... تَأْمُرُونَ...﴾.

٢. لا خير في الأمّة الساكتة الخائفة، ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ... تَأْمُرُونَ... وَتَنْهَوْنَ﴾.

٣. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمٌّ إلى الدرجة التي يكون فيها العمل بذلك معيار امتياز الأمّة، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾.

٤. يتحقّق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الصورة التي يكون فيها المسلمون أمّة، يعني أن تكون لهم حاكمية، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾.

٥. إن المسلمين مسؤولون عن إصلاح كلّ المجتمعات البشرية، ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

---

(١) آل عمران: ١٨١.

(٢) النحل: ١٢٠.

(٣) آل عمران: ١١٠.

٦. إن الأمر بالمعروف من دون محاربة المنكر قليل النتيجة، ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

٧. يجب على كل فرد من أفراد الأمّة أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وحتى البنت التي في سن التاسعة لها حقّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تجاه رئيس الجمهورية، ﴿تَأْمُرُونَ... تَنْهَوْنَ﴾.

٨. لا دخل للسنّ، والمنطقة، والقومية، والعلم، والموقع الاقتصادي والاجتماعي في الأمر بالمعروف، ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ... تَأْمُرُونَ... وَتَنْهَوْنَ﴾.

٩. ينبغي للمسلمين أن يأمروا وينهوا من موضع القدرة، لا الضعف والالتماس، ﴿تَأْمُرُونَ﴾.

١٠. إن الأمر بالمعروف مقدّم على النهي عن المنكر، ﴿تَأْمُرُونَ... تَنْهَوْنَ﴾.

١١. يمكن للأمر والنهي أن يكونا مؤثّرين إذا كانا مستندين إلى الإيمان، ﴿تَأْمُرُونَ... تَنْهَوْنَ... تُؤْمِنُونَ﴾.

الشهيد والشهادة

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١].

نحن - ووفق مبنى القرآن الكريم الذي يعدّ الشهداء أحياء - نسلّم على شهداء طريق الإسلام وبالخصوص شهداء كربلاء، ونخاطبهم ونتوسّل بهم.

عندما وضعت معركة أحد أوزارها نادى أبو سفيان: إن هؤلاء السبعين من قتلى المسلمين في أحد عوض عن السبعين من قتلانا في معركة بدر، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:

---

(١) آل عمران: ١٦٩

قتلانا في الجنّة، وقتلاكم في النار[١].

الشهيد والشهادة في الروايات

١. ورد في الروايات أن للشهيد سبع خصال معطاة من الله تعالى، وهي هذه:
إن أول قطرة من دمه موجبة لغفران ذنوبه، يضع رأسه في حضن الحور العين، يتجمّل بلباس الجنّة، يتعطّر بأفضل العطور، يشاهد مكانه في الجنّة، يمكن له التجوال في كل الجنّة، يرفع عنه الستر فينظر لوجه الله تعالى[٢].

٢. سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحد المسلمين يقول: ((أسألك خير ما تُسأل))، فقال: إن استجيب دعاؤه لرزق الشهادة[٣].

٣. ورد في رواية أخرى: إن فوق كل خير خيراً إلا الشهادة فلا يتصور فوقها خير[٤].

٤. إن للشهيد مقام الشفاعة يوم القيامة[٥].

٥. روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: لا تُعرض على الشهيد خطاياه يوم القيامة[٦].

٦. مقام شهداء الصف الأول في الحرب أفضل من غيرهم[٧].

---

(١) تفسير مجمع البيان،ج٢، ص٣٢٠(إذ ورد في الرواية أنه قال لهم (صلى الله عليه وآله): أجيبوه فقالوا: لاسواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار...إلخ).

(٢) وسائل الشيعة، ج١١، ص ١٠.

(٣) مستدرك وسائل الشيعة، ج٢، ص ٢٤٣.

(٤) بحار الأنوار، ج٧٤، ص ٦١.

(٥) بحار الأنوار، ج٢، ص ١٥.

(٦) وسائل الشيعة، ج١١، ص ٩.

(٧) ميزان الحكمة.

٧. يرد المجاهدون إلى الجنّة من باب خاص[١]، ويدخلون الجنّة قبل الكل[٢]، ولهم فيها مقام مخصوص[٣].

٨. الشهيد فحسب من يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليستشهد مرّة أخرى[٤].

٩. أفضل الموت الشهادة[٥].

١٠. لا يوجد قطرة أحبّ إلى الله تعالى من قطرة دم سالت في سبيله[٦].

١١. إذا كان يوم القيامة يخرج الشهيد من قبره شاهراً سيفه تشخب أوداجه دمًا، اللون لون الدم والرائحة المسك يخطو في عرصة القيامة[٧].

١٢. أئمتنا (عليهم السلام) شهداء، وكذلك كثير من الأنبياء وأتباعهم كانوا من الشهداء، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ...﴾[٨]، وقال أيضًا: ﴿يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[٩].

١٣. الإمام علي (عليه السلام) مع تمتعه بمئات الفضائل والمناقب إلا أنه لم يقل: ((فزت وربّ الكعبة)) إلا حينما استشهد في محراب صلاته، وهو الذي كان أول الناس إيمانًا، ونام مكان النبي (صلى الله عليه وآله)، وآخى الرسول، ولم يكن لبيت أحدٍ من الصحابة باب إلى مسجد الرسول إلا بيته، أبو الأئمة وزوج الزهراء (عليها السلام)، كاسر الأصنام، وضربته يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين، ولكنه لم يقل ولا في أي واحد من هذه الموارد: ((فزت)).

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٧، ص ٨ .

(٢) المصدر السابق، ج٩٧، ص ١١.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص ٢٤١.

(٤) كنز العمال، ج٤، ص ٢٩٠.

(٥) بحار الأنوار، ج١٠٠، ص ٨ .

(٦) وسائل الشيعة، ج١١، ص ٦.

(٧) بحار الأنوار، ج٩٧، ص ١٣ .

(٨) آل عمران: ١٤٦.

(٩) البقرة: ٦١.

١٤. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش))[١].

١٥. وكان علي (عليه السلام) حزينًا بعد أن وضعت معركة أحد أوزارها؛ لأنه لم يكن من الشهداء، حتى بشّره النبي (صلى الله عليه وآله) بالشهادة في المستقبل.

١٦. يقول الشهيد مطهري في كتابه (الحماسة الحسينية): السخي يخلّد ماله، والفنان يخلّد فنّه، والعالم يخلّد علمه، ولكن الشهيد يخلّد نفسه هو[٢].

١٧. في عالَم الحيوانات أيضًا لا قيمة للخروف الميّت، ولكن الخروف الذي يذبح إلى جهة القبلة ويذكر عليه اسم الله تكون له قيمة في الشرع الإسلامي.

١٨. ثمّ إن الأعمى لا يمكنه أن يدرك معنى البصر، كذلك لا يمكن لمن يعيش في هذه الدنيا أن يدرك حياة الشهداء.

١٩. إذا كان لإنفاق المال في سبيل الله قابلية النمو إلى حد سبع مئة ضعف وأكثر فكيف بإعطاء النفس في سبيل الله؟

الزواج المؤقّت

قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٣].

إن لكلمة (مُتعة) كما للكلمات: (حج)، و(صلاة)، و(ربا)، و(غنيمة)، معنىً شرعيًا، لا لغويًا فحسب؛ لذلك لا شك - كما يقول العلامة في تفسير الميزان - في كون المراد من (اسْتَمْتَعْتُم) المُتعة.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ،ج١ ، ص٣٠٥

(٢) الحماسة الحسينية، ج٣، ص٤٠.

(٣) النساء: ٢٤.

وإتيان الأجر ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ في المتعة مرتبط بالاستمتاع ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم﴾؛ إذ لو كان المراد منه النكاح الدائم، لكان المهر لازمًا ما إنْ يُقرأ العقد، سواء كان هناك استمتاع أم لم يكن، ولكن بالطلاق قبل الاستمتاع سيكون المهر المطالب به الرجل هو نصف المهر المحدّد بالعقد.

وجملة ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ وكما جاء عن أهل البيت (عليهم السلام)[1] وهو ما عليه أكثر تفاسير أهل السنّة مرتبطة بالزواج المؤقت الذي حرّمه الخليفة الثاني، إلى جانبٍ من أنه ليس لأحدٍ الحقّ في تحريم ما أحل الله تعالى، ولو لم يُحرّم ذلك الزواج لما زنى إلا شقي كما جاء في الروايات أيضًا[2].

إن الزواج المؤقّت مشروع صحيح، ومن دون ذلك الزواج يصبح الزنا مباحًا، كما أن الزواج المؤقّت ضرورة اجتماعية، ونحن نقرأ في روايات أهل السنّة أن ذلك الزواج كان موجوداً بسبب ابتعاد الرجل عن زوجته وخروجه للحرب، وهذه الشرائط نفسها موجودة الآن.

إن المُتعة علاج لحل هذه المشكلات الاجتماعية ومانع من الفساد وله جنبته الشرعية إلى يوم القيامة.

وإن ذريعة بعضهم في منع الزواج المؤقّت هي أن القرآن الكريم طرح موضوع العدّة والإرث وحفظ الفروج في الزواج، لكن المتعة ليست كذلك إذن هي ليست زواجًا.

ولكن جوابنا عن ذلك هو:

أولاً: إن اسم الزواج يطلق على المتعة أيضًا، وثانيًا: العدّة لازمة في المتعة كما في النكاح الدائم، وبحسب قانون إرث المرأة للرجل أو بالعكس استُثنيَ في المتعة.

وفي الحقوق والإرث وأمثالها ليس هناك أي فرق بين الأبناء المولودين من الزواج المؤقّت والدائم.

سؤال: أليس الزواج المؤقّت تجميلاً لصورة الفحشاء؟

---

(١) الكافي، ج٥، ص ٤٤٨، وسائل الشيعة، ج٢١، ص ٥.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي، ج١٠، ص٤١

الجواب: كلا إطلاقًا، للأسباب الآتية:

أ: في الزواج المؤقّت تكون المرأة زوجة رجل واحد فقط.

ب: عِدّة المرأة في الزواج المؤقت خمسة وأربعون يومًا في أقل تقدير.

ج: المولود من الزواج المؤقّت كالمولود من الزواج الدائم من دون أي فرق.

سؤال: ألا يستخدم الرجال هذا التشريع استخدامًا خاطئًا؟

الجواب: من الممكن وفي كل قانون مفيد وضروري أن يستخدم بعض الأشخاص ذلك القانون استخدامًا سيّئًا، وإلا ألا يُصنع من العنب الخمر؟! وهل يمكن لنا أن نلغي سفر الحج مثلاً إذا أساء بعضهم الاستفادة منه؟!

محكمة الأسرة

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[1].

تَطرَح هذه الآية محكمة أسرية لرفع الاختلاف بين الرجل وزوجه ومنع وقوع الطلاق، ولهذه المحكمة مجموعة خصائص، منها:

١. القضاة، ويُختارون من أسرة الطرفين حتى يكونوا طالبين لخير الطرفين والتعهّد من أجلهم.

٢. لا تحتاج هذه المحكمة لميزانية مالية.

٣. الفحص عن الاختلاف سريع في هذه المحكمة ومن دون تراكم الملفات والمشكلات الإدارية.

٤. لا تصل أسرار هذه المحكمة إلى الأجانب وتبقى المسائل الاختلافية بين الطرفين.

٥. لمّا كان القضاة من نفس العائلتين فسيكونون مورد اعتماد الطرفين.

(١) النساء: ٣٥.

سُئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُواْ حَكَمًا﴾، فقال (عليه السلام): لا يستطيع الحكمان أن يحكما بالطلاق إذا لم يكن عندهما تخويل من الطرفين[1].

والآن نبيّن النكات والرسائل التي يمكن أن تستفاد من هذه الآية:

١. يجب أن يكون العلاج قبل وقوع الواقعة، وإن القلق من الشقاق والخوف من الطلاق كافٍ في التحكيم، ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾.

٢. قبل خوف الشقاق لا ينبغي لنا التدخل في حياة الناس، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾.

٣. ينبغي التخوّف من الطلاق والفراق والقلق منه، ((خِفْتُمْ شِقَاقَ)).

٤. المرأة والرجل روح واحدة في جسدين، فإن كلمة ((شقاق)) تستخدم لما فيه حقيقة واحدة تنقسم إلى قسمين.

٥. يجب أن يكون الإصلاح بين الرجل والمرأة سريعًا، فإن حرف الفاء في ﴿فَابْعَثُواْ﴾ للتسريع.

٦. تقع على المجتمع مسؤولية تجاه اختلافات الأسرة، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ﴾.

٧. تقع على الأقارب مسؤولية أكبر تجاه رفع اختلافات الأسرة، ﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾.

٨. للمرأة والرجل حقّ واحد ومتساوٍ في اختيار الحَكَم، ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

٩. ينبغي لنا أن نعتمد على أفراد من المجتمع ونقبل قضاءهم، ﴿فَابْعَثُواْ حَكَمًا﴾.

١٠. ينبغي حلّ مشكلات الناس بمساعدة ذوي المشكلات أنفسهم، ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا﴾.

١١. علينا أن لا نيأس من الصلح وأن نهتم بالمصالحة، ﴿فَابْعَثُواْ﴾.

١٢. ينبغي أن لا نقلق أكثر من الحدّ اللازم، حَكَم واحد لكل طرف كافٍ، ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

---

(١) الكافي، ج٦، ص ١٤٦.

١٣. اعتنى الإسلام بموضوع الشورى والتشاور، ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

١٤. لا تجرّوا جميع مسائلكم إلى القضاء والمحاكم، فبعضها يمكن لكم أن تحلّوها أنتم في ما بينكم، ﴿فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ﴾.

١٥. يجب حضور الطرفين أينما كان هناك كلام عن الحقّ والحقوق، ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

١٦. يجب على المرأة والرجل أن يقبلا حكم الحكام المختارين، ((فلازم اختيار الحكم قبول حكمه)).

١٧. ينبغي الالتفات في اختيار الحكم إلى إحاطته، وكتمانه للأسرار، وطلبه للصلح، ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا﴾.

١٨. أينما تحقق حسن النيّة والرغبة في الإصلاح فإن التوفيق الإلهي سيتحقق، ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا﴾.

١٩. إن القلوب بيد الله تعالى، ﴿يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا﴾.

٢٠. لا تغترّوا بعقولكم وتدبيركم، وثقوا بتوفيق الله تعالى، ﴿يُوَفِّقِ اللّهُ﴾.

٢١. إن مشروع القرآن لإصلاح الأسرة نابع من العلم والحكمة الإلهية، ﴿عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.

٢٢. يجب توفّر حُسن النيّة؛ لأن الله سبحانه خبير بدوافع الجميع ورغباتهم، ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.

طاعة أولي الأمر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1].

---

(١) النساء: ٥٩.

تشير هذه الآية إلى وظيفة الناس تجاه الله ورسوله، ومع وجود ثلاثة مراجع (الله)، (الرسول)، (أولو الأمر)، لن يصل الناس إلى طريق مسدود أبداً.

وإن طاعة هذه المراجع الثلاثة لا تتنافى و التوحيد القرآني؛ ذلك لأن طاعة النبي وأولي الأمر قبس من طاعة الله تعالى وفي طولها لا في عرضها، وبأمر الله تعالى صارت طاعة الاثنين لازمة.

وقد جاء في تفسير الأمثل عن ابن عباس أنه عندما أراد النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يذهب إلى غزوة تبوك خلّف علياً (عليه السلام) مكانه على المدينة، وقال له: ((أنت منّي بمنزلة هارون من موسى)) فنزلت هذه الآية.

في الآية المتقدّمة على هذه الآية جاءت التوصية على ردّ الأمانات إلى أهلها، وكأنّ هذه الآية تقول: إن ردّ الأمانات إلى أهلها إنما يكون في ظل طاعة الله ورسوله وأولي الأمر.

وإن تكرار أمر (أطيعوا) رمز تنوّع الأمر، فالنبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تارة يبيّن الأحكام الإلهية، وأحياناً يعطي الأوامر الحكومية، وقد كان يتمتع بمنصبي (الرسالة)، و(الحكومة)، فالقرآن تارة يخاطب النبي بقوله: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1]، وتارة يقول: ﴿**لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**﴾[2].

ولو دققنا قليلاً في القرآن لرأيناه يأمر أحياناً بـ (لا تطع)، و(لا تتّبع)، المفسدين، الضالين، والجاهلين، والجبّارين، و ...؛ وعليه فموارد (أطيعوا) يجب أن تكون في أشخاص لم يرد النهي عن إطاعتهم، ولا تكون طاعتهم في تضاد مع طاعة الله ورسوله وأولي الأمر.

وما طُرح في هذه الآية هو طاعة أولي الأمر، ولكن لم يطرح موضوع الرجوع إليهم عند النزاع، بل عُرّف الله ورسوله فقط بعنوانهم مرجع حلّ النزاع، وهذا علامة على أنه لو وقع النزاع في تشخيص مصداق أولي الأمر فيجب الرجوع إلى

---

(١) النحل: ٤٤ .

(٢) النساء: ١٠٥.

الله ورسوله في حلّ ذلك، وقد جاء في الروايات النبوية تعريف أولي الأمر وأنهم هم أهل البيت (عليهم السلام)[١].

يقول حسين بن أبي العلاء: عرضت عقيدتي في أوصياء النبي و وجوب طاعتهم على الإمام الصادق (عليه السلام)، فقال: بلى، إنه هكذا، إنهم من قال الله في حقّهم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ... وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٢].

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبةٍ له وكذلك في عهده لمالك الأشتر: (فالردّ إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والردّ إلى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرقة)[٣]، كذلك قال (عليه السلام): كل حاكم لم يعمل بحكم أهل بيت النبي المعصومين فهو طاغوت[٤].

ضرورة التدبّر في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيراً﴾[٥].

كان من التهم التي وجّهها المشركون لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أن شخصًا آخر كان يُعلّمه القرآن، ﴿يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾[٦]، فنزلت هذه الآية للجواب على أولئك.

عادة ما يحصل في كتابات البشر - وعلى امتداد مدّة طويلة - تغيير، أو تكامل، أو تضاد، وأما القرآن فإلى جانبِ أنه نزل على امتداد ٢٣ سنة وفي ظروف مختلفة من الحرب، والصلح، والغربة، والشهرة، والقوة، والضعف، ومختلف أحوال

---

(١) كمال الدين، الصدوق، ص ٢٢٢.

(٢) الكافي، ج١، ص ١٨٧.

(٣) نهج البلاغة: خطبة رقم (١٢٥).

(٤) دعائم الإسلام، ج٢، ص ٥٣٠.

(٥) النساء: ٨٢.

(٦) النحل: ١٠٣.

الزمان وعلى شخص أُمِّي، إلا أنه لم يحصل فيه أي اختلاف وتناقض وتضاد؛ وسبب ذلك هو أن القرآن كلام الله تعالى لا تعليم البشر.

وإن الأمر بالتدبّر في القرآن هو للكلّ وفي كل العصور ولكل نسل؛ وسرّ ذلك هو أن كل متفكّر وفي كل عصر سيكتشف أسراراً جديدة لم يكن السابقون قد اكتشفوها.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خصوص عدم محدودية مفاهيم القرآن: (... بحراً لا يُدرك قراره)[1].

وبالتدقيق قليلاً في الآية يمكن استفادة مجموعة من النكات، منها:

١. إن عدم التفكّر والتدبّر في القرآن مورد ملامة الله تعالى، ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ**﴾.

٢. إن التدبّر في القرآن دواء وعلاج للنفاق، ﴿**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ... أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ...**﴾.

٣. إن طريق الميل إلى الإسلام والقرآن هو التفكّر والتدبّر لا التقليد، (**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ**).

٤. لقد دعا القرآن الكريم الجميع إلى التدبّر؛ لذا إنّ فهم الإنسان يمكنه إدراك مفاهيمه، ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾.

٥. إن الظن بوجود التضاد والاختلاف في القرآن هو نتيجة النظر السطحي وعدم التدبّر والدقّة، ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ**﴾.

٦. القرآن دليل أحقيّة رسالة النبي (صلى الله عليه وآله)، ﴿**لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ...**﴾.

٧. إن وحدة الآيات وتناسقها وعدم الاختلاف في ما بينها آية على أن منبع ذلك وجودٌ حقّ غير قابل للتغيّر، ﴿**لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ**﴾.

٨. كلّ ما كان من عند الله فهو حقّ وثابت ونقي عن التضاد والاختلاف والتناقض، ﴿**لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ...**﴾.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٨.

٩. في القوانين غير الإلهية دائمًا نرى التضاد والتناقض، ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا...﴾.

١٠. الاختلاف والتغيير والتكامل لازم لنظريات الإنسان، ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا﴾.

١١. إن أفضل الطرائق لإبطال أي مذهب كشف تناقضاته وبيانها، ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

الأمانة وأنواعها

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[1].

إن من أهم علامات الإيمان الأمانة والتعامل بعدالة والابتعاد عن التمييز، ثمّ إن خيانة الأمانة علامة النفاق، وقد جاء في الحديث: لا تنظروا إلى طول الركوع والسجود، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة[2]، وقد جاء في روايات متعددة بيان المقصود من الأمانة على أنه قيادة المجتمع، التي أهلها هم أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا هو المصداق البارز للعمل بهذه الآية.

نعم، إن سعادة المجتمع تكمن في إناطة مسؤولية الأعمال بالأشخاص اللائقين لها والتعامل العادل، وإن منشأ المشكلات الاجتماعية هو تصدّي غير المؤهّلين، والقضاء الظالم.

فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من تقدّم على قوم وهو يرى فيهم من هو أفضل، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)[3].

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) الكافي، ج٢، ص ١٠٥.

(٣) الغدير، ج٨.

وتشمل خيانة الأمانة كتمان العلم، وكتمان الحرفة وكتمان الحق[١]، وسرقة أموال الناس، وطاعة القادة غير الإلهيين، واختيار الزوجة غير المناسبة والمعلم غير المناسب للولد، و... .

قال الإمامان الصادق والباقر (عليهما السلام): إن أوامر الله ونواهيه أمانة إلهية[٢].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير هذه الآية: أمر الله تعالى أن يستحفظ ما عند كل إمام عند الذي بعده[٣].

هذا، والأمانات على ثلاثة أقسام:

أ) الأمانة بين الإنسان وبين الله سبحانه، (وهي الوظائف الواجبة المعيّنة على الإنسان)[٤].

ب) الأمانة بين الإنسان وبين الآخرين، (أموال الناس أو أسرارهم عند الإنسان).

ج) الأمانة بين الإنسان وبين نفسه، (مثل العلم، والعمر، والقدرة التي هي أمانة بين أيدينا).

كيفية صلاة الخوف في الحرب

قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ

---

(١) كتمان الحق واضح، وأما كتمان الحرفة فيُراد به الصناعات التي يحتاجها الناس، كالنجارة والحدادة والخياطة، فإنَّ عدم تعليمها من لدن أصحابها عمداً يعدّه المصنّف من مصاديق الخيانة. (الناشر).

(٢) تفسير نور الثقلين.

(٣) الكافي، ج١، ص ٢٧٧.

(٤) يُنظر تفسير مجمع البيان، ج٣، ص٩٤.

أَذًى مِن مَطَرٍ أَوْ كُنتُم مَرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[1].

في العام السادس الهجري ذهب رسول الله (ﷺ) مع مجموعة من المسلمين إلى مكّة، فواجه في منطقة الحديبية خالد بن الوليد و٢٠٠ رجل كانوا معه، وكانوا يتموضعون لمنع النبي (ﷺ) من الدخول إلى مكّة، وبعد أذان بلال وإقامة صلاة الجماعة رأى خالد أن الفرصة مناسبة كي يحمل على المسلمين أثناء صلاة العصر، فنزلت هذه الآية وأخبرت النبي (ﷺ) بهذه المؤامرة، فأسلم خالد بعد أن رأى هذه المعجزة[2].

وفي هذه الصلاة - أي صلاة الخوف - تقوم المجموعة الأولى بعد نهاية الركعة الأولى بإتمام صلاتها، وأما الإمام فينتظر لتتّصل به المجموعة الثانية بسلاحها أثناء الركعة الثانية[3].

وبالتدقيق قليلاً يمكن استخراج مجموعة من النكات من هذه الآية، ومن ذلك:

١. لا تعطّل الصلاة حتى في ميدان الحرب، ولا يكون المقاتل من دون صلاة أبداً، **﴿أَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ... وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾**.

٢. يكفي في بيان أهمّية الصلاة أنها تُقام حتى لو كانت في جبهة الحرب مع العدو ولو كانت بركعة واحدة، **﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا﴾**.

٣. أثناء تزاحم وظيفتين (الجهاد والصلاة)، لا ينبغي أن تكون إحداهما فداءً للأخرى، **﴿فَلْتَقُمْ... وَلْيَأْخُذُوا﴾**.

---

(١) النساء: ١٠٢.

(٢) تفسير مجمع البيان، ج٣، ص١٤٧

(٣) هنا في مدرسة أهل البيت، حيث تُصلي المجموعة الأولى ركعتها الأولى مأمومة بالإمام، ثم ينفصلون عن الإمام ويتمّون ركعة أخرى، ويتشهدون ويسلمون، والامام قائم في الثانية، ثم ينصرفون إلى مواقف أصحابهم بعد انتهاء صلاتهم، وتجيء المجموعة الثانية فيستفتحون الصلاة، ويصلي بهم الامام ركعته الثانية، ويطيل تشهده حتى يقوموا فيصلوا بقية صلاتهم، ثم يسلم بهم الامام ، فيكون للطائفة الاولى تكبيرة الافتتاح، وللثانية التسليم. انظر: المصدر السابق: ج ٣ ص ١٧٥. (الناشر).

٤. الوعي والتنبّه لازمان في كل حال، فحتى في الصلاة لا ينبغي أن يغفل المسلم عن خطر العدو، ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾.

٥. القائد محور الوحدة والعبادة، ﴿كُنتَ فِيهِمْ... أَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾.

٦. إن من عوامل إلفة المجتمع تقسيم الوظائف والتعاون والاشتراك في عمل الخير حتى في أكثر اللحظات حساسية؛ ففي هذه الآية قسّمت ركعتا صلاة جماعة بين مجموعتين، لئلا يقع التمييز، وليكون الجميع شريكًا في عمل الخير، ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾.

٧. إن الأوامر الإلهية مختلفة بحسب الشرائط (فهذه الآية مرتبطة بصلاة الخوف مع تهديد العدو)، ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم﴾.

٨. إن صلاة الجماعة في الجبهة آية على عشق الهدف والارتباط بالله تعالى والقيادة والثبات على المبادئ، ﴿إِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾.

٩. ينبغي - في الجبهة - أن يكون تغيير مواقع الجيش سريعًا إلى درجة يمكن فيها تغيير المواقع في ظرف ركعة واحدة من الصلاة، ﴿فَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا﴾.

١٠. كلما كانت مدّة الصلاة أطول في الجبهة كانت فرصة العدو أكبر في الهجوم؛ لذا يجب الحذر أكثر، ففي الركعة الأولى يكفي حمل السلاح، ولكن في الركعة الثانية فضلاً عن حمل السلاح يجب تهيئة كلّ وسائل الدفاع، ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ... وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾.

١١. إن الله تعالى يُطلع النبي (ﷺ) على المكر الخفي للأعداء (بالالتفات إلى شأن النزول حيث كان خالد بن الوليد ينوي أن يهجم على معسكر المسلمين حين إقامة صلاة الجماعة ولكنه باء بالفشل لمّا نزلت هذه الآية).

١٢. إن الحركة مع الإخلاص سبب للإمداد الإلهي في وقت الشدّة، (نزول هذه الآية والأمر بصلاة الخوف نوع من الإمداد الإلهي أمام مكر العدو).

١٣. لا ينبغي أن تكون مراسم العبادة طويلة في الجبهة، والأعمال المانعة من الحذر والاحتراس ممنوعة هناك، ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾.

١٤. ينبغي أن لا تكون العبادة سببًا للغفلة عن العدو، ﴿تَغْفُلُونَ﴾.

الغدير في القرآن

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

بُيّن في هذه الآية مطلبان كلا على حِدة، **الأول** هو تحريم اللحم الحرام إلا في حال الاضطرار، **والمطلب الآخر** هو إكمال الدين ويأس الكفّار، وهذا القسم مستقل استقلالاً كاملاً عن القسم الأول؛ وذلك لِعدّة أدلة:

أ) عدم الارتباط بين يأس الكفّار من الدين وبين أكل لحم الميتة و عدم أكله.

ب) الروايات الواردة من الشيعة والسنة في شأن نزول هذه الآية هي في مقام بيان كون جملة ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، و﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، غير مرتبطة بالجمل السابقة واللاحقة لها - والتي هي في بيان أحكام الميتة - وهذا يشير إلى أن الجمل القبلية منفصلة عمّا بعدها.

ج) نزلت هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾ - وطبق روايات الشيعة والسنة - بعد تنصيب علي بن أبي طالب (عليه السلام) إمامًا في غدير خم.

د) وحتى في حال غض النظر عن الدلائل النقلية فإن التحليل العقلي يؤيّد المطالب السابقة؛ ذلك أن الآية بيّنت أربع خصائص مهمّة لذلك اليوم، هي:

١. يوم يأس الكفّار.

٢. يوم إكمال الدين.

٣. يوم تمام النعمة الإلهية على الناس.

---

(١) المائدة: ٣.

٤. اليوم الذي جُعل فيه الإسلام - وبعنوانه دينًا كاملاً - موردًا لرضا الله تعالى.

فإذا تتبّعنا وقائع أيام تاريخ الإسلام فلن نجد يومًا مهمًّا كالبعثة، والهجرة، وفتح مكّة، والغلبة في الحروب، و... وإلى جانبِ كل الأهمّية التي كانت لهذه الأيام إلا أنها غير واجدة لتلك الخصائص والصفات الأربع البالغة التي طُرحت في الآية، وحتى حجّة الوداع لم تكن بهذه الأهمّية؛ لأن الحج جزء من الدين لا الدين كله.

أمّا البعثة، وهي أول أيام شروع رسالة النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فلا يمكن قطّ أن يقال إن الدين اكتمل في أول أيامها.

وأما الهجرة، وهي اليوم الذي خرج فيه النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مهاجراً إلى المدينة بأمر من الله تعالى، فهو اليوم الذي هجم فيه الكفّار على بيت الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لا يوم يأسهم.

أما أيام الانتصار في حرب بدر والخندق و... فالكفّار الذين يئسوا هم فقط أولئك الذين كانوا في ميدان تينك الحربين، لا كل الكفّار، مع أن القرآن يقول: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾، أي جميعهم.

وأما حجّة الوداع حيث كان المسلمون يتعلّمون آداب الحج من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فالحج فقط كمل بتعليم رسول الله، لا كل الدين، في حين نرى أن القرآن الكريم يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ أي كل الدين.

وأما غدير خم فهو اليوم الذي فيه أمر الله تعالى بتنصيب علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) خليفة للنبي الأكرم محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وهو اليوم الوحيد الذي تنطبق عليه الأوصاف الأربعة المذكورة في الآية: ((أكملت، أتممت، رضيت، يئس الذين كفروا)).

وأما في ما يتعلق بيأس الكفّار فقد كان بسبب أنهم عندما أخفقت كلّ مخططاتهم الرامية لاتهام رسول الله ومحاربته، أو قتله كي يُمحى الدين، لم يبق لهم حينئذٍ غير الأمل بموته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فجاء تنصيب علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وأفهم كلّ الناس أن الدين لن يندثر بوفاة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؛ ذلك لأن شخصًا مثل علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

سيكون خليفة الرسول وقائد الأمّة الإسلامية من بعده، وهنا يئس الكفّار من دين الإسلام بعد أن باءت مخططاتهم بالفشل.

وأمّا إكمال الدين؛ فإنه حتى لو اكتمل وضع القوانين والمقرّرات كلّها ولكن من دون تعيين قائد معصوم كامل يقود الأمّة والمجتمع فإن تلك القوانين والمقرّرات تبقى ناقصة.

وأما إتمام النعمة؛ فإن القرآن قد بيّن أكبر نعمة، ألا وهي نعمة القيادة والهداية؛ فلو توفّي الرسول الأكرم (ﷺ) وترك الناس من دون مدير ومدبّر لشؤونهم، فسيكون حينئذٍ قد جاء بفعل لا يأتي بمثله حتى راعي الغنم! وحاشا لرسول الله (ﷺ) أن يفعل ذلك؛ فكيف تكتمل النعمة الإلهية من دون تعيين القائد الإلهي؟!.

وأما رضا الله تعالى؛ فلأنّه متى ما عُقد القانون الكامل والمنفّذ الحاكم العادل مع بعض فسيتحقّق رضا الله لا محالة.

فلو تحقّق كل واحد فقط من المقدمات السابقة - إكمال الدين، وإتمام النعمة، والرضا الإلهي، ويأس الكفّار - في يوم واحد فهذا كافٍ لأن يكون ذلك اليوم من أيام الله، فكيف والحال أن يومًا مثل يوم الغدير قد تحقّقت فيه كل تلك الأمور؟!

ولهذا عَدّت روايات أهل البيت (عليهم السلام) عيد الغدير من أكبر الأعياد، بل أعظمها.

ثم إن آثار الشيء تارة تكون مترتبة على أجزائه كلّها، مثل الصوم فإذا أفطرنا قبل الأذان ولو بلحظة واحدة فسيُعدّ باطلاً؛ لهذا قال تعالى: ﴿أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، وتارة يكون لكل جزء من أجزاء الشيء أثره الخاص، مثل تلاوة آيات القرآن، إذ إن كمالها بتلاوتها كلها، كذلك إنّ لكل قدر وجزء من التلاوة ثوابه، وتارة تكون الأجزاء بحيث لو لم يكن جزء منها موجوداً فسيكون المجموع ناقصًا، إلى جانبِ بقية الأجزاء، مثل ملاح الطائرة وسائق السيارة؛ فإن الطائرة والسيارة لا فائدة لهما حينئذٍ من دونهما.

فكذلك القيادة والولاية الحقّة؛ لأنهما تقودان الإنسان للوصول إلى الله سبحانه وتعالى، ومن دونهما فإن جميع المخلوقات والنعم الإلهية ستنقلب نِقمًا، وعند ذاك لن يصل الإنسان إلى ربه[1].

وقد طُرح في الآية (١٠٩) من سورة البقرة رغبة الكفّار في انحراف المسلمين عن طريقهم، فأمر الله تعالى المسلمين بالعفو والصفح حتى يأتي حكمه وأمره سبحانه حيث قال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فكان المسلمون ينتظرون ذلك الأمر من الله ليبأس الكفّار حتى نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾.

التغذية في الإسلام

إن الإسلام مدرسة العدل، فهو ليس كالغربيين الذين يوصون بأكل اللحم بإفراط ، ولا مثل البوذيين الذين يحرّمون أكل اللحم بإطلاق، وكذلك هو ليس مثل بعض الصينيين الذين يعتقدون بجواز أكل لحم كل حيوان وبأي شكل كان؛ حيث جاءت في الإسلام مجموعة من الشرائط والحدود لأكل اللحم، منها:

أ) لا تأكلوا لحم الحيوان آكل اللحم؛ ذلك لأنه ملوث بمختلف أنواع السموم والجراثيم الضارة.

ب) لا تأكلوا لحم الحيوانات المفترسة؛ ذلك لأنها توجِد القسوة والتوحّش فيكم.

ج) لا تأكلوا لحم الحيوانات التي يتنفّر منها الطبع الإنساني.

د) لا تأكلوا لحم الحيوان الذي لم يُذكر اسم الله عليه حين الذبح.

هـ) لا تأكلوا لحم الحيوان الميت؛ ذلك لأنه حين موته يكون دمه من أكثر الأشياء فساداً وعندئذٍ فإنه يحوي مجموعة من السموم، كذلك الحيوان الذي مات

(١) لأن جميع ما خلقه الله تعالى إنما خلقه ليوصل الإنسان إلى الكمال إن كان بطريق الحق، وإلا قاد الإنسان نحو الهلاك. (الناشر).

خنقًا، والحيوان الذي مات نطحًا، والحيوان الذي مات بسبب سقوطه من شاهق، أو مات بسبب الضرب، إذ إن مثل هذه الحيوانات لا يخرج دمها خروجًا كاملاً من جثتها؛ ولذا قد حرّم الإسلام أكل لحم مثل هذه الحيوانات.

ولم يُذكر من بين كلّ الحيوانات محرّمة اللحم إلا الخنزير؛ ذلك لأن أكل لحمه كان رائجًا آنذاك.

- قال الإمام الصادق (عليه السلام) في خصوص لحم الميتة: (ما اقترب منه أحد إلا أخذه الضعف والإعياء وقطع النسل والسكتة وموت الفجأة).

- وقد كان من عادات الجاهلية شرب الدم، وهذا العمل يؤدّي إلى قسوة القلب ورفع الرحمة منه، بحيث يصل إلى قتل الولد أو الوالدين حتّى.

وإن شارب الدم لا يعرف صديقًا أبدا[1]؛ لهذه الأسباب قد حُرّم شرب الدم، ولكن زرقه في الجسم لا إشكال فيه.

سؤال: هل ينسجم قتل الحيوانات لغرض الانتفاع من لحومها مع الرحمة الإلهية؟

الجواب: إن أساس الخلق على التبدّل والتحوّل، فالتراب يصير نباتًا، والنبات يصير حيوانًا، والحيوان يتبدّل إلى إنسان، وإن نتيجة هذه التبدّلات والتحوّلات هو الرشد والنمو[2].

الولاية لمن؟

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[3].

---

(١) تفسير الميزان، ج٥، ص١٩٦

(٢) ويمكن أن يقال أيضًا أن من رحمة الله بخلقه هو جعله بعض المخلوقات مسخّرة لبعضها الآخر، وفي ذلك يكون تحصيل كمال كل واحد منها، فكمال الحيوان المأكول اللحم - مثلا - ليس مجرد النمو والتكاثر وإنما ليكون مادة نافعة لمن سُخّر له، فيكون أكل الإنسان للحيوان من كمال الحيوان ورحمة به كما أنه رحمة بالإنسان أيضًا. (الناشر).

(٣) المائدة: ٥٥.

- جاء في شأن نزول هذه الآية أن سائلًا دخل مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وطلب من الناس المساعدة، فلم يعطه أحد شيئًا، ولكن أمير المؤمنين عليًا (عليه السلام) أعطاه خاتمه وهو راكعٌ في الصلاة، فنزلت الآية تكريمًا لهذا الإعطاء.

وقد نقل الحادثة المتقدّمة عشرة أشخاص من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) أمثال: ابن عباس، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبد الله، وأبي ذر، وأنس بن مالك، وبلال، و...، وإن الشيعة والسنة متفقون في نقل شأن النزول هذا[١].

يقول عمار بن ياسر: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد الإنفاق بالخاتم ونزول هذه الآية: (من كنتُ مولاه فعلي مولاه)[٢].

- وقد تلا النبي الأكرم هذه الآية في غدير خم لبيان مقام الإمام علي (عليه السلام)[٣]، وعلي نفسه أيضًا قد استشهد بهذه الآية على أحقيته عدّة مرات[٤]، ولقد نقل أبو ذر - والذي كان شاهدًا على ذلك - القصة السابقة للناس في المسجد الحرام[٥].

- إن كلمة (ولي) في هذه الآية ليست بمعنى الصديق والمساعد أو حتى الحبيب؛ ذلك لأن الصداقة والمساعدة متعلقة بكلّ المسلمين، لا بأولئك الذين ينفقون عند الركوع فقط.

- قال الإمام الصادق (عليه السلام) في المراد من ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ...﴾: (علي وأولاده الأئمة إلى يوم القيامة ... وصير نعمة أولاده بنعمته، فكل من بلغ من أولاده مبلغ الامامة، يكون بهذه النعمة مثله فيتصدقون وهم راكعون...)[٦]، ولذا هم شركاؤه في الإنفاق.

---

(١) الغدير، ج٢، ص ٥٢، إحقاق الحقّ، ج٢، ص ٤٠٠، وكنز العمال، ج٦، ص ٣٩١.

(٢) تفسير الميزان، ج٦، ص١٨

(٣) يُنظر تفسير الصافي، ج٢، ص٣٤

(٤) تفسير الميزان، ج٦، ص٢٠

(٥) تفسير مجمع البيان، ج٣، ص٢٩٦

(٦) الكافي، ج١، ص ٢٨٨.

- وينقل الفيض الكاشاني في كتابه (النوادر) حديثًا يمكن أن يكون المعنى على وفقه هو: أن جميع المعصومين أيضًا قد تصدّقوا على الفقراء في الركوع من الصلاة، وهذا أكثر انسجامًا و قوله تعالى: (يقيمون، يؤتون، الراكعون).

- قال الإمام الباقر (عليه السلام): (أمر الله تعالى نبيه أن يبلّغ ولاية علي (عليه السلام) فنزلت هذه الآية)[1].

- إن أفضل تعريف للشخص هو ذلك التعريف الذي يكون بأوصاف ذلك الشخص وخصوصياته والمخاطبون هم الذين عليهم أن يجدوا مصداق تلك الأوصاف، (ذكرت الآية أوصاف علي (عليه السلام) من دون أن تذكر اسمه).

- قال الإمام الصادق (عليه السلام): (لقد حضر الغدير اثنا عشر ألف رجل يشهدون لعلي بن أبي طالب عليه السلام فما قدر على أخذ حقه، وإن أحدكم يكون له المال وله شاهدان فيأخذ حقه!)[2].

- إن ولاية الفقيه هي امتداد لولاية المعصومين (عليهم السلام).

نقرأ في مقبولة عمر بن حنظلة عن الإمام الصادق (عليه السلام): (انظروا من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكمًا، فإني قد جعلته عليكم حاكمًا)[3].

آخر رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**[4].

- إن هذه الآية - وللدلائل التي ستأتي - مرتبطة بخلافة علي (عليه السلام) وتنصيبه للولاية في غدير خم عندما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الحج في العام العاشر من

---

(١) تفسير نور الثقلين، والكافي، ج١، ص ٢٨١.

(٢) تفسير العياشي، وتفسير نور الثقلين.

(٣) الكافي، ج١، ص ٦٧.

(٤) المائدة: ٦٧.

الهجرة، والجدير بالذكر هو أن هذه الآية قد جُعلت بين آيتين مرتبطتين بإقامة الكتاب السماوي، وربما كان ذلك إشارة إلى العلاقة المستحكمة بين القائد المعصوم وإقامة الكتاب السماوي.

بالطبع فإن الإمام هو القادر على إقامة ذلك الكتاب، وكتاب الله تعالى هو الذي يستطيع أن يعرّف ويبيّن للناس الإمام الواقعي لهم.

- يعتقد جميع مفسري الشيعة واستناداً إلى الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)، وكذلك بعض مفسري أهل السنة أن الآية مرتبطة بتنصيب علي (عليه السلام) للإمامة والولاية في غدير خم[1].

ومن الجدير بالذكر أيضًا أن صاحب تفسير المنار ذكر حديثًا منقولًا بسند صحيح وموثّق عن مسند أحمد والترمذي والنسائي، وابن ماجة، وهو قول النبي (صلى الله عليه وآله): (من كنتُ مولاه فعلي مولاه)، ثم بعد ذلك شكّك فيه بجملتين من نسج خياله:

الأولى هي: إن المراد من الولاية هي الصداقة، وقد غفل عن أن بيان الصداقة لا يحتاج إلى البيعة والتبريك وكلّ الأمور التي جرت في غدير خم.

والثانية هي: لو كان علي إمامًا وقائداً بعد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) فلِمَ لمْ يحتجّ وينادِ بتنصيبه وولايته يوم الغدير؟! وقد غفل - صاحب تفسير المنار - عن كل تلك الكلمات والخطب؛ إذ جاء بعضها في نهج البلاغة، وقد احتج بها الإمام علي (عليه السلام)، وكأن صاحب المنار لم يسمع ولم يقرأ تلك النداءات.

- لم يرِد التهديد - وفي كلّ القرآن الكريم - للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في كتمان الرسالة إلا في هذه الآية، حيث جاء فيها إنك إذا لم تبلّغ فإن جميع ما بلّغته على امتداد ٢٣ سنة من الرسالة سيذهب أدراج الرياح؛ لذا يجب التدقيق في أهمّية مثل أمرٍ بُلّغ بهذا الشكل!.

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج١٢، ص٤٠١، وتفسير المنار،ج٦، ص ٣٨٤.

- قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): (لو لم أبلّغ ما أُمرتُ به من ولايتك لحبط عملي)[1].

- وتحتوي هذه الآية على مجموعة من النكات، ببيانها يتضح المراد من معنى الآية:

١. نزلت سورة المائدة في أواخر عمر النبي (صلى الله عليه وآله).

٢. جاء التعبير - في هذه الآية - بـ (**يا أيها الرسول**) بدل (**يا أيها النبي**)، دلالة على رسالة مهمّة.

٣. جاء التعبير بالأمر (**بلّغ**) بدل الأمر (**أبلغ**) دلالة على الإبلاغ القطعي والرسمي المهمّ.

٤. لقد هُدد الرسول أنّه إن لم يبلّغ هذه الرسالة المهمّة، فإن جميع الرسالة ستذهب هدراً.

٥. لقد كان الرسول الأعظم يتخوّف من عواقب ذلك التبليغ فجاءته التسلية من الله تعالى أنّا نعصمك من الناس ونحفظك منهم.

٦. لم يكن خوف الرسول (صلى الله عليه وآله) على نفسه؛ إذ إنه كان يبارز الأصنام وحيداً ولأيام طويلة، وكانت له حروب وغزوات مع جيوش المشركين، ولم يخف في كل تلك الأحداث، وكان يُرمى بالحجارة ويُعذّب أصحابه أشد العذاب، فكيف لرجل هذا شأنه وفي أواخر عمره الشريف ومع كل هؤلاء الأصحاب أن يخاف على نفسه!

٧. في الآية خطاب ورسالة يعادلان- بلحاظ الأهمّية - جميع الخطابات التي كانت تنزل في كل مدّة النبوة، ولو لم يصل هذا الخطاب إلى الناس لكانت جميع تلك الخطابات تذهب أدراج الرياح.

٨. يجب أن يكون محتوى ذلك الخطاب مسألة أساسية وأصلية؛ وإلا فليس من اللازم كل ذلك التهديد والوعيد إذا كانت تلك المسألة مسألة جزئية فردية.

---

(١) تفسير نور الثقلين،ج١،ص٦٥٤ ، وأمالي الصدوق، ص ٤٠٠.

٩. لم يكن خطاب الآية مرتبطًا بالتوحيد أو النبوة أو المعاد؛ ذلك لأن كل هذه الأصول قد بيّنت في أول البعثة في مكّة ولم يكن هناك من حاجة لذلك الإصرار على تبليغ تلك الأصول في أواخر عمر الرسول (ﷺ).

١٠. وكذلك لم يكن خطاب الآية مرتبطًا بالصلاة أو الصوم أو الحج والزكاة والخمس والجهاد؛ ذلك لأنها قد بُيّنت على امتداد ثلاث وعشرين سنة من دعوة النبي الأكرم (ﷺ)، وكان المسلمون يعملون بها ولم يكن هناك من خوف أو قلق على ذلك.

إذن ما هو ذلك الخطاب المهمّ الذي نزل في أواخر العمر الشريف للرسول الأعظم (ﷺ)؟

هناك الكثير من الروايات الواردة عند الشيعة والسنّة تنجينا من التحيّر في الإجابة عن هذا السؤال وتوضّح لنا الطريق.

تقول الروايات: إن الآية مرتبطة بيوم الثامن عشر من ذي الحجّة للسنة العاشرة من الهجرة النبوية في سفر حجّة الوداع لنبي الإسلام (ﷺ)، حيث كان (ﷺ) في سفر العودة من الحج إلى المدينة فجاءه الأمر الإلهي في مكان يقال له (غدير خم) وأمره بالتوقّف هناك، وأن يجتمع الجميع في تلك المنطقة، حيث الماء والتمر وحرارة جو الحجاز الشديدة، وكانت تلك المنطقة محل افتراق قوافل أهل مكّة وأهل اليمن والعراق والشام والمدينة والحبشة.

فصعد النبي (ﷺ) في ذلك الجمع الحاشد من أصحابه على منبرٍ كان قد صُنع له من أقتاب الإبل وخطب بهم خطبة طويلة ابتدأها بالتوحيد والنبوة والمعاد ولم يشرع الرسول ببيان ذلك إلا وقد أخبرهم برحيله عن دار الدنيا، وقد أشهد أصحابه على ذلك فأقر الجميع بكرامته وعظمته ورسالته (ﷺ)، فعندما اطمأن (ﷺ) من أن صوته يصل الجميع في الجهات الأربع عندها بيّن خطابه المهمّ في ما يتعلّق بمستقبل الرسالة فقال: (من كنتُ مولاه فعلي مولاه) وبهذه الصراحة أعلن خلافة علي (عليه السلام) ووصايته من بعده.

ولكن بعد وفاته (ﷺ)، ولمّا كانت الزهراء (عليها السلام) تطوف على أبواب بيوت الناس وتقول: ألم تكونوا موجودين وتسمعون صوت رسول الله في غدير خم؟

كانوا يقولون: كنا في غدير خم، ولكن كانت هناك مسافة كبيرة بيننا وبين الرسول فلم نكن نسمع ما يقول! والله أكبر من الكتمان، ومن الخوف، ومن عدم الوفاء، ومن الكذب على بنت رسول الله (ﷺ).

نعم يأخذ الناس حقوقهم بشاهدين، ولكنّ عليًا (عليه السلام) لم يستطع أن يأخذ حقّه مع وجود آلاف الشهود، فالعياذ بالله من حب الدنيا، ومن الحسد، ومن البغض والحقد الذي كان يتربّع في صدور القوم من بدر وخيبر وحنين.

- قال الإمام الباقر (عليه السلام): (بُني الإسلام على خمس، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه)[١].

- وقال الإمام الرضا (عليه السلام): (أما بعد قول الله تعالى: **﴿... وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾**، فإنه أزال كل تقية بضمان الله عز وجل، وبينّ أمر الله تعالى، ولكنّ قريشا فعلت ما اشتهت بعده...)[٢].

شعور الحيوانات

قال تعالى: **﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾**[٣].

- للقرآن عناية خاصّة بحياة الحيوانات وهو يعتمد خلقتها وشعورها وصفاتها في تذكير الناس بطريق الهداية، **﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**[٤].

(١) الكافي، ج٢، ص ١٨.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج١ ، ص٦٥٣ وعيون أخبار الرضا، ج٢، ص ١٣٨ ح ١٠.

(٣) الأنعام: ٣٨.

(٤) الجاثية: ٤.

وفي الروايات والتجارب الإنسانية الكثير من النماذج في ما يخص شعور الحيوانات وإدراكها، وينبغي التفكّر والتدقيق في حياة الحيوانات لتعرّف مواطن الشبه بين الإنسان وبينها[١]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾.

- يمكن أن يُفهم من الآيات والروايات والتجارب أن الشعور ليس خاصًّا بالإنسان فقط، ومن جملة ذلك:

١. لمّا كان النبي سليمان (عليه السلام) يريد أن يعبر وجنوده من إحدى المناطق قالت نملة لمثيلاتها: ادخلوا مساكنكم حتى لا يحطمنكم سليمان وجنوده[٢]، فمعرفة العدو من غريزة النملة، ولكن فهمها أن اسمه سليمان وأن الذين معه هم جنوده فذلك فهم أعلى من الغريزة.

٢. اطّلع الهدهد - وهو في السماء - على شرك أهل سبأ فعاد للنبيّ سليمان (عليه السلام) وأبلغه، فبعثه النبي برسالة إليهم.

فمعرفة التوحيد والشرك وقبح الشرك وضرورة نقل ما رأى لسليمان النبي والمأمورية الخاصّة بإبلاغ الرسالة كلّها مسائل أرفع من الغريزة[٣].

٣. إن اعتذار الهدهد عندما سأله سليمان عن علّة غيابه واستعداده لإحضار الدليل المقبول كل ذلك علامة على شعور فوق الغريزة[٤].

٤. إن ما يقوله القرآن من أن جميع الموجودات تسبّح لله ولكنكم لا تفقهون تسبيحهم[٥]، فإنه ليس تسبيحًا تكوينيًا؛ لأننا نفهمه، إذن القرآن يقصد تسبيحًا آخر.

٥. نُسب في القرآن الكريم سجود جميع الموجودات لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ...﴾[٦].

---

(١) تفسير المراغي.

(٢) النمل: ١٨.

(٣) ينظر التبيان في تفسير القران، ج٨، ص٨٣

(٤) ينظر تفسير مجمع البيان، ج٧، ص٢٧٣

(٥) ينظر تفسير الصافي، ج٣، ص ١٣٥

(٦) النمل: ٤٩.

٦. كانت الطيور حاضرة لدى النبي سليمان (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ...﴾(١).

٧. تكلّم الطيور في ما بينها، وافتخار سليمان بأن الله تعالى علّمه منطق الطير، ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾(٢).

٨. إن آية ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾(٣) تشير إلى حشر الحيوانات يوم القيامة.

٩. إن آية ﴿... وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ...﴾(٤) دليل على شعور الحيوانات وعبادتها الواعية.

١٠. اتصاف بعض الحيوانات بالوفاء، ومن جملتها الكلب بالنسبة لصاحب البيت وأبنائه.

١١. تعلم كلب الصيد وكلب الشرطة كشف المجرم أو كشف الأشياء، علامة على الشعور الخاص لذلك الحيوان.

١٢. نهى الإسلام عن ذبح الحيوان أمام عين الحيوان الآخر، وذلك علامة على شعور الحيوان بالخوف من مشاهد الذبح والقتل.

البدعة ومحاربتها

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾(٥).

- إن معنى التفرقة في الدين الابتداع فيه وتفسيره بالرأي، وقد ورد النهي عنه في القرآن والحديث وبأشد العبارات.

---

(١) النمل: ١٧.

(٢) النمل: ١٦.

(٣) التكوير: ٥.

(٤) النور: ٤١.

(٥) الأنعام: ١٥٩.

دقّق في هذه النماذج:

١. قال تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾**(١).

٢. يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (ما أُحدثت بدعة إلا تُرك بها سنة)(٢)، وإن واحدة من وظائف الأنبياء والعلماء الوقوف بوجه البدعة والمنع من التحريف(٣).

٣. جاء في بعض الروايات أن توبة صاحب البدعة غير مقبولة(٤).

٤. لا يقبل الله لصاحب البدعة أي عمل(٥).

٦. من يحترم المبتدع أو يبتسم بوجهه رضًا به فقد أعان على هدم الدين.

٧. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من عمل بسنّتي وقولي عند الاختلاف في أمتي ولم يستنّ بغيرها، فله أجر مئة شهيد(٦).

٨. لقد ذمّ القرآن اليهود مراراً لتحريف علمائهم دينهم، ونقرأ أن النبي موسى (عليه السلام) لمّا رجع من الطور ورأى انحراف قومه وعبادتهم للعجل ألقى الألواح على الأرض غضبًا وأخذ يجر لحية أخيه الذي كان خليفته على قومه وقال له: لِمَ انحرف القوم؟

فأجابه هارون: إني خفت إن منعتهم بقوّة أن يتفرّقوا ثم تقول: لِمَ فرقتهم؟ وعندها سوف يصعب إصلاح الفُرقة حتى ولو برجوعك.

إن هذه الآيات والروايات تبيّن المسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتق علماء الدين في حفظ أصالة المذهب ومواجهة الانحرافات الفكرية في نفس الوقت الذي يقومون فيه بحفظ الوحدة الاجتماعية للأمة.

---

(١) البقرة: ٧٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص ٢٦٤.
(٣) الحياة، ج٢، ص ٣٤٤.
(٤) بحار الأنوار، ج٧٢، ص ٢١٦.
(٥) كنز العمال، ح١١١٥.
(٦) بحار الأنوار، ج٢، ص ٢٦٢.

أسئلة يوم القيامة

قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[١].

- يُسأل في يوم القيامة عن عِدّة أمور:

أ) عن النعم، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٢]، وقد ورد في كثير من الروايات أن القيادة والولاية من مصاديق النعم التي تكون مورداً للسؤال يوم القيامة[٣].

ب) عن القرآن وأهل البيت (عليهم السلام)، قال النبي (صلى الله عليه وآله): (ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيتي)[٤].

ج) عن الأعمال، قال تعالى: ﴿... لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٥].

د) عن الأعضاء والجوارح، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا﴾[٦].

هـ) عن تصديق الأنبياء وعدمه، قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ...﴾[٧]، كما ورد في مورد آخر سؤال قادة الدين عن كيفية تعامل الناس معهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ...﴾[٨].

و) عن العمر والشباب كيف قضاهما الإنسان.

---

(١) الأعراف: ٦.

(٢) التكاثر: ٨.

(٣) وسائل الشيعة، ج٢٤، ص ٢٩٩.

(٤) تفسير الصافي، ج١، ص١٢

(٥) الحجر: ٩٢ – ٩٣.

(٦) الإسراء: ٣٦.

(٧) الأنعام: ١٣٠.

(٨) المائدة: ١٠٩.

ز) عن المال، فقد ورد في بعض الروايات أن الإنسان يُسأل في يوم القيامة عن أربعة أشياء: (شبابك فيم أبليته، وعمرك فيم أفنيته، ومالك مم اكتسبته وفيم أنفقته)[١].

اللباس في القرآن

قال تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾**[٢].

- يمكن لنا وبقليل من الدقّة والتأمّل أن نستنتج من هذه الآية مجموعة نكات، منها:

١. إن الالتفات إلى النعم الإلهية سبب لعشق الله والابتعاد عن الغفلة، **﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ... لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾**.

٢. لمّا كان اللباس يُغطّي البدن ويستره فهو نعمة إلهية، **﴿... يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ...﴾**.

٣. إلى جانبِ أن للإنسان والعوامل الطبيعية دخل في تهيئة اللباس إلا أن كل ذلك بيد الله تعالى، **﴿... أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا...﴾**.

٤. الستر والمواراة عمل الله تعالى، **﴿... أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي...﴾**، ولكن العُري والتعرّي عمل الشيطان، قال تعالى: **﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا...﴾**[٣].

٥. اللباس نعمة إلهية، **﴿... لِبَاسًا يُوَارِي...﴾**، والعُري وخلع اللباس جزاء الذنوب، **﴿... فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾**[٤].

---

(١) الكافي، ج٢، ص ١٣٥. وبحار الأنوار، ج٧، ص ٢٥٩.

(٢) الأعراف: ٢٦.

(٣) الأعراف: ٢٠.

(٤) الأعراف: ٢٢.

٦. اللباس الجميل والتجمّل به أمر مطلوب ومحبوب عند الله تعالى، ﴿... **قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا... وَرِيشًا**﴾، فليس هناك مانع من التجمّل والزينة إذا لم يجرّ ذلك إلى الإسراف.

٧. المعنويات لازمة إلى جانب الماديّات، كذلك التقوى لازمة إلى جانب الزينة، ﴿... **وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ**...﴾، وإلا فمن الممكن أن يكون اللباس وسيلة للتكبّر، والفساد، والغرور، والأنانية، والفسق، والتفاخر وأمثال هذه الأمور.

٨. ثمّ إن اللباس الماديّ يواري العيوب ويحافظ على الإنسان من الحر والبرد فضلاً عن الزينة، كذلك التقوى تعدّ عاملاً لستر العيوب، والمحافظة من الذنوب، وهي أيضًا سبب لجمال الإنسان المعنوي، ﴿... **لِبَاسُ التَّقْوَىَ** ...﴾.

٩. يولّد من التراب القطن، ومن العلف - الذي هو غذاء الحيوان - الصوف، ومن ماء فم الحشرة الحرير، كل ذلك هو من آيات الله سبحانه والتي يمكن أن تكون عاملاً للتذكّر ويقظة الإنسان، ﴿... **ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾.

الزينة والمسجد

قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[1].

- ربما يمكن القول: إن ما جاء في القرآن من خطاب (يا بني آدم) مرتبط بالناس كلّهم ، وهو من مشتركات الأديان.

- يعبّر القرآن عن المال والولد بالزينة، قال تعالى في القرآن: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**...﴾[2]؛ وعليه فيمكن أن تكون الآية بيانًا لضرورة اصطحاب المال والولد عند الذهاب إلى المسجد، كي تحلّوا بالمال المشكلات الاقتصادية

---

(١) الأعراف: ٢٢.

(٢) الكهف: ٤٦.

للمسلمين، وتحلوا - بحضور الأولاد في المساجد والجماعات - المشكلات التربوية للأجيال القادمة.

- لقد عُدّ في بعض الروايات أن من جملة مصاديق الزينة: إمام الجماعة العادل، التعطّر، واللباس الجميل عند الصلاة، ورفع اليدين عند الركوع والسجود، والاشتراك في صلاة العيد والجمعة[١].

- يروى أن الإمام المجتبى (عليه السلام) كان يلبس أحسن ثيابه عند الصلاة وحضور المسجد، وكان يقول (عليه السلام): (إن الله جميل يحب الجمال فأتجمّل لربّي)، ويتلو الآية المتقدّمة[٢].

- إن الله يحبّ الجمال والزينة وإلا لم يأمر بها في قوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾، والإسلام دين الفطرة، والإنسان بفطرته يلتذّ من الزينة والجمال.

- إن الذهاب للمسجد مع الزينة احترام لعباد الله وعبادة الله، كذلك هو سبب لكسب الناس وترغيبهم عملياً في الحضور إلى المسجد.

- إلى جانبِ أن الانتفاع من الزينة والطعام أمر فطري وطبيعي، ولكن مع وجود ظروف خاصّة كوجود المحرومين والفقراء ينبغي مراعاتهم ومراعاة أوضاعهم؛ لذا نقرأ في التاريخ أن لباس الإمام الصادق (عليه السلام) - الذي كان يعيش في عصر يسود الناس فيه الرفاه النسبي - يختلف عن اللباس الذي كان يلبسه الإمام علي (عليه السلام) الذي كان يعيش في عصر يسوده الفقر؛ ذلك لاختلاف الظروف الاجتماعية لكل واحد منهما (عليهما السلام)[٣].

وبقليل من التدقّيق والتأمل يمكن أن نستفيد مجموعة من النكات من هذه الآية، ومن جملة ذلك:

١. يجب أن يكون المسجد - الذي هو محور المسلمين ومركزهم - مجلّلاً ومزيّنًا، وجميلاً، ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص١٨ ،تفسير الامثل، ج ٤، ص٣٥٣، تفسير الميزان، ج٨، ص٨٩

(٢) تفسير مجمع البيان، ج ٤، ص ١٨٤

(٣) تفسير الاثني عشري، شاه عبدالعظيمي حسين.

٢. أفضل لباس وأجمله لأفضل مكان وأجمله، ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

٣. إن الإسلام يعتني بباطن الصلاة، ﴿فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1]، ثمّ إنه يعتني بظاهرها، ﴿زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، نعم، لقد عُجن في الإسلام الظاهر بالباطن والدنيا بالآخرة.

٤. الزينة وإلى جانبِ أن لها قيمة في الصلاة الفردية، ولكنّ لها في صلاة الجماعة حسابًا وقيمة أخرى كبرى، ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

٥. أولاً الصلاة ثم الغذاء، ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾، أولاً الالتفات إلى الروح والمعنويات ثم التوجّه إلى الجسم والماديّات.

الإسراف وعواقبه

يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (المال مال الله يضعه عند الرجل ودايع، وجوَّز لهم أن يأكلوا قصدًا، ويشربوا قصدًا، ويلبسوا قصدًا، وينكحوا قصدًا، ويركبوا قصدًا... ثم قال: ﴿وَلا تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2])[3].

- ويقول الإمام الصادق (عليه السلام): (من سأل الناس شيئًا وعنده ما يقوته يومه فهو من المسرفين)[4].

- إن الإسراف في الغذاء وكثرة الأكل منشأ لكثير من الأمراض الجسمية والروحية وسبب لقسوة القلب والحرمان من لذة العبادة، كما قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): (المعدة بيت كل داء)، وقد قال أحد الأطباء المسيحيين بعد سماعه لهذه الآية والحديث: كل علم الطب يكمن في هذه الآية وهذا الحديث[5].

---

(١) المؤمنون: ٢.

(٢) الأعراف: ٣١.

(٣) تفسير الصافي، ج٢، ص١٣٨

(٤) تفسير الصافي، ج٢، ص١٣٨

(٥) تفسير مجمع البيان، ج٤، ص١٨٤

- قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إنما الإسراف في ما أتلف المال وأضرّ بالبدن)

ونقرأ في رواية أخرى: كلما أنفق في سبيل الله فليس بإسراف وإن كان كثيراً، وكلٌّ ما أُنفق في سبيل معصية الله فهو إسراف وإن قلّ[١].

أنواع الترف وسعة الرزق

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٢].

- طُرح في القرآن نوعان من الترف والسعة ولمجموعتين:

أ) ترف وسعة للصالحين مع البركات، قال تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ﴾.

ب) ترف وسعة للكافرين بلا بركة، قال تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ إذ كم من نعمة كانت سببًا للتغير والغفلة والغرور والطغيان، وقد جعل الله تعالى مثل هذا الترف والسعة سببًا يمهل به الكفّار.

وعليه فينبغي أن لا يتعلّق القلب بكل نعمة ظاهرية؛ لأنه إذا كانت تلك النعمة للمؤمنين فهي سبب للبركة، وإذا كانت للكافرين فهي سبب للغضب الإلهي.

- قال الإمام الصادق (عليه السلام): ربما كان للعبد طلب إلى الله تعالى فيستجيب الله دعاءه ويتركه إلى وقت حلوله، فيذنب العبد ذنبًا فيمنع ذلك من تحقّقه[٣].

- إن من المصاديق البارزة لهذه الآية زمان ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) حيث إنّ السماء والأرض في ذلك الزمان تخرجان بركاتهما بتعبير الروايات[٤].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٤٩٩

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) تفسير الاثني عشري.

(٤) كنز الدقائق، ج٥، ص١٣٢

فوائد الأمر بالمعروف

قال تعالى: ﴿وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1].

- ذكرتُ في كتاب ((الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) أكثر من عشر فوائد للأمر والنهي حتى في حال عدم التأثير، وأنا أبيّن خلاصتها هنا؛ ليذهب عنّا السكوت والخوف وعدم المبالاة عند ترك المعروف والعمل بالمنكر:

١. أحيانًا لا يؤثّر أمرنا ونهينا في اليوم نفسه ، ولكنَّ له أثراً في تاريخ فطرة الآخرين وقضائهم، كما استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليستيقظ وجدان الناس وضميرهم على مرّ التاريخ.

٢. أحيانًا يحفظ الأمر والنهي الجو للآخرين، كاستحباب الأذان حتى لو لم يكن هناك من يسمع، وكالوقوف أمام الإشارة الحمراء عند تقاطع الشوارع حتى لو لم يكن هناك سيارة أخرى؛ ذلك لأن حفظ القانون وجو احترامه واجب على كل حال.

٣. تارة لا يمنع أمرنا ونهينا الآخرين عن ارتكاب الذنوب، ولكن كلامنا المستمر معهم يحوّل لذّة الذنوب إلى مرارة في أفواههم، وفي أقل تقدير فإنهم سوف يقترفون الذنوب وضمائرهم غير مستريحة.

٤. ولحفظ الحرية أيضًا يجب الأمر والنهي؛ فإنه من دون الأمر والنهي سيتحوّل المجتمع إلى مجتمع من الخوف والسكوت والرهبة.

٥. لنفس الآمر والناهي مقام عال، حتى لو لم يسمع الآخرون، يقول القرآن: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ...﴾[2].

---

(١) الأعراف: ١٦٤.

(٢) فصلت: ٣٣.

٦. لو لم يؤثّر الأمر والنهي في الآخرين فعلى الأقل هو نوع من التقرّب إلى الله تعالى، وتوطين النفس على الشجاعة والتدرّب عليها.

٧. أحيانًا لا يؤثّر أمرنا ونهينا في اليوم نفسه، ولكن عندما يصل العاصي إلى طريق مسدود ويستيقظ ضميره فسيفهم عندها أنك كنت قد قلت الحقّ؛ ولذا لو لم يترك اليوم أثرًا فإنه سيترك أثرًا في الأيام الآتية.

٨. إن الأمر والنهي يهدّئ وجدان الإنسان وضميره، فإن الإنسان يقول مع نفسه إنه عمل بوظيفته، واطمئنان الوجدان وهدوء الضمير هنا له قيمته، إلى جانبِ أن الآخرين لم يستمعوا للأمر والنهي.

٩. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سيرة الأنبياء، حتى لو لم يسمع الآخرون، يقول القرآن: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ﴾[1]، وقال مرارًا إن الناس لا يسمعون خطابات الأنبياء وإرشاداتهم وأعرضوا عنهم؛ فلا ينبغي لنا أن نتوقّع أن يستمع الآخرون لكلامنا دائمًا.

١٠. إن الأمر بالمعروف إتمامٌ للحجّة على العاصي، لئلا يقول يوم القيامة إنه: لم يقل لي أحد، فضلاً عن أنه عذر للآمر لِئلا يقال له: لماذا لم تأمر بالمعروف؟

١١. عند الغضب الإلهي سينجو الآمرون بالمعروف، (بالالتفات إلى الآية).

وعلى أيّة حال فالأنبياء والأوصياء شهداء في سبيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا يضيع الحقّ ويندثر، كما قال القرآن في بعض آياته: ﴿يقتلون الأنبياء﴾[2]، و﴿يقتلون النبيين﴾[3]، و﴿يقتلون الذين يأمرون بالقسط﴾[4]، ويستفاد من هذه الآيات أنه أحيانًا يجب الذهاب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى حدود الشهادة.

---

(١) الصافات: ١٣.

(٢) آل عمران: ١١٢.

(٣) البقرة: ٦١.

(٤) آل عمران: ٢١.

هـذا وقـد وبّـخ أميـر المـؤمنين علـي (عليه السلام) أحـد ولاتـه لحضـوره دعـوة أحـد الأشراف[١]، يعني أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد افتدى الإسلام بأحد أفراده لئلا ينجرّ خُلق الزهد إلى الارستقراطية وطلب الشرف.

العهد الإلهي مع الإنسان

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[٢].

- (ذريّة) إما مأخوذة من (ذر) بمعنى ذرّات الغبار الصغيرة جداً، أو النمل الصغير، والمراد منها هنا أجزاء نطفة الإنسان أو أبناؤه الصغار[٣].

وإمّا مأخوذة من جذر (ذَرو) بمعنى التفريق، أو من (ذَرأ) بمعنى الخَلق[٤]، ولكن الأغلب أنها تُطلق على الأبناء (الذُرّية).

- لم يُبيّن في هذه الآية كيفية أخذ الله العهد من بني آدم، ولكنّ للمفسرين أقوالاً متعدّدة في ذلك، والمشهور منها قولان:

أ) تبعًا للروايات فإنه بعد أن خلق الله آدم (عليه السلام) أخرج من ظهره جميع أبنائه وإلى آخر الدنيا على صورة ذرّات صغيرة ومتفرقة كالنمل الصغير، وجعلهم مورداً للخطاب والسؤال الإلهي اعترفوا - بالقدرة الإلهية - بربوبية الله، ثم رجعوا إلى صلبه ليخرجوا بعد ذلك خروجًا تدريجيًا طبيعياً إلى هذا العالم، ويقال لذلك العالَم (عالَم الذر) ولذلك العهد (عهد ألستُ)[٥].

---

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٤٥.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

(٦) ينظر لسان العرب مادّة(ذرر)

(٤) تفسير الأمثل، ج٤، ص٥٦٤

(٥) ينظرالكافي، ج٢، ص ١٣.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (منهم من أقرَّ بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه)[١].

ونقل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن ذلك الإقرار كان في يوم عرفة[٢].

ب) إن المراد من عالم الذر الفطرة والعهد التكويني، يعني أنه عندما يخرج الأبناء من أصلاب آبائهم إلى أرحام أمّهاتهم وهم ذرّات ليس أكثر فإن الله يودع التوحيد وطلب الحقّ في فطرتهم، ويودع هذا السرّ الإلهي بصورة حسّ باطني في فطرة الجميع ويكون وديعة عندهم، كذلك الأمر في عقولهم فالاعتقاد بالله تعالى اعتقاداً حقيقياً واعياً كمن في كلّ عقول بني آدم؛ ولذا فطرة البشر وعقولهم تشهد على ربوبية الله سبحانه وتعالى.

وفي بعض الروايات المروية عن الإمام الصادق (عليه السلام) إشارة إلى كون الفطرة هي عالم الذر[٣].

وجاء في بعض الروايات أن الفطرة هي أثر عالم الذر لا العالم نفسه، (ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف)[٤]؛ ولذا قد أقرّ الناس جميعًا في ذلك الموقف ولكنّهم نسوا ذلك الإقرار وذلك الموقف، وإن أثر ذلك الإقرار هو الفطرة نفسها وميل القلب إليها، وعلى كل حال فالآية مورد كلام عند المتكلّمين والمحدّثين والمفسّرين؛ ولذا فنحن نوكل علمها إلى أهله وهم الراسخون في العلم[٥].

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٩٦

(٢) تفسير الدر المنثور،ج٩، ص٦٠٠

(٣). تفسير البرهان، ج٤، ص١٣٧ ، ونفحات القرآن، ج٣، ص ١١٧.

(٤) نفحات القرآن، ج٣، ص ١١٧.

(٥) للاطلاع على الأقوال والآراء المختلفة يراجع كتاب (نفحات القرآن) لآية الله مكارم الشيرازي، وكذلك كتاب (مفاهيم القرآن) لآية الله جعفر السبحاني، وتفسير (أطيب البيان).

الأسماء الحسنى لله تعالى

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(١).

- رغم أن جميع الأسماء والصفات الإلهية حسنة والله مستجمع جميع الكمالات غير القابلة للعدّ والإحصاء، ولكن الروايات اعتمدت ٩٩ اسمًا، وجاءت أيضًا في كتب أهل السنّة كصحيح مسلم والبخاري والترمذي، ومن دعا الله تعالى بتلك الأسماء فدعاؤه مستجاب(٢)، ومن أحصاها كان من أهل الجنّة، طبعًا ليس المقصود من الإحصاء الإحصاء اللفظي وتحريك اللسان بها، بل المقصود هو الالتفات والاستلهام من هذه الصفات والاتصاف بها.

وهذه الأسماء الحسنى هي: (الله، الإله، الواحد، الأحد، الصمد، الأوّل، الآخر، السميع البصير، القدير، القاهر، العليّ، الأعلى، الباقي، البديع، البارئ، الأكرم، الظاهر، الباطن، الحيّ، الحكيم، العليم، الحليم، الحفيظ، الحقّ، الحسيب، الحميد، الحفيّ، الربّ، الرحمن، الرحيم، الذارئ، الرازق، الرقيب، الرؤوف، الرائي، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبّر، السيّد، السبّوح، الشهيد، الصادق، الصانع، الطاهر، العدل، العفوّ، الغفور، الغنيّ، الغيّاث، الفاطر، الفرد، الفتّاح، الفالق، القديم، الملك، القدّوس، القويّ، القريب، القيّوم، القابض، الباسط، قاضي الحاجات، المجيد، المولى، المنان، المحيط، المبين، المقيت، المصوّر، الكريم، الكبير، الكافي، كاشف الضرّ، الوتر، النور، الوهاب، الناصر، الواسع، الودود، الهادي، الوفيّ، الوكيل، الوارث، البرّ، الباعث، التوّاب، الجليل، الجواد، الخبير، الخالق، خير الناصرين، الديّان، الشكور، العظيم، اللطيف، الشافي)(٣).

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) ينظر تفسير الميزان، ج٨، ص٣٤٩، وتفسير الأمثل، ج٤، ص٥٨٠.

(٣) ينظر تفسير مجمع البيان، ج٤، ص٢٩٤، وتوحيد الصدوق، ص١٨٣.

- وقد جاء في القرآن الكريم ١٤٥ اسمًا لله تعالى، وإن العدد ٩٩ جاء في الروايات، إما لقابلية بعض الأسماء للإدغام في بعضها الآخر، أو يكون المراد أن من تلك الأسماء ما هو موجود في القرآن لا أن هذا هو العدد فقط.

وفي بعض الآيات ورد مضمون هذه الأسماء، مثلاً ((صادق)) بعنوانه اسمًا لله لم يأت في القرآن، ولكن جاءت آية ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾[١]، وقد بيّنت بعض الروايات أسماءً أخرى لله سبحانه كدعاء الجوشن الكبير.

طبعًا لبعض الأسماء الإلهية الحسنى آثار وبركات وميزات خاصّة.

ويقول الفخر الرازي: جميع صفات الله ترجع إلى أمرين، عدم احتياجه لأحد واحتياج كل شيء إليه[٢].

- قال الإمام الصادق (عليه السلام): والله نحن الأسماء الحسنى[٣]، يعني أن صفات الله تعالى انعكست فينا فنحن الطريق الواقعي لمعرفة الله، وطبق هذه الأحاديث فجملة ﴿ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ...﴾، تقول لنا: لا تركنوا إلى منكري فضائل أهل البيت (عليهم السلام).

وفي رواية أخرى عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال: (نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل الله من أحد عملاً إلاّ بمعرفتنا)[٤].

- وقد تكرّرت عبارة (الأسماء الحسنى) أربع مرّات في القرآن الكريم[٥]، والأسماء الحسنى لها ثلاثة مصاديق هي: الصفات الإلهية، والأسماء الإلهية، والأولياء الإلهيون[٦].

- قال الإمام الرضا (عليه السلام): (إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله، وهو

---

(١) النساء: ١٢٢.

(٢) تفسير الفخر الرازي، ج١، ص٥٥.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص١٠٣، الكافي، ج١، ص ١٤٣.

(٤) تفسير كنز الدقائق، ج٥، ص٢٤٧.

(٥) الإسراء: ١١٠، طه: ٨ ، الحشر: ٢٤، وهذه الآية.

(٦) انظر: تفسير الفرقان، ج٩، ص٦٢.

قول الله: ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾)[١].

- وعن الإمام الرضا (عليه السلام) أيضًا: ((إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه))[٢]، يعني لا يمكن أن يسمّى بغير ما سمّى به نفسه، كأن يسمّى مثلاً العفيف والشجاع وأمثال ذلك.

- إن الاسم مبيّن للمسمّى، وذات الله مقدّسة، فيجب أن يكون اسمه مقدّسًا أيضًا؛ وعليه يجب تنزيه ذات الله ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣]، وتنزيه اسمه كذلك، ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[٤]؛ لذا لا يجوز جعل أسماء الآخرين معادلة لأسماء الله تعالى، ولا يمكن القول: باسم الله والخلق.

- يقول الشهيد مطهري: ليس لأسماء الله جنبة العلامة، بل هي مبيّنة صفة وحقيقة من حقائق الذات المقدّسة[٥].

- قال الإمام الصادق (عليه السلام) في ذيل هذه الآية: لا تدعوا غير الله بأسمائه، وعن قوله تعالى ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ﴾ قال: ((يضعونها في غير مواضعها))، أي إنهم يستعملون أسماء الله تعالى في غير مواضعها، وهم يشركون بذلك العمل؛ ولذا فقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٦] [٧].

---

(١) بحار الأنوار، ج٩١، ص ٥ ح ٣. وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل من أحد إلا بمعرفتنا، قال: فادعوه بها). المصدر السابق. (الناشر).

(٢) أصول الكافي: ج ١ ص ١٣٧ ح ٣.

(٣) التوبة: ٣١.

(٤) الأعلى: ١.

(٥) معرفة القرآن، ص ١٤.

(٦) يوسف: ١٠٦.

(٧) انظر: تفسير نور الثقلين،ج٢، ص١٠٤، وتوحيد الصدوق، ص ٣٢٤.

علم الأنبياء والأولياء بالغيب

قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

- جاء في القرآن الكريم والروايات مجموعة من المطالب التي تشير إلى أن الأنبياء والأولياء كانوا يعلمون الغيب، ثمّ إن هناك آيات وروايات أخرى تشير إلى أنهم لا يعلمون الغيب، ومن تلك الآيات ما نلحظه في هذه الآية التي تشير إلى ذلك! ويمكن الجمع بين هاتين المجموعتين من الآيات والروايات بعدّة صور:

أ) عندما يقول إن الأنبياء والأولياء لا يعلمون الغيب، فالمراد منه أن هؤلاء العظماء لا يعلمون الغيب ذاتيًا، وأما عندما يقول إنهم يعلمون الغيب فالمقصود منه أنهم يعلمونه بإلهام الله تعالى ووحيه، كما تقول: لا يوجد نفط في المدينة الفلانية ومرادنا أن تلك الأرض لا ينبع منها النفط، أي ليس فيها نفط ذاتيًا، ومرادنا من أن فيها نفطًا أي إن النفط يصل إليها بالأنابيب والحاملات والسفن والقطارات.

ب) العلم بالغيب على نوعين، والأنبياء يعلمون القسم الأكثر منه، ونظير ذلك الأخبار التي أطلق عليها القرآن (الغيب) وهي أوحيت لنبي الإسلام (ﷺ): ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ...﴾[2]، وهناك قسم آخر خاص بالله تعالى وليس لأحد الاطّلاع عليه، كزمان قيام يوم القيامة.

إذن الذي لا يعلمونه من الغيب هو القسم الخاص بالله تعالى، وأما الذي يعلمون منه فهو القسم الآخر.

ج) إن مخاطبي أولئك العظماء كانوا مختلفين، فبعضهم كان من أهل الغلوّ والمبالغة فكان الأئمة يظهرون لأمثال هؤلاء أنهم لم يكونوا يعلمون الغيب لئلا

---

(١) الأعراف: ١٨٨.

(٢) هود: ٤٩.

يغالوا فيهم، وكان هناك من هو ناقص في معرفة أولئك العظام فكان النبي والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) يظهرون لأمثال هؤلاء بعضًا من علم الغيب.

د) إن المراد من عدم العلم بالغيب، عدم الحضور الذهني، ولكن - وكما جاء في الروايات - أن الأئمة (عليهم السلام) يسطع لهم عمود من نور فيطّلعون به على كل شيء، ومثال ذلك الإنسان الذي يقول: أنا لا أعلم رقم هاتف فلان، ولكنه يملك دليل هواتف فيمكنه بمراجعته أن يعلم جميع الأرقام التي يريد.

هـ) إن العلم بالغيب ليس دليلاً على الكمال مطلقًا، بل ربما يكون في بعض الأحيان دليلاً على النقص، مثلاً عندما نام الإمام علي (عليه السلام) في فراش الرسول (صلى الله عليه وآله)، فلو كان عنده علم بأن ذلك ليس فيه خطر على حياته لما كان ذلك الفعل كمالاً له (عليه السلام)؛ لأن الجميع مستعد للنوم في مكان النبي في هذه الصورة، فكان الكمال هنا بعدم العلم بالغيب.

و) إن الله تعالى لا يُطلع الأئمة (عليهم السلام) بعلم الغيب لو كان فيه نفعهم وضررهم، نظير ذلك هذه الآية مورد البحث، ولكن في الموارد التي يكون فيها الهدف من علم الغيب إرشاد الناس وهدايتهم فإن الله تعالى يُطلع الأئمة عليه، كما قال عيسى (عليه السلام) لأصحابه: لي أن أخبركم بما تدّخرون في بيوتكم، ﴿... **وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[1].

- وقيل إن أهل مكة قالوا: يا محمد ألا يخبرك ربّك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه فتربح فيه، وبالأرض التي تريد أن تجدب فنرتحل منها إلى أرض قد أخصبت، فأنزل الله هذه الآية[2].

أجمع آية في مكارم الأخلاق

قال تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[3].

---

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) ينظرتفسير الأمثل، ج٢، ص٢٨٥

(٣) الأعراف: ١٩٩.

- تضمنت هذه الآية جميع أصول الأخلاق بصياغة سهلة مختصرة، بما في ذلك الأخلاق الفردية ﴿**الْعَفْوَ**﴾، والأخلاق الاجتماعية أيضًا ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾، اعفُ عن الصديق وأعرض عن العدو، وبنحو لساني ﴿**وَأْمُرْ**﴾، وبنحو عملي ﴿**وَأَعْرِضْ**﴾، والناحية الإيجابية ﴿**خُذِ**﴾، والناحية السلبية ﴿**وَأَعْرِضْ**﴾، ثمّ إنها تضمّنت الأخلاق بالنسبة للقائد والأمّة، ولذلك الزمان ولهذا الزمان، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ألا وإنّ مكارم الدنيا والآخرة في ثلاثة أحرف في كتاب الله: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[1].

طبعًا لا شك في أن العفو إنما يكون في المسائل الشخصية فقط؛ لا في حقّ الناس وبيت المال.

- عندما نزلت هذه الآية طلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من جبرائيل أن يبيّن له كيفية العمل بها، فنزل جبرائيل بهذا: (تعفو عمّن ظلمك، تعطي من حرمك، تصل من قطعك)[2].

أقسام الحياة والموت

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[3].

- إن للحياة أقسامًا مختلفة:

١. الحياة النباتية، قال تعالى: ﴿... **أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**...﴾[4].

٢. الحياة الحيوانية، قال تعالى: ﴿... **لَمُحْيِي الْمَوْتَى**...﴾[5].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٤٢٦؛ تفسير الفرقان ج٩،ص٩٧.

(٢) تفسير مجمع البيان،ج٤، ص٣٠٧، بحار الأنوار، ج٧٥، ص ١١٤.

(٣) الأنفال: ٢٤.

(٤) الحديد: ١٧.

(٥) فصلّت: ٣٩.

٣. الحياة الفكرية، قال تعالى: ﴿... من كان ميتًا فأحييناه...﴾[١].

٤. الحياة الأبدية، قال تعالى: ﴿... قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي...﴾[٢].

- ليس المقصود من الحياة التي تتحقّق من دعوة الأنبياء (عليهم السلام) - كما في الآية محل البحث - الحياة الحيوانية؛ لأن هذا النوع من الحياة متحقق حتى من دون دعوة الأنبياء، بل المقصود من ذلك النوع هو الحياة الفكرية، العقلية، المعنوية، والأخلاق الاجتماعية، وبعبارة مختصرة هي الحياة في كلّ المجالات.

كما يمكن أن يكون المراد من الدعوة إلى الحياة هنا - وبدليل نزول الآية إلى جانب آيات معركة بدر - هو الدعوة إلى الجهاد.

- إن حياة الإنسان إنما تتحقّق بالإيمان والعمل الصالح، وقد دعا الله تعالى والأنبياء الناس إلى ذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾، وإن طاعة أوامرهم (عليهم السلام) لهو رمز الوصول إلى الحياة الطيبة، كما نقرأ في آية أخرى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً...﴾[٣]، وطبق روايات الشيعة والسنّة فإن من مصاديق الحياة الطيّبة قبول نداء رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله) في ولاية علي بن أبي طالب وأهل بيته (عليهم السلام)[٤].

مفهوم الأمانة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥].

---

(١) الأنعام: ١٢٢.

(٢) الفجر: ٢٤.

(٣) النحل: ٩٧.

(٤) انظر: تفسير الفرقان، ج١٦، ص٤٧٧ .

(٥) الأنفال: ٢٧.

- لمفهوم الأمانة في عُرف القرآن معنًى واسعٌ، فهي تشمل جميع شؤون الحياة السياسية، والاجتماعية، والأخلاقية، ومن جملة ذلك:

أ) كلّ النعم المادّية والمعنوية مثل: المذهب، والقرآن، والقائد، والولد، والماء والتراب.

ب) أهل بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله)[١].

ج) أنفسنا أمانة عندنا، ﴿أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[٢]، وكذلك المجتمع بالنسبة لنا.

د) الأنفال، والغنائم، والخمس، والزكاة، والأموال العامّة، (وردت الآية في سورة الأنفال وغنائم الحرب).

هـ) روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) ما معناه: إن أحكام الدين والفرائض والواجبات الإلهية أمانة عندكم[٣].

و) الحكومة والمسؤولية.

وعليه فإن عدم أداء حقوق هذه الأمانات والتقصير في وظائفها هو خيانة في حقّها، كما ورد عن ابن عباس: إنّ من ترك شيئًا من الأوامر الإسلامية فقد ارتكب خيانة بحق الله ورسوله[٤].

كذلك إن تقديم الطالحين على الصالحين في المسؤوليات الاجتماعية خيانة لله ولرسوله والمسلمين.

- قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): (ثلاث من كن فيه كان منافقًا، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا وعد أخلف)[٥]، وورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم؛ فإن الرجل ربما لهج

---

(١) ملحقات إحقاق الحقّ، ج١٤، ص ٥٦٤.

(٢) البقرة: ١٨٧.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص١٤٤.

(٤) تفسير الأمثل: ج ٥ ص ٤٠٢.

(٥) الكافي: ج٢، ص ٢٩١ ح ٨.

بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة)[١].

- ويُعدّ أداء الأمانة من الوظائف والحقوق الإنسانية؛ ولذا يجب عدم الخيانة حتى في أداء أمانة غير المسلم.

الخُمس

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

- إن مخاطبي هذه الآية حين نزولها هم الذين اشتركوا مع النبي (صلى الله عليه وآله) في معركة بدر وانتصروا على المشركين بعد استماتة وحماسة كبيرتين، هم المسلمون الذين كانوا من أهل الصلاة والصوم والهجرة والجهاد والشهادة، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يتوسّم فيهم خيراً، ولكنّ الله تعالى قال وهم على هذا الحال: يا أيها المجاهدون في معركة بدر، إن كنتم تؤمنون بالله ورسوله فأعطوا خمس الغنائم، يعني أن شرط الإيمان بالله ورسول فضلاً عن الصلاة والصوم والجهاد أداء الواجب المالي، يعني الخمس.

- ورد الجذران (الغُنم) و(الغُرم) ستّ مرات في القرآن الكريم، ثمّ إنّ (الغرم) شامل لكلّ ضرر مالي لا ضرر الحرب فحسب، والغنيمة أيضًا هي ليست الفائدة المستحصلة من الحرب فحسب، بل تتضمن كل منفعة حاصلة، ولا شك في ذلك كما عليه كتب اللغة كلسان العرب، وتاج العروس، والقاموس، كذلك لا شك عند مفسري أهل السنّة كالقرطبي، والفخر الرازي، والآلوسي في عموم هذه المفردة، كذلك جاء في مفردات الراغب: يقال لكل شيء حصل عليه الإنسان غنيمة[٣]،

---

(١) أصول الكافي: ج٢، ص ١٠٤.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ج ٢ ص ٤٤٩، باب النون، النسخة المحققة.

واستخدمت هذه اللفظ في القرآن لغير الغنائم الحربية أيضًا، قال تعالى: ﴿... **فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ**﴾[١]، وقال أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام): ((مَن أخذها لَحق وغَنِم))[٢].

- وطبق الروايات وما عليه الشيعة فإن الغنيمة في هذه الآية شاملة لكل دخل بما فيه الكسب والعمل والتجارة وغيرها، وإن صرف نزول الآية في معركة بدر ليس دليلًا على أن الخمس لا يكون إلا في غنائم الحرب فقط، وإذا كان المراد من الغنيمة هو الغنائم الحربية فقط وجب القول: إن موردًا واحدًا من موارد الخمس ورد في الآية الكريمة، وجاءت بقية الموارد في الروايات الشريفة.

- وللخمس في الروايات أهمّية خاصّة، من جملة ذلك أن من لم يعطِ الخمس من ماله فماله لا يكون حلالاً وعندئذٍ فليس له أن يتصرّف فيه، وإن الصلاة باللباس غير المخمّس محل إشكال[٣].

- لا تنافي بين هذه الآية والآية الأولى من سورة الأنفال ﴿**قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾؛ ذلك أنه بالالتفات إلى آية الخمس فإنّ ما يحصل عليه النبيّ والأئمة (عليهم السلام) يخصصون خمسه للموارد الواردة في الآية ويوزعون ما بقي منه على المقاتلين.

- ويعتقد الفقهاء أن الخمس واجب في سبعة أشياء؛ هي:

١. منافع الدخل السنوي من الكسب والعمل.

٢. الكنز.

٣. المعادن.

٤. الجواهر المستخرجة من الغوص.

٥. المال الحلال المختلط بالحرام.

٦. الأرض التي يشتريها الكافر الذمّي من المسلم.

٧. غنائم الحرب.

---

(١) النساء: ٩٤.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٠.

(٣) لزيادة توضيح يمكن مراجعة كتاب (الخمس) للمؤلف.

- ومن الواضح والجلي أن الله - سبحانه - لا حاجة له بالخمس؛ وعليه فإن سهم الله - تعالى - إنما هو لتمكين القانون الإلهي وولاية الرسول، وكذلك هو للتبليغ وإيصال نداء الإسلام لمسامع العالَم، ولنجاة المستضعفين ومنع المفسدين.

وطبق ما جاء في الروايات فإن سهم الله تعالى يكون بعهدة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأما بعد رحلته فيكون تحت اختيار الإمام[1] (عليه السلام)، وفي زمن الغيبة تكون هذه الأسهم الثلاثة تحت سلطة النواب الخاصّين أو العامّين وهم المجتهدون الجامعون للشرائط ومراجع التقليد.

- وهناك قسم آخر من الخمس يُصرف - كما في الروايات - للمساكين والسادات من بني هاشم؛ ذلك لأن الزكاة حرام على السادة؛ لذا وجب تأمين احتياجاتهم بالخمس[2].

وفي الواقع فإن الإسلام ولتأمين احتياجات المجتمع؛ فقد أوجب أمرين، الأول هو الزكاة المرتبطة بكل فقراء المجتمع، والآخر هو الخمس ـ الذي قسم منه خاص لفقراء السادة ـ ويدفع من الخمس والزكاة للمحتاجين بمقدار احتياجهم السنوي ليس أكثر.

- وعن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه سئل عن هذه الآية فقيل له: (فما كان لله فلمن هو؟ فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله، وما كان لرسول الله فهو للإمام، فقيل له: أرايت إن كان صنف من الأصناف أكثر وصنف أقلّ ما يصنع به؟ قال: ذلك إلى الامام أرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يصنع؟ أليس إنما كان يعطي على ما يرى؟)[3].

(١) تفسير الصافي، ج٢، ص١٩١

(٢) تفسير مجمع البيان، ج٤، ص٣٤٥ و وسائل الشيعة، ج٦، كتاب الخمس.

(٣) تفسير نور الثقلين: ج ٢ ص ١٥٥ ح ١٠٠.

علّة تغيير مصير الإنسان

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

- عدّ كثير من الأحاديث أن عوامل كالظلم والمعصية أسبابٌ لتغيير النعم الإلهية، كما إن التوبة والرجوع عن المعاصي وعن الانحراف عن مسير الحقّ من موجبات أنواع النعم الإلهية على الناس[٢].

إن المعاصي والذنوب والظلم كلها أسباب تمنع الإنسان من أن يكون محلاً لأنواع اللطف الإلهيّ، كما أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) لذلك في خطبته القاصعة، وكما نقرأ في دعاء كميل: (اللهمّ اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم... اللهم اغفر لي الذنوب التي تغيّر النعم).

- ونقرأ في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الاشتر: (... وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد)[٣].

- ويروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) ما معناه أنّ الاستعانة بالله تعالى وحده على ما نلقاه من متاعب في النهار والليل التي هي عقوبات ذنوبنا[٤].

---

(١) الأنفال: ٥٣.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص١٦٣، وتفسير الميزان، ج٩، ص١٠٣

(٣) نهج البلاغة، الرسالة: ٥٣.

(٤) تفسير الاثني عشري، والكافي، ج٢، ص ٢٩٦.

الاستعداد والتهيؤ ضرورة للمجتمع الإسلاميّ

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[1].

- تأمر هذه الآية المسلمين بالاستعداد والتهيؤ أمام الأعداء، وإعداد كلّ أنواع السلاح والإمكانات والوسائل ووسائل الإعلام، وحتى الشعارات والأناشيد الحماسية؛ فإن رعاية مثل هذه الأمور سبب لخوف الكفّار من جند الإسلام ومن استعدادهم هذا.

- عندما اطلّع النبي (صلى الله عليه وآله) أن هناك أسلحة جديدة صنعت باليمن أرسل شخصًا لشراء تلك الأسلحة من هناك، وقد نُقل عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: يدخل الجنّة ثلاثة بسهم واحد، صانعه، ومهيؤه، وراميه[2].

- لقد أُجيزت في الإسلام مسابقات الرماية وركوب الخيل والسبْق فيها للإعداد والتهيؤ لقتال الأعداء.

- يرجع ضمير (لهم) إلى الكفّار، وما جاء في الآية المتقدّمة على هذه الآية ومن يُخاف منه الخيانة، يعني عليكم أن تستعدّوا وتتهيّؤوا أمام الأعداء الذين تخافون خيانتهم، دومًا حتى في حال التعاهد معكم.

أهمّيّة المسجد

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[3].

---

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) تفسير الميزان، ج٩، ص١٣٣.

(٣) التوبة: ١٨.

- يُعدّ المسجد المركز العبادي والاجتماعي المهّم للمسلمين؛ وعليه يجب أن يكون من يتولّى شؤونه نقيًا وصالحًا، كذلك يجب أن تكون برامجه مفيدة ومربّية فضلاً عن وجوب أن تكون الأموال التي تُصرف فيه وميزانيّته حلالاً ومشروعةً، كذلك ينبغي أن يكون روّاده من أهل التقوى وأصحاب الارتباط بالله تعالى، وإلاّ فلو كان بناة المسجد من الجبّارين والسلاطين الظلمة، وأوائل المصلّين فيه من الجهلة والجبناء، وخادموه من المتقاعسين، فسيبتعد المسجد عن هدفه الأصليّ الذي هو البناء والتربية حتمًا.

- قال المرحوم الفيض الكاشاني في تفسير الصافي: ويتناول بناءها ورمّ ما استرمّ منها وكنسها وتنظيفها وتنويرها بالسّرج وزيارتها للعبادة والذّكر ودرس العلم.

- قال رسول الله (ﷺ): (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان)[١].

وقد ذُكرت في الأحاديث كثير من الفوائد للمتردّدين على المساجد، من جملة ذلك: العثور على الصديق والأخ في الدين، والتعلّم المفيد، والإرشاد والابتعاد عن الذنوب، والتعرّض لنعم الله تعالى ورحماته[٢].

- لا يفترق الإيمان عن العمل، ﴿آمَنَ... وَأَقَامَ﴾، والصلاة غير مفترقة عن الزكاة، ﴿أَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾، ولا يفترق المسجد عن الثورة، ﴿مَسَاجِدَ اللّهِ... وَلَمْ يَخْشَ﴾.

معيار الصداقة وحدودها

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣].

---

(١) تفسير الدر المنثور، ج١٠، ص١٤٠

(٢) تفسير الدر المنثور، ج١٠، ص١٤٢

(٣) التوبة: ٣١.

- (أحبار) جمع (حبَر)، بمعنى العالِم، و(رُهبان) جمع (راهب) بمعنى تارك الدنيا، وأولئك مع كل قداستهم عباد لله تعالى.

- قال الإمام الصادق (عليه السلام) في قول الله: ﴿**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ**...﴾: (والله ما صلّوا ولا صاموا لهم، ولكنهم أحلوا لهم حرامًا، وحرموا عليهم حلالاً فاتبعوهم)[1].

- إن إطاعة الآخرين من دون قيد أو شرط تُعدّ نوعًا من عبادتهم، وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من أطاع رجلاً في معصية الله فقد عبده)[2]، ولذا العشق والمحبّة والطاعة يجب أن يكون لها حدّ وحدود، وكل نظام، أو قطب، أو شيخ، أو مرشد، أو طاعة عسكرية أوحزبية هي كالغلوّ في شأن الأنبياء (عليهم السلام) أو عبادتهم أو الاعتقاد بأنهم أبناء الله تعالى، وكلّ ذلك إذا لم يكن نابعًا من الوحي والأوامر الإلهية فإنه يعدّ شركًا بالله تعالى.

حبس الزكاة

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[3].

- **الزكاة في الروايات**

- عن الصادق (عليه السلام) أنّه سُئل في كم تجب الزّكاة من المال؟ فقال: ((الزّكاة الظاهرة أم الباطنة تريد؟ فقيل: أريدهما جميعًا.

فقال: أمّا الظّاهرة ففي كلّ ألف خمسة وعشرون، وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك))[4].

---

(١) بحار الأنوار، ج٢، ص ٩٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص ٩٨.

(٣) التوبة: ٣٤.

(٤) تفسير الصافي، ج٢، ص٣٩٦

- وعنه (عليه السلام) أيضًا أنه قال: (إنّما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجّهوها حيث وجّهها الله تعالى ولم يعطكموها لتكنزوها)[١].

- وطبق ما جاء في الروايات إذا قام القائم (عليه السلام) حرّم على كلّ ذي كنز كنزه حتى يأتيه به فيستعين به على عدوّه[٢].

- وعن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم- القدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يمنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حسابًا شديداً، أو يعذبهم عذابا أليمًا)[٣].

- وقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله): (كلّ مال تؤدّى زكاته، فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وكل مال لا تؤدّى زكاته، فهو كنز وإن كان فوق الأرض)[٤].

أبو ذرّ وآية الكنز

- كان الصحابيّ الجليل أبو ذرّ الغفاريّ (رضوان الله عليه) يعترض على اكتناز معاوية وعثمان وعمّال الحكومة المال وعدم الأمانة في الأموال العامة، وكان يجهر بهذه الآية صباحًا ومساءً أمام معاوية وعثمان وهو يقول: لا تختصّ هذه الآية بمانعي الزكاة، بل هي تشمل كلّ أنواع اكتناز الأموال.

ولقد جاء في التفسير العظيم (الميزان) أنه يظهر من تعامل أبي ذرّ مع عثمان ومعاوية وكعب الأحبار أن اكتناز الأموال حرام في المجتمع الفقير حتى لو كان ذلك بالحلال ودفع الزكاة المتعلقة بذلك المال.

نعم ينسب بعضهم ذلك الحكم للاجتهاد الشخصي لأبي ذرّ، ولكنه نفسه (رض) يقول: (ما قُلتُ لهم إلا ما سمعت من نبيهم)، وكان أبو ذرّ محلاً لتأييد النبيّ (صلى الله عليه وآله) لصراحته وصدقه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير الصافي، ج٢، ص٢٤١.

(٣) تفسير الدر المنثور، ج١٠، ص١٨١.

(٤) تفسير كنز الدقائق، ج٥، ص٤٥١

إنّ من الأمور البارزة في حياة أبي ذرّ أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر في ما يتعلّق بالأحكام الاقتصادية وتبذير الأموال، ولم يكن نزاعه مع عثمان نزاعًا على المال أو المقام إطلاقًا، بل اعتراضه كان على المنكر الاجتماعيّ الذي كان موجوداً آنئاك.

وفي النهاية أبعد عثمان هذا الصحابيّ التقي الثوريّ ونفاه إلى الشام، ثمّ نفوه وبأبشع شكل من الشام إلى المدينة، ثمّ إلى الربذة وهناك قضى مظلومًا مضطهداً، وكان هذا واحداً من الأعمال السيّئة لحكومة عثمان وخلافته.

ولقد سعى الكثير ومن أجل تبرئة عثمان إلى أن يتّهموا أبا ذرّ (رضوان الله عليه) بالاشتراكية والفكر الاشتراكيّ ومخالفته للملكية الشخصية، ولكن العلامة الأميني (رحمه الله) ردّ هذا الاتهام ببحث مبسوط في كتابه (الغدير)[1].

هنا ولقد جاءت كلّ هذه الأحداث - من التبعيد المكرّر لأبي ذرّ - بسبب مناقشاته للحكومة واعتراضاته وصرخاته بوجه السياسة المالية التي كان يتّبعها عثمان تجاه عمّاله وأقاربه، وكذلك بوجه جمع معاوية للثروة من المال العامّ وتبريرات كعب الأحبار لتلك الأفعال المخالفة للشرع، وقد ذكرت في كتب الشيعة والسنة[2]، رغم محاولات بعضهم توجيه ذلك ونسبته إلى الحرّيّة في التعبير والعقيدة في عهد عثمان، أو تبريرهم لذلك بأن نفي ذلك الصحابي الجليل كان لأجل أن دفع الشر أفضل من جلب النفع، فعدّوا أن من الشر وجود أبي ذرّ (رضوان الله تعالى عليه) في المدينة والشام وأن نفيه إلى الربذة جاء رعايةً للمصلحة والمنفعة بحسب فهمهم[3].

---

(١) الغدير، ج٨، ص ٣٣٥.

(٢) تفسير الأمثل، ج٥، ص٢٢٥.

(٣) تفسير المنار، ج١٠، ص ٤٠٦ - ٤٠٧.

ولكن هذا الفعل الشنيع والفاضح مع هذا الصحابي الجليل جاء على اعتراضه على الانحراف الذي كان سائداً في ذلك الوقت، وهو لا يقبل التوجيه والتأويل بمثل هذه الأقوال غير المقبولة[1].

الانتقاد غير المناسب

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[2].

- (اللَمز) هو اللوم المباشر، وأما إذا كان اللوم غير مباشر فهو (همز).

- كان هناك شخص صار في ما بعد قائداً للخوارج والمارقين اعترض على تقسيم النبيّ (صلى الله عليه وآله) لغنائم معركة (حُنين) فقال للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): اعدل!!

فقال له النبيّ (صلى الله عليه وآله): من أعدل منّي؟ فأراد عمر أن يقتل ذلك الرجل لجرأته على نبيّ الإسلام، فقال له النبيّ (صلى الله عليه وآله): اتركه، فسيكون له أتباع من العبّاد وسترون أن عبادتكم لا تعادل من عبادتهم شيئًا (إشارة إلى العبادة الفارغة التي تكون من دون الولاية)، وأنهم مع هذه العبادة سيكونون خارجين عن الدين كخروج السهم عن القوس، وقد هلك ذلك الرجل في النهروان على يد أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

إنّ بعض أحقاد الناس وعداوتهم وطعنهم وقضاءهم بغير الحقّ ما هو إلاّ بسبب عدم حصولهم على بعض المكاسب الماديّة والشخصية، كما أن جذور بعض التحليلات المنحرفة دوافع باطنية نفسية، وقد روي عن إسحاق بن غالب أنه قال: قال

---

(١) لاسيما إذا علمنا بأن أبا ذر هو أصدق إنسان، كما جاء في حديث الرسول وهو يصفه به في قوله: (ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر، يعيش وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويدخل الجنة وحده). روضة الواعظين، للفتال النيسابوري: ص٢٨٣. (الناشر).

(٢) التوبة: ٥٨.

أبو عبد الله (عليه السلام): (يا إسحاق كم ترى أهل هذه الآية: **﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾**؟ قال: ثم قال: هم أكثر من ثلثي الناس)[١].

مجالسة الصادقين

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**[٢].

- إن الآية (١٧٧) من سورة البقرة[٣] تعدّ أهل الإيمان، والإنفاق، والصلاة، والوفاء بالعهد، والصبر على المشكلات من الصادقين، وأن الآية (١٥) من سورة الحجر والآية (٨) من سورة الحشر[٤]، تعدّ المهاجرين الصابرين من الصادقين، وقد جاء في روايات الفريقين أن المقصود من الصادقين هم محمّد وآل محمّد (عليهم الصلاة والسلام).

- إن القادة الإلهيين معصومون وإلا لم يأمر الله تعالى بالكون معهم[٥].

وإن مكانة الصدق إلى الحد الذي يعبّر الله تعالى عن المعصومين بالصادقين في بعض الأحيان، وقد أثنى سبحانه على من طوى مراحل الإيمان والتقوى بهذا العنوان فقال: (آمنوا، اتقوا، الصادقين).

- إن مجالسة الصادقين ومرافقتهم من عوامل التربية وموانع انحراف الإنسان.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤١٢ ح ٤.

(٢) التوبة: ١١٩.

(٣) وهي قوله تعالى: **﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ ص دَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾**.

(٤) وهي قوله تعالى: **﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾**.

(٥) والعجيب من الفخر الرازي أنه يقول: ليس المعصوم شخصًا معيّنًا، بل إنما إجماع الأمّة معصوم من الخطأ!! فهل إجماع من يُخطئ والفاسق محرز للعصمة؟

ضرورة التفقّه في الدين

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١].

- (الدين) هو مجموعة القوانين الإلهية ومقرّرات الإسلام الظاهرية والباطنية.

والإسلام - الذي هو الدين الإلهي الوحيد المرضي عند الله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ...﴾[٢]- يعني التسليم لله سبحانه.

- التفقّه في الدين هو السعي لتحصيل المعرفة العميقة في الدين والعقائد والأحكام الإسلامية.

ويمكن أن يكون التفقّه في الدين أحيانًا من أجل الدنيا وعشق الدرس والبحث والاشتغال وعدم التخلّف عن الأصدقاء، وربما يكون أحيانًا أخرى في سبيل الله سبحانه والجنّة ونجاة الأمّة، وإن الآية تعدّ هذا الأمر - نجاة الأمّة وإنذارها ودعوتها إلى صراط الله - أمرًا يستحقّ السعي والجهد، قال تعالى: ﴿لِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾.

- يجب أن يذهب من كلّ منطقة مجموعة من الأفراد إلى المراكز العلمية لتعرّف الإسلام وليكون في كلّ المناطق رجال دين بالمقدار اللازم، وإن العالِم الذي لا يهاجر من أجل طلب العلم لا يعدّ فقهيًا كاملاً، وقد قال الإمام في حقّ جليس البيت: (كيف يتفقّه في الدين؟!)[٣].

- إنّ للفقه أهمّيّة كبيرة، بحيث إن رسول الله (ﷺ) عندما ودّع أمير المؤمنين في سفره إلى اليمن أمره أن يفقّه الناس هناك فقال: ((فقّههم في

---

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) تفسير كنز الدقائق، ج٥، ص٥٨٣، هكذا ورد في الرواية (قال: وكيف يتفقه هنا في دينه؟).

الدين))[١]، وقد دعا له بالتفقّه في الدين فقال: ((اللهمّ فقّهه في الدين))[٢]، رغم أنه (عليه السلام) كان أفقه الناس بعد النبيّ (عليه السلام).

ثمّ إنّ الإمام عليًّا (عليه السلام) قد أوصى ولده بقوله: (تفقّه في الدين فإن الفقهاء ورثة الأنبياء)[٣]، كذلك قد حَمِد الإمام الحسين الله تعالى في ليلة عاشوراء بقوله: الحمد لله الذي جعلني فقيهًا في الدين.

- إنّ التفقّه في الدين وتعليم الناس أمور دينهم واجب كفائي، وإن الهدف من تعلّم الفقه هو توعية الناس وتثقيفهم ونجاتهم من الغفلة وقلة المبالاة بالمشكلات ذات الطابع الديني؛ ولذا من اللازم على طلاب الحوزة هجرتين: الأولى للحوزات العلمية، والثانية للمدن والقصبات؛ وعليه فمن غير الجائز البقاء في الحوزة بما يتعارض والهدف من تعلّم العلم.

- سُئل الإمام الصادق (عليه السلام): لو عرض للإمام عارض فما هو تكليف الناس؟ فتلا الإمام هذه الآية وقال: إن على الناس أن ينفروا من كلّ مدينة وكلّ مكان لمعرفة إمامهم[٤].

مميّزات القرآن

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٥].

- لمّا كان الكلام عن تحدّي القرآن، فمن المناسب الإشارة إلى بعض خصائص هذه المعجزة الإلهية الخالدة:

(١) مستدرك وسائل الشيعة، ح ٣٦٣٦٩.

(٢) بحار الأنوار، ج٦٦، ص ٩٢.

(٣) البحار، ج١، ص ٢١٦.

(٤) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص ٢٨٤.

(٥) يونس: ٣٨.

١. رصّ المعارف العالية في كلمات قصيرة، فمثلاً يعبّر في مورد المرأة والرجل: ﴿... هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ...﴾[١]، ولبيان ضعف القدرات غير الإلهية يشبّه ذلك ببيت العنكبوت[٢]، أو أنهم أضعف من أن يخلقوا ذبابة كما في قوله سبحانه: ﴿... إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[٣].

٢. جاذبية الكلام وسحر النفوذ: ولو قرئ ألف مرّة فإنه لا يُسأم منه ولا يُملّ، بل في كلّ مرّة يحصل القارئ على نكات جديدة، وفي كلّ مرة يراه جديداً.

٣. لحن الكلام وموسيقاه: فإن لحن القرآن وموسيقاه لحن وموسيقى مختصّتان به، ولو كانت آية منه ضمن كلام العرب أو حتى بين الروايات فإنها ستكون معيّنة ومشخصة.

٤. جامعية القرآن: من البرهان إلى المثل، من الدنيا إلى الآخرة، وهو يتضمن أيضًا مسائل الأسرة والمسائل الحقوقية والعسكرية والأخلاقية والتاريخية و ... .

٥. الواقعية، فلم يُبنَ محتوى القرآن على الحسّ والظنّ، فحتى قصصه واقعية حقيقية.

٦. العالمية، فيستفيد منه الناس في كلّ مستوى وأينما كانوا، رغم أن القرآن ليس كتابًا تخصصياً.

٧. الأبدية، فكلما تطاول عمر البشر وتقدّمت العلوم، فستتكشف أسرار جديدة من القرآن الكريم.

٨. إنّه يؤدّي إلى الرشد والرقيّ: فرغم كثرة أعدائه وكثرة المحاولات للنيل منه، إلا أنه كان عاملًا للرشد والرقي.

٩. معجزة في اليد: فهذه المعجزة بيد الكلّ، ومن نوع الكلام والكلمة التي بيد الكلّ.

---

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) كما في قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، [العنكبوت: ٤١].

(٣) الحج: ٧٣.

١٠. إنه معجزة وكتاب دستور وقانون.

١١. جاء على يد شخص أمّي ومن منطقة محرومة من العلم.

١٢. لم يُزد عليه شيء، ثمّ إنه لم ينقص منه شيء وهو مصون من التحريف.

خصائص أولياء الله

قال تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾[1].

- تُبيّن هذه الآيات خصائص أولياء الله تعالى، وشعارهم هو: ﴿**إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيراً**﴾[2]، ونتيجة هذا الخوف التقوى، وثمرة التقوى: ﴿**لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾[3]، هذا هو خوف أولياء الله في الدنيا، وأما في الآخرة ﴿**لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾؛ لأنه من كان يخاف الله فإنه لا يخاف من غيره.

- قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): (إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة...)[4].

- وقال الإمام عليّ (عليه السلام): (إن الله أخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبداً من عبيد الله فربما يكون وليه وأنت لا تعلم)[5].

---

(١) يونس: ٦٢ - ٦٣.

(٢) الإنسان: ١٠.

(٣) الأنبياء: ١٠٣.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٧ ح ٢٥.

(٥) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٣٠٩.

ومن كان وليًا لله فإن الله يكون وليه، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾[١]، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٣].

الفوز الدنيويّ لأولياء الله تعالى

قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٤].

- جاءت بشارات الله تعالى لأوليائه في الدنيا في آيات أخرى من القرآن الكريم، وهي تبيّن أن أولياء الله هم الفائزون في هذه الدنيا؛ للأسباب الآتية:

١. هم المطمئنون، ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٥].

٢. هم المتوكّلون، ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٦].

٣، منصورون بالمدد الغيبي، ﴿وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾[٧].

٤. هم الفائزون دومًا، ﴿إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾[٨].

٥. لهم النور والفرقان، ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾[٩].

٦. لا يقفون في طريق مسدود، ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾[١٠].

---

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) آل عمران: ٦٨.

(٣) الجاثية: ١٩.

(٤) يونس: ٦٤.

(٥) الرعد: ٢٨.

(٦) آل عمران: ١٢٢.

(٧) الأحزاب: ٩.

(٨) التوبة: ٥٢.

(٩) الأنفال: ٢٩.

(١٠) الطلاق: ٢.

٧. يرون جميع أعمال الخير ذات فائدة، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[١].

٨. لا يخافون لومة لائم، ﴿لاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾[٢].

٩. لا يخافون الناس، ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾[٣].

١٠. لا يخافون من الطاغوت، ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾[٤].

١١. لا يحتارون ولا يضلون، ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾[٥].

١٢. هم المحبوبون، ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[٦].

١٣. يصبغون أعمالهم الفانية بالصبغة الإلهية، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾[٧].

القبلة وهندسة بناء المدن

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

- (القِبلة): للقبلة معنيان، فهي تارة تأتي بمعنى المقابل للشيء، وأخرى بمعنى جهة الكعبة، يعني صناعة البيت على اتجاه القبلة، وربما كان معنى هذه الآية هكذا: طالما كانت قدرة فرعون باقية وهو مصمّم على قتلكم فعليكم أن تتعبدوا في بيوتكم[٩]، كالسنين الثلاث الأولى من بعثة نبيّ الإسلام (صلى الله عليه وآله).

---

(١) الزلزلة: ٧.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) آل عمران: ١٧٣.

(٤) طه: ٧٢.

(٥) يونس: ٩.

(٦) مريم: ٩٦.

(٧) البقرة: ١٣٨.

(٨) يونس: ٨٧.

(٩) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٣١٥.

وعليه فينبغي أن تكون عمارة المدن الإسلامية وبناؤها منسجمًا و الأهداف الدينية للإسلام، ولا تُغفل جهة القبلة، كذلك ينبغي أن يكون بناء البيت بالشكل الذي يكون أداء المراسم الدينية أمرًا عمليًّا.

- إنّ جميع برامج الأنبياء (عليهم السلام) وحتى طريقة بناء المساكن هي على أساس تعاليم الوحي؛ لذا يجب أن تكون مناطق سكن المؤمنين منعزلة عن الكفّار، ولا ندع محلاتنا ومجتمعاتنا يخترقها الأجانب؛ ذلك لتضحى تلك المناطق قاعدة عزّة الثُّلّة المؤمنة وقدرتها واستقلالها، ومن جهة أخرى فإن البيوت المتقابلة تكون أكثر تناسبًا من حيث المركزية والأمان والمحافظة عليها والأنس ببعض.

التوبة المنجية

قال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[1].

- رغم أنّ هذه السورة تبيّن بالتفصيل تاريخ الأنبياء نوح وموسى (عليهما السلام)، ورغم أن قصة توبة قوم يونس جاءت بنصف آية وعلى شكل إشارة، إلا أن هذه السورة سُمّيت بسورة يونس؛ وربما كان ذلك بسبب حساسية عمل قوم يونس وأهمّيته؛ إذ كانوا قد تابوا في اللحظات الأخيرة وقد قبل الله تعالى توبتهم.

- قال الإمام الصادق (عليه السلام): إن يونس (عليه السلام) بعثه اللّه إلى قومه وهو ابن ثلاثين سنة وإنّه أقام فيهم يدعوهم إلى الإيمان باللّه والتصديق به واتّباعه ثلاثًا وثلاثين سنة فلم يؤمن به ولم يتبعه من قومه إلا رجلان، فدعا عليهم يونس (عليه السلام) وذهب عنهم إلى ناحية أخرى، فلمّا رأى أحد المؤمنين ما فعل يونس صعد إلى أعلى جبل وصرخ بأعلى صوته في رأس الجبل على القوم وحذّرهم من العذاب القريب الذي سيقع عليهم، فأفزعهم كلامه و وقع في قلوبهم تحقيق نزول العذاب، فسألوه ماذا يجب عليهم أن يفعلوا فأشار عليهم بأن يعزلوا الأطفال عن الأمّهات وقال لهم: عجّوا عجيج الكبير منكم والصّغير بالصراخِ والبكاءِ والتضرّع إلى اللّه والتّوبة إليه

---

(١) يونس: ٩٨.

والاستغفار له، فلمّا رأوا أن العذاب واقع بهم عجّوا جميعًا بالصّراخ و البكاءِ والتضرّع إلى اللَّه وتابوا واستغفروا، وصرخت الأطفال بأصواتها تطلب أمّهاتها، فلمّا كان ذلك منهم رحمهم الرّحمن فاستجاب دعاءهم، وقبل توبتهم، وأقالهم عثرتهم، وأوحى إلى إسرافيل أن اهبط إلى قوم يونس فإنهم قد عجّوا إليّ بالبكاءِ والتضرّع، وتابوا إليّ واستغفروني فرحمتهم وتبت عليهم وأنا اللَّه التّوابُ الرّحيم[1].

نعم يمكن للإنسان - حتى لو كان على حافة الهاوية - أن يحفظ نفسه ويدفع عنها العذاب والبلاء الإلهي بالإيمان والتوبة والدعاء.

لم يكن من بين الأقوام السابقة التي كذّبت برسالات الأنبياء إلا قوم يونس تابوا قبل فوات الأوان وآمنوا فنجوا من العذاب الإلهيّ المحقّق.

إعجاز القرآن

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

- لا ينحصر إعجاز القرآن بالفصاحة والبلاغة فقط، بل هو معجز من حيث المعارف، والمواعظ، والبراهين، والإخبار بالغيب، والقوانين أيضًا؛ ذلك لأنّ جملة ﴿وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ دعوة لكلّ الناس وليست للعرب الذين يفهمون بلاغة القرآن وفصاحته فحسب، كما يقول في آية أخرى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[3].

- وكثيرة هي جهات إعجاز القرآن، حلاوة ألفاظه وطراوتها، وتناسق محتواه وانسجامه رغم استمرار نزوله على امتداد ٢٣ سنة، وبيان العلوم التي لم يكن لها في ذلك الزمان أي ذكر أو خبر، والتنبؤ بأمور وقعت في ما بعد، والإخبار عن الأقوام السابقة التي لم يبق منها أيّ أثر، وبيان القوانين الجامعة والكاملة في

---

(١) تفسير مجمع البيان، ج٥،ص١٧٧، وتفسير الصافي، ج٢، ص٢٩٦، بتصرّف واختصار.

(٢) هود: ١٣.

(٣) الإسراء: ٨٨.

مختلف مناحي حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، ومصونيته من التحريف والتغيير والقدم والنسيان رغم تمادي الأزمان عليه.

- ورغم هذا التحدي بالإتيان بالشيء اليسير من القرآن إلا أن البشر عجزوا عن أن يأتوا بمثله، فقد قال القرآن: ﴿**لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ**﴾[١]، ثمّ خفف عليهم وقال: ﴿**فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ**﴾[٢]، ثمّ خفف أيضًا فقال: ﴿**فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ**﴾[٣]، فضلاً على هذا التخفيف فقد استخدم مختلف أنواع التحريك، فقد قال: ادعوا عقول مَن فوق الأرض جميعًا إن استطعتم ولن تستطيعوا أن تأتوا بمثل القرآن[٤]، وقد أثبت التاريخ أيضًا أن الأعداء الذين أشعلوا الكثير من الحروب بوجه الإسلام وحاكوا الكثير من المؤامرات عليه؛ لم يستطيعوا قطّ أن يأتوا ولو بسورة واحدة من مثل القرآن حتى، فهل المعجزة غير هذا؟!.

شهود محكمة القيامة

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[٥].

- لمحكمة القيامة شهود كثر:

أ) الله الذي هو شاهد على كلّ أعمالنا، ﴿**الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[٦].

---

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) هود: ١٣.

(٣) البقرة: ٢٣.

(٤) الإسراء: ٨٨.

(٥) هود: ١٨.

(٦) الحج: ١٧.

ب) النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً﴾[١].

ج) الأئمة المعصومون (عليهم السلام)، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ...﴾[٢]، وطبق ما جاء في الروايات فإن المراد من الأمّة الأئمة المعصومون (عليهم السلام)؛ ذلك لأنّ سائر أفراد الأمة لا علم لدني لهم ولا عصمة، وهما - العلم والعصمة - لازمان للشهود في ذلك اليوم.

د) الملائكة، ﴿وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٣].

هـ) الأرض، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[٤].

و) الوجدان، ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٥].

ز) أعضاء البدن، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾[٦].

ح) الزمان ، يقول الإمام السجاد (عليه السلام) في الدعاء السادس من الصحيفة السجادية: ((هذا يوم حادثٌ جديد وهو علينا شاهدٌ عتيد)).

ط) العمل، ﴿وجدوا ما عملوا حاضرا﴾[٧].

أهل البيت (عليهم السلام) هم سفينة النجاة

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٨].

---

(١) النساء: ٤١.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) ق: ٢١.

(٤) الزلزال: ٤.

(٥) الإسراء: ١٤.

(٦) الإسراء: ١٤.

(٧) الكهف: ٤٨.

(٨) هود: ٤١.

- كان الصحابيّ الجليل أبو ذرّ الغفاريّ (رضوان الله عليه) يقول بصوت عالٍ وهو آخذ بحلقة الكعبة: (أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن جهلني فأنا جندب بن جنادة ، أنا أبو ذرّ . أيها الناس، إني سمعت نبيكم صلّى اللّه عليه وآله يقول: مثل أهل بيتي في أمتي كمثل سفينة نوح في قومه ، من ركبها نجا ومن تركها غرق)[١].

ولقد نقل حديث رسول الله هذا مجموعة أخرى من كبار الصحابة في صدر الإسلام أمثال أبي سعيد الخدري، وابن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأنس بن مالك، وجاء أيضًا في كتب أهل السنة[٢].

وإذا لحظنا هذا الحديث المتواتر إلى جنب الحديث المتواتر الآخر الذي جاء فيه أن النبي (ﷺ) قد قال: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية)[٣]؛ سيتضح حينئذٍ أن النبيّ قد بيّن مصداق تلك الفرقة الناجية وهم أهل بيته الطاهرون (عليهم السلام) حيث قال: ((من ركبها نجا)) وكلمة (نجا) مفسرة لكلمة (ناجية) في الحديث الثاني، فتكون النجاة محصورة بالكون مع أهل بيته (عليهم السلام).

أرجى آية في القرآن

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ﴾[٤].

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ص ٤٥٧.

(٢) الطبري في المعجم الكبير، الحاكم النيسابوري في المستدرك، ابن كثير في تفسيره، السيوطي في تاريخ الخلفاء، ابن قتيبة في عيون الأخبار، الطبري في ذخائر العقبى، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، أبو نعيم في حلية الأولياء، ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، الآلوسي في تفسير روح المعاني، وكتب أخرى جاءت مفصلًا في كتاب إحقاق الحقّ، ج٩، ص٢٧٠ وما بعدها.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٣١ ح ٣٠.

(٤) هود: ١١٤.

- روي عن أبي حمزة الثمالي أنه قال: سمعت أحدهما (السجاد أو الباقر) (عليه السلام) يقول: إنّ علياً (عليه السلام) أقبل على الناس فقال: أية آية في كتاب الله أرجى عندكم؟ فقال بعضهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الآية، فقال: حسنة، وليست إياها، وقال بعضهم: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾، قال: حسنة، وليست إياها، وقال بعضهم: (قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ قال: حسنة، وليست إياها، وقال بعضهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً﴾ الآية، قال: حسنة وليست إياها، قال: ثمّ أحجم الناس، فقال: ما لكم يا معشر المسلمين؟ فقالوا: لا والله ما عندنا شيء، قال: سمعت حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: أرجى آية في كتاب الله ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ﴾، وقرأ الآية كلها، قال: يا عليّ والذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً إن أحدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه، فإن أصاب شيئًا بين الصلاتين كان له مثل ذلك، حتى عدّ الصلوات الخمس، ثم قال: يا عليّ إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جارٍ على باب أحدكم فما يظنّ أحدكم لو كان في جسده درن ثمّ اغتسل في ذلك النهر خمس مرّات أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي[1].

النوم والرؤيا

قال تعالى: ﴿إِذْ قالَ يُوسُفُ لابيهِ يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لي ساجِدينَ﴾[2].

- قال النبيّ (صلى الله عليه وآله): (الرؤيا ثلاثة: بشرى من الله، وتحزين من الشيطان، والذي يحدّث به الإنسان نفسه فيراه في منامه)[3].

---

(١) تفسير مجمع البيان، ج٥، ص٢٦٨، وتفسير كنز الدقائق، ج٦، ص٢٥٤.

(٢) يوسف: ٤.

(٣) بحار الأنوار، ج١٤، ص ٤٤١.

يعتقد بعض المفكّرين وعلماء النفس أن رؤية الأحلام ما هي إلا نتيجة الإرهاصات اليومية التي يمرّ بها الإنسان، وقد استشهدوا لذلك بالمثل القديم القائل (من يفكّر في شيء يجده في المنام)، كذلك يعتقد بعضهم الآخر أن الأحلام هي نتيجة المخاوف التي يتعرض لها الإنسان في يومه، ذلك على أساس المثل القائل (نم بعيداً عن الجمل لِئلا ترى حلمًا يزعجك)، واعتقد آخرون أن الأحلام هي نتيجة ظهور الغرائز الباطنية وبروزها، ولكنهم وعلى الرغم من وجود الاختلافات في الرؤيا والأحلام إلا أنهم لم ينكروا أصل وجود الأحلام، ويجب الالتفات إلى هذه النكتة وهي أنه لا يمكن تحليل كلّ الأحلام والرؤى بميزان واحد.

يقول العلامة الطباطبائي: (إن العوالم ثلاثة: عالم الطبيعة وهو العالم الدنيوي الذي نعيش فيه والأشياء الموجودة فيه صور مادّية تجري على نظام الحركة والسكون والتغير و التبدل.

وثانيها: عالم المثال وهو فوق عالم الطبيعة وجوداً، وفيه صور الأشياء بلا مادّة، منه تنزل هذه الحوادث الطبيعة وإليه تعود، وله مقام العلّية ونسبة السببية لحوادث عالم الطبيعة.

وثالثها: عالم العقل وهو فوق عالم المثال وجودًا وفيه حقائق الأشياء... من غير مادّة طبيعية ولا صورة، وله نسبة السببية لما في عالم المثال.

والنفس الإنسانية لتجرّدها لها مسانخة مع العالمين عالم المثال وعالم العقل فإذا نام الإنسان وتعطل الحواس انقطعت النفس طبعًا عن الأمور الطبيعية الخارجية ورجعت إلى عالمها المسانخ لها وشاهدت بعض ما فيه من الحقائق بحسب ما لها من الاستعداد والإمكان.

فإن كانت النفس كاملة متمكّنة من إدراك المجرّدات العقلية أدركتها واستحضرت أسباب الكائنات على ما هي عليه من الكلية والنورية، وإلا حكتها حكاية خيالية بما تأنس به من الصور والأشكال الجزئية الكونية كما نحكي نحن مفهوم السرعة الكلّية بتصوّر جسم سريع الحركة، ونحكي مفهوم العظمة بالجبل، ومفهوم الرفعة والعلو بالسماء وما فيها من الأجرام السماوية ونحكي الكائد المكّار بالثعلب، والحسود بالذئب، والشجاع بالأسد، إلى غير ذلك.

وإن لم تكن متمكنة من إدراك المجرّدات على ما هي عليه والارتقاء إلى عالمها توقّفت في عالم المثال مرتقية من عالم الطبيعة فربما شاهدت الحوادث بمشاهدة عللها وأسبابها من غير أن تتصرّف فيها بشيء من التغيير، ويتّفق ذلك غالبا في النفوس السليمة المتخلقة بالصدق والصفاء، وهذه هي المنامات الصريحة.

وربما حكت ما شاهدته منها بما عندها من الأمثلة المأنوس بها كتمثيل الازدواج بالاكتساء والتلبس، والفخار بالتاج، والعلم بالنور، والجهل بالظلمة...)[1].

ونحن نبيّن ذلك البحث بهذا المثال: إن من يرى الحلم على ثلاثة أنواع: الأول أصحاب الأرواح المجرّدة الكاملة، فبعد أن تنام الحواسّ يرتبط بالعقل ويرى الحقائق صافية واضحة مجرّدة (كالتلفاز الواضح الصافي الذي له هوائي موجّه توجيهًا جيّداً فيلتقط الأمواج التلفازية جيّداً من مكان بعيد)، ومثل هذه الأحلام صافية وواضحة ومباشرة لا تحتاج للتعبير.

والنوع الثاني هو الأشخاص الذين لهم أرواح متوسّطة فهؤلاء يرون الحقائق مخلوطة بالتشبيه والتخيّل وغير صافية تمامًا كما في النوع الأول، (فيجب أن يكون هنا مفسّر - مُتسلم - إلى جنب الهوائي ليوضّح أحداث الفيلم، وبعبارة أخرى: يعبّر عالم تلك الرؤيا).

وأما النوع الثالث فهو أصحاب الأرواح المتلاطمة وغير المستقرّة حيث ليس لأحلام هؤلاء مفهوم معيّن، (كالصورة التلفازية المشوشة تمامًا)، ومثل هذا النوع من الرؤى غير القابلة للتعبير عبّر عنها في القرآن الكريم بأضغاث أحلام.

- لقد ذكر القرآن الكريم مجموعة من الرؤى التي تحقّقت بعد حين، ومن جملة ذلك:

أ) رؤيا يوسف (عليه السلام) في خصوص سجود أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له، وقد عُبّرت بوصوله إلى القدرة وتواضع أخوته وأمّه وأبيه له.

ب) رؤيا صاحبي يوسف (عليه السلام) في السجن، إذ أفرج عن أحدهما في ما بعد وأُعدم الآخر.

---

(١) تفسير الميزان، ج١١، ص ٢٩٩.

ج) رؤيا ملك مصر للبقرات الضعيفة والسمينة وقد عُبّرت له بسنوات من الزرع الوفير يأتي بعدها سنوات من القحط والجفاف.

د) رؤيا نبيّ الإسلام (صلى الله عليه وآله) في خصوص قلّة عدد المشركين في معركة بدر وقد عُبّرت بغلبة المسلمين على المشركين[١].

هـ) رؤيا نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) لدخول المسلمين محلّقين رؤوسهم إلى المسجد الحرام، وقد عُبّرت بفتح مكة وزيارة بيت الله الحرام[٢].

و) رؤيا أم موسى (عليه السلام) أنها تضع الطفل في الصندوق وترميه في الماء، **﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ...﴾**[٣]، وقد دلّت الروايات على أن المراد من الوحي هنا هو الرؤيا.

ز) رؤيا إبراهيم (عليه السلام) أنه يذبح ولده إسماعيل[٤].

وإذا نظرنا خارج القرآن لرأينا أشخاصًا نعرفهم قد اطّلعوا من خلال الرؤيا على أمور لا يمكن أن يطّلع عليها الإنسان أطلاعًا عاديًا.

وقد حُكي أن الشيخ عباس القمّيّ صاحب كتاب (مفاتيح الجنان) جاء لابنه في الرؤيا وقال له: كان عندي كتاب أخذته أمانة من أحدهم، خذه وأعده الى صاحبه لأكون منه في راحة بالبرزخ، فلما استفاق ولده ذهب إلى ذلك الكتاب وطبّق العلامات التي ذكرها له والده، فأخذه، وأثناء خروجه من البيت - ليعيده الى صاحبه - وقع من يده وتضرّر قليلاً فأعاده الى صاحبه على تلك الصورة ولم يقل له شيئًا، فجاء له والده في الرؤيا مرّة أخرى وقال له: لِمَ لمْ تقل له إن كتابه قد تضرّر من سقوطه ليأخذ - إن أراد - قيمة الخسارة أو يعفو عن ذلك؟!

---

(١) الأنفال: ٤٣.

(٢) الفتح: ٢٧.

(٣) طه: ٣٨ - ٣٩.

(٤) الصافات: ١٠.

سيماء النبي يوسف (عليه السلام)

قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأحاديثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا وَالاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[1].

- نمرّ في آخر قصة يوسف على بعض سيماء ذلك النبيّ (عليه السلام).

١. الالتفات الكامل إلى الله تعالى في الصعاب، ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ)، وفي رغد الحياة، (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾.

٢. ترك الاتّجاهات المنحرفة، ﴿... إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

٣. اتّباع الصراط المستقيم للسالفين، ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ... وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

٤. الصبر والثبات في طريق رضا الله تعالى إلى آخر نَفَس، ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾.

٥. الوقار في مقابل الآخرين، ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾.

٦. الصبر والثبات رغم الحوادث والبلايا، ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾، ﴿أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا﴾.

٧. العفاف وترجيح التقوى على الترف، ﴿مَعَاذَ اللّهِ﴾، ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

٨. كتمان الأسرار عن الغرباء، ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾، ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ).

٩. العلم الوفير، ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

١٠. البيان الجميل والفصيح، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ﴾.

١١. أصالة الأسرة وعراقتها، ﴿آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾.

---

(١) يوسف: ١٠١.

١٢ . مداراة المخالفين بالفكر، ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ .

١٣ . الإخلاص، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ .

١٤ . الرغبة والسعي لهداية الآخرين، ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ .

١٥ . القدرة على التجديد والإبداع، ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾، ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم﴾، ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾ .

١٦ . التواضع، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ .

١٧ . العفو والإغماض، ﴿لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ﴾ .

١٨ . الفتوّة والمروءة، ﴿نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ .

١٩ . الأمانة، ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ .

٢٠ . إكرام الضيف، ﴿أَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ .

علامات المؤمن المخلص

قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾[١] .

- علامات المؤمن المخلص:

١ . في الإنفاق: لا يتوقّع الشكر والمكافأة من أحد، ﴿لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً﴾[٢] .

٢ . في العبادة: لا يعبد إلا الله، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٣] .

٣ . في التبليغ: لا ينتظر الأجر إلا من الله تعالى، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ﴾[٤] .

---

(١) يوسف: ١٠٦.

(٢) الإنسان: ٩.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) هود: ٢٩.

٤. في الزواج: لا يخاف من الفقر، ويتزوج بالتوكل على الوعد الإلهي، ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[١].

٥. في التعامل مع الناس: يضع كلّ شيء جانبًا إلا رضا الله، ﴿قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[٢].

٦. في الحرب ومقارعة الأعداء: لا يخاف إلا الله سبحانه، ﴿وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللّهَ﴾[٣].

٧. في المحبّة: لا يحبّ أحداً بقدر حبّه لله سبحانه، ﴿أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ﴾[٤].

٨. في التجارة والعمل: لا يغفل عن ذكر الله، ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٥].

الإيمان المخلوط بالشرك

١. يتمنى العِزّة من الآخرين، ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾[٦].

٢. في العمل: يخلط العمل الصالح بالسيّئ، ﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا)[٧].

٣. في التعامل مع الآخرين، يتعصّب حزبيًا وفئويًا، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٨].

---

(١) النور: ٤٢.

(٢) الأنعام: ٩١.

(٣) الأحزاب: ٣٩.

(٤) البقرة: ١٦٥.

(٥) النور: ٣٧.

(٦) النساء: ١٣٩.

(٧) التوبة: ١٠٢.

(٨) المؤمنون: ٥٣.

٤. في العبادة: يغفل عن العبادة ويرائي فيها، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾(١).

٥. في الحرب والمعركة: يخاف من الناس، ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ﴾(٢).

٦. في التجارة والأمور الدنيوية: يُلهيه طلب الزيادة، ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾(٣).

٧. في اختيار الدين والدنيا: يلهث وراء الدنيا ويترك النبيّ، ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾(٤).

نصر الله عند اليأس

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾(٥).

- كان الأنبياء (عليهم السلام) وعلى مدى التاريخ مصرّين على الثبات على دعوتهم حتى يستيئسوا من هداية الناس، كذلك لم يمتنع معاندوهم عن عنادهم ولجيجهم، ونقرأ في القرآن الكريم نماذج لذلك منها:

أ) نموذج على يأس الأنبياء (عليهم السلام)

بعد سنوات طويلة من دعوة نوح (عليه السلام) للناس وعدم الاستجابة له إلا من ثلّة قليلة قال له الله تعالى: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ﴾(٦)، وقد أبرز نوح غضبه ولعنته على قومه ما يشير إلى حالة يأسه منهم بقوله: ﴿وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾(٧).

---

(١) الماعون: ٥ - ٦.

(٢) النساء: ٧٧.

(٣) التكاثر: ١.

(٤) الجمعة: ١١.

(٥) يوسف: ١١٠.

(٦) هود: ٣٦.

(٧) هود: ٣٦.

كما ويمكن أن نرى ذلك اليأس من إيمان الأقوام السابقة في قصص حياة الأنبياء صالح وشعيب وموسى وعيسى (عليهم السلام) ودعوتهم.

ب) نموذج على سوء ظنّ الناس بالأنبياء (عليهم السلام)

كان الكفّار يظنون أن تهديد الأنبياء ووعيدهم تهديد خال وفارغ وكذب - والعياذ بالله - فنحن نقرأ في سورة هود الآية ٢٧ قوله تعالى: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[١]، وقول فرعون لموسى (عليه السلام): ﴿إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾[٢].

ج) نموذج من نصر الله سبحانه

يثبت القرآن الكريم أن نصر الله حقّ لا ريب فيه قد كتبه الله على نفسه، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، ثمّ إنه سبحانه يقول في آية أخرى: ﴿نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾[٤].

وأمّا في خصوص الغضب الإلهيّ الذي لا يُردّ عن القوم المجرمين فيقول سبحانه في سورة الرعد: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ﴾[٥].

خصائص أولي الألباب

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[٦].

- جاءت ((أولو الألباب)) ١٦ مرّة في القرآن الكريم وبُيّنت في كل مرّة مع كمال ووصف مُعيّن، ومن جملة ذلك:

---

(١) هود: ٢٧.

(٢) الإسراء: ١٠١.

(٣) الروم: ٤٧.

(٤) هود: ٥٨.

(٥) الرعد: ١١.

(٦) الرعد: ١٩.

١. يفهمون أسرار الأحكام، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

٢. يخافون العاقبة، ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٢].

٣. يعتبرون الدنيا داراً مؤقتة لا دار مُقام ومصير، ﴿لأُوْلِي الأَلْبَابِ، الَّذِينَ... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً﴾[٣].

٤. يأخذون من التاريخ دروسًا للعبرة، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٤].

٥. يقبلون أفضل الكلام وأحسنه، ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ... وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٥].

٦. أهل تهجّد وعبادة، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ... إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٦].

الزيارة والتفقد

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾[٧].

- ليست صلة الرحم بالزيارة والملاقاة فحسب، فإن المساعدة المالية من مصاديق صلة الرحم أيضًا، قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((وممّا فرض الله في المال من

---

(١) البقرة: ١٧٩.

(٢) البقرة: ١٧٩.

(٣) آل عمران: ١٩١.

(٤) يوسف: ١٠١.

(٥) الزمر: ١٨.

(٦) الزمر: ٩.

(٧) الرعد: ٢١.

غير الزّكاة قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ...**﴾))[١]، نعم ربما يكون مراد الإمام (عليه السلام) من حقوق الآخرين الخُمس.

- يكفي في أهمّيّة صلة الرحم أن الله تعالى ذَكَرَه إلى جانب ذِكْره حيث قال: ﴿**وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**﴾[٢].

- لا تنحصر الأرحام بالأسرة والمقرّبين بالنسب فقط، بل المجتمع الإسلاميّ الكبير - والذي يكون الكلّ فيه أخوة - أيضًا من الأرحام[٣]، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[٤]، وإنّ النبيّ الأعظم والإمام عليًّا (عليه السلام) هما أبوا هذه الأمّة، فعن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنه قال: ((أنا وعليٌّ أبوا هذه الأمّة))[٥].

- روت سلمة مولاة الإمام الصادق (عليه السلام) قالت: ((كنت عند أبي عبد الله حين حضرته الوفاة فأغمي عليه، فلمّا أفاق قال: أعطوا الحسن بن عليّ بن عليّ بن الحسين وهو الأفطس سبعين ديناراً، وأعطوا فلانًا كذا، وفلانًا كذا، فقلت: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة؟ فقال: ويحك أما تقرئين القرآن؟

قلت: بلى، قال: أما سمعت قول الله (عزّ وجل): ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ**﴾)).[٦]، وهنا يذكّرنا أن شرط صلة الرحم هو حسن الظن لا علاقتهم وارتباطهم بنا.

---

(١) تفسير الصافي، ج٣، ص٤٧.

(٢) النساء: ٢.

(٣) أي: بالمعنى العام للأرحام المتضمّن معنى الأخوة، فالأخوة بين سائر المؤمنين ليست أخوة سببية أو نسبية، وإنما هي أخوة إيمانية، لها حقوقها وواجباتها أيضا. (الناشر).

(٤) الحجرات: ١٠.

(٥) بحار الأنوار، ج٢٣، ص ٢٩٥.

(٦) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٤٩٥.

الصبر والتحمّل

قال تعالى: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[١].

- نكات في الصبر:

١. علينا أن نعلم أن منشأ الصبر ومنبعه من الله سبحانه وتعالى، ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ﴾[٢].

٢. علينا أن نجعل الهدف من الصبر رضا الله تعالى لا السمعة الجيّدة ولا أيّ شيء آخر، ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[٣].

٣. إنّ الصبر من صفات الأنبياء، ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾[٤].

٤. إنّ الصبر مفتاح الجنّة، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾[٥].

٥. إن الصبر في البلايا والاختبارات الإلهية هو المحكّ والملاك في معرفة المجاهدين والصابرين، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[٦].

٦. الصبر سبب الحصول على الصلوات الإلهية، ﴿أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾[٧]، (ربما كانت واحدة من علل الصلاة على النبيّ وأهل بيته (عليهم السلام) هي أنهم كانوا من أصبر الناس).

---

(١) الرعد: ٢٤.

(٢) النحل: ١٢٧.

(٣) المدثّر: ٧.

(٤) الأنبياء: ٨٥.

(٥) البقرة: ٢١٤.

(٦) محمّد: ٣١.

(٧) البقرة: ١٥٧.

٧. إنّ الصبر بالنسبة للإيمان بمنزلة الرأس من البدن، قال النبيّ (صلى الله عليه وآله): ((الصبر من الإيمان كالرأس من البدن))[١].

٨. الصبر ميزان درجات أهل الجنّة، ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾، ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾[٢]، ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾[٣].

٩. إنّ للصبر درجات، نقرأ في الحديث أنّ للصبر على المصيبة ٣٠٠ درجة، وللصبر على الطاعة ٦٠٠ درجة، وللصبر على المعصية ٩٠٠ درجة[٤].

١٠. لقد ورد في القرآن كله أنّ الأجر بغير حساب فقط في مورد الصابرين، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥].

١١. لقد طرح القرآن الكريم الصبر إلى جانب الشكر؛ وذلك إشارة إلى أنّ المشكلات نِعَم أيضًا، قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٦].

١٢. الصبر وصية الإمام الحسين (عليه السلام) لولده الإمام السجاد (صلى الله عليه وآله) حيث قال له: ((يا بني اصبر على الحقّ وإن كان مراً))[٧].

١٣. أحيانًا يُرى في عمل واحد عِدّة أنواع من الصبر كصبر إبراهيم (عليه السلام) في امتثاله للأمر بذبح ولده إسماعيل وهو يعدّ صبراً على الطاعة والتسليم ولازمه صبر على المصيبة أيضًا.

---

(١) بحار الأنوار، ج٩، ص ٢٠٣.

(٢) الفرقان: ٧٥.

(٣) الإنسان: ١٢.

(٤) بحار الأنوار، ج٧١، ص ٩٢.

(٥) الزمر: ١٠.

(٦) إبراهيم: ٥.

(٧) بحار الأنوار، ج٧٠، ص ١٨٤.

عوامل الاطمئنان والأمل

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١].

- يمكن أن يكون لنيل الاطمئنان عوامل متعدّدة، ولكن يبرز على رأس تلك العوامل الوعي والعلم.

- إن من يعلم أنّ لكلّ ذرّة من ذرّات عمله حسابًا ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾[٢]، سيكون مطمئنًا ومؤمّلاً لعمله وفعالياته.

- إنّ من يعلم أنه خُلق على أساس اللطف والرحمة الإلهيّة ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٣] يكون مطمئنًا ومؤمّلاً أيضًا.

- إن من يعلم أن الله للظالمين بالمرصاد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[٤] يكون مطمئنًا.

- إن من يعلم أن الله حكيم وعليم ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[٥]، وأنه تعالى لم يخلق شيئًا عبثًا[٦]، يكون حسن الظنّ بالآخرين.

- إن من يعلم أن طريقه واضح وأن مستقبله خير من ماضيه ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٧]، يكون قلبه مطمئنًا.

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) الزلزال: ٧.

(٣) هود: ١٩.

(٤) الفجر: ١٤.

(٥) البقرة: ٣٢.

(٦) كما في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥). (الناشر).

(٧) الأعلى: ١٧.

- إنّ من يعلم أنّ إمامه وقائده إنسان كامل معصوم من كلّ ذنب وخطأ وقد نُصب من الله تعالى، ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[١]، يكون مطمئنًّا.

- إن من يعلم أن لعمله الحسن سبعة آلاف ضعف من الأجر، بل بلا نهاية، ولكن عمله السيّئ لا يُحسب عليه إلا بمقداره يكون مبتهجًا ومسرورًا، ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

- إنّ من يعلم أنّ الله يحبّ المحسنين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣]، سيكون مطمئنًّا لعمله الحسن.

- إن من يعلم أن عمله الحسن ظاهر وعمله السيئ مستور، ((يا من أظهر الجميل وستر القبيح)) يكون مسروراً.

عوامل الاضطراب والقلق

- إنّ واحداً من أكثر الأمراض شيوعًا في القرن الحاضر مرض الاضطراب والقلق، هذا المرض الذي من علائمه الانزواء، والاعتكاف على النفس، والشعور بالدونية، والعبثية.

وقد ذكروا كثيراً من علامات الإصابة بهذا المرض، منها:

- المريض بهذا المرض يرى أنّ كلّ شيء لا يطابق ميله، فهو مصاب بالاضطراب، في حين يجب علينا أن لا نترك ما يمكن تحقيقه حتى وإن لم يكن هو تمام طموحنا، لأننا لا يمكننا أن نحقق كلّ ما نريد.

- المضطرب نفسيًا يسأل نفسه: لماذا لا يحبّني كلّ الناس؟ لكن الحقيقة هي أنّ حبّ كلّ الناس لا يمكن تحقيقه، فحتى الله تعالى وجبريل (عليه السلام) لهما أعداء، لذا يجب على الإنسان أن لا يتوقع أن يحبّه كلّ الناس.

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) البقرة: ٢٦١.

(٣) البقرة: ١٩٥.

- يظنّ المصاب بالقلق والاضطراب أنّ جميع الناس طالحون، مع أنّ الواقع ليس كذلك، وقد وبّخ الله تعالى الملائكة لمّا كانوا يظنون أنّ الأمر كذلك.

- يظنّ المريض أنّ جميع المشكلات سببها الآخرون، لكن الحقيقة هي أنّ ما يعانيه المرء من مشكلات ما هو إلا ردّات أفعال تجاهه لما صدر منه من أفعال.

- الشخص المضطرب يكون قلقًا من أول الشروع بالعمل ويشعر بالخوف والوحدة، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) لعلاج مثل هذه الحالة: ((إذا خفت من شيء فقع فيه))[١].

- الشخص المضطرب قلق مما سيقع في المستقبل، ويمكن علاج هذه الحالة بالتوكّل على الله تعالى والاستعانة به.

- ولأنه فشل في بعض الأمور فإنّه يقلق من أن يكون في كلّ الأمور مبتليًا بالفشل.

- لمّا كان المريض مستندًا في كلّ أموره على الأشخاص والقدرات غير الدائمة، فبتزلزلهم يشعر بالتزلزل والقلق.

- والخلاصة هي: أنّ أمورًا مثل الشعور بتفاهة جهد الناس وأعمالهم، والذنوب، والخوف من الموت، وإيحاء الأسرة بأنك لا تعلم ولا تستطيع، والأحكام المتسرّعة، والتوقّع غير الصحيح، والتصوّرات الخاطئة، وأمثال هذه الأمور هي علّل وأسباب لكثير من حالات القلق والاضطراب، وهي يمكن بذكر الله تعالى وقدرته وعفوه ولطفه أن تبدّل بالهدوء والاطمئنان.

أقسام القدر

قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٢].

- طبق ما جاء في الآيات والروايات فإن القدر على نوعين:

---

(١) بحار الأنوار، ج٧١، ص ٣٦٢.

(٢) الرعد: ٣٩.

١. الأمور التي فيها مصلحة دائمة؛ ولذا يكون قانونها دائمياً أيضاً، وتشير إليه آيات مثل: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾[١]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[٢]، وإن مثل هذا القدر قد أُثبت في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[٣]، والمقرّبون الإلهيون هم فقط يستطيعون أن يطّلعوا على ذلك، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ، يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٤].

٢. الأمور غير الحتمية، وهي التي مصالحها تابعة لأعمال الناس وسلوكهم، مثل توبة الناس عن الذنوب المستتبعة لمصلحة العفو، أو إعطاء الصدقة المستتبعة لمصلحة دفع البلاء، أو الظلم والاضطهاد المستتبع للغضب الإلهيّ بسبب مفسدته، يعني أنّ الله تعالى ليس مغلول اليد في نظام الكون وهو يستطيع بحكمته وعلمه غير المتناهي أن يغيّر في ذلك النظام وقوانينه من خلال تغيير الشرائط والظروف الحاكمة عليه، ومن البديهي أنّ تلك التغييرات ليست من باب جهل الله تعالى أو تغيير رأيه وندمه على ما فات - والعياذ بالله - بل هي من باب الحكمة الإلهية، وتغيّر ظروف تلك الأمور أو وصولها إلى نهاية وقتها.

وفي القرآن نماذج كثيرة على ذلك، ونحن نشير إلى بعض منها:

أ) قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٥]، يمكن للإنسان وبالتضرّع والدعاء أن يجلب مصالحه ويغيّر عاقبته.

ب) قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾[٦]، ليس كلّ القدر الإلهيّ ثابتاً في كلّ مكان، فلعل الله يغيّر شيئاً عندما تتغيّر شرائطه.

ج) قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٧].

---

(١) ق: ٢٩.

(٢) الرعد: ٨.

(٣) البروج: ٢٢.

(٤) المطففين: ٢٠ – ٢١.

(٥) غافر: ٦.

(٦) الطلاق: ١.

(٧) الرحمن: ٢٩.

د) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[١].

هـ) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ﴾[٢].

و) قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٣].

ز) قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[٤].

ح) قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾[٥].

سؤال: لمّا كان علم الله عين ذاته وغير قابل للتغيّر فيجب أن يكون ما علمه الله تعالى واقعًا لا محالة وإلا لكان ذلك العلم جهلاً.

الجواب: إنّ علم الله على أساس العلل والأسباب، فإن الله تعالى يعلم أن لو انتُفع من هذه الوسيلة المعيّنة لكانت هذه النتيجة المعيّنة، وإذا انتُفع من تلك الوسيلة فسيكون الأمر على تلك الحالة، وعلمه تعالى غير منفصل عن العلم بالعلل والأسباب.

كيفية الشكر

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٦].

---

(١) الصف: ٥.

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) الرعد: ١١.

(٤) الفرقان: ٧٠.

(٥) الإسراء: ٨.

(٦) إبراهيم: ٧.

- قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((شكر النعمة اجتناب المحارم)) وقال أيضًا: ((أدنى الشكر رؤية النعمة من اللّه من غير علّة يتعلّق القلب بها دون اللّه، والرضا بما أعطاه، وأن لا تعصيه بنعمة وتخالفه بشيء من أمره ونهيه بسبب من نعمته))[١].

- إن الشكر على النعم الإلهية لا يعادله شيء أبدًا، وكما يقول سعدي: **(العبد من يعتذر عن تقصيره في ساحة الله وإلا لا يمكن أن يؤدي الإنسان حقّ الله عليه)**[٢].

ونحن نقرأ في الحديث أنه ((في ما أوحى اللّه (عزّ وجلّ) إلى موسى: اشكرني حقّ شكري، فقال: يا ربّ، وكيف أشكرك حقّ شكرك، وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به عليّ؟ قال: يا موسى، الآن شكرتني حين علمت أنّ ذلك مني))[٣].

وكما جاء في الروايات أن ((من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر اللّه))[٤].

- إذا أنفقنا نعمة اللّه في غير طريق الحقّ فإن ذلك يعدّ كفرانًا للنعمة ومقدمة للكفر، قال تعالى: **﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾**، وقال أيضًا: **﴿بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً﴾**[٥].

برّ للوالدين

قال تعالى: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾**[٦].

---

(١) تفسير الأمثل، ج٦، ص٤٩٠.

(٢) ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

(٣) تفسير الأمثل، ج٦، ص٤٩٢.

(٤) بحار الأنوار، ج٧١، ص ٤٤.

(٥) إبراهيم: ٢٨.

(٦) الإسراء: ٢٣- ٢٤.

- لقد أكدت النصوص كثيراً برَّ الوالدين ونهت عن أذاهم وظلمهم، نهيًّا كبيراً:

- ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلا كتب الله له بكلّ نظرة حجّة مبرورةً، وإنّ رضاهم من رضا الله وغضبهم من غضبه، وإن الإحسان للأبوين يطيل العمر ويكون سببًا لإحسان الأولاد.

- وجاء في الأحاديث: إنّ أضجراك فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ، وَلا تَنْهَرْهُمَا إن ضرباك، وإن ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما، فذلك قول كريم، ولا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقّة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يدك فوق أيديهما ولا تقم قدّامهما[١].

- عن بريدة عن أبيه، أنّ رجلاً كان في الطواف حاملاً أمّه يطوف بها، فرأى النّبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فسأله: هل أدّيتُ حقّها؟ فأجابه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «لا، ولا بزفرة واحدة»[٢].

- وروى أبو أسيد الأنصاري قال: ((بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما))[٣].

- وشكا رجل إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أباه أنه يأخذ ماله، فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا، فسأله فقال: إنه كان ضعيفًا وأنا قوي، وفقيراً وأنا غنيّ، فكنت لا أمنعه شيئًا من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قويّ، وأنا فقير وهو غنيّ، ويبخل عليّ بماله، فبكى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وقال: ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى، ثمّ قال للولد: أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك[٤].

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٧، ص٣٨٢.

(٢) تفسير الأمثل، ج٧، ص٢٦٩.

(٣) . تفسير مجمع البيان، ج٦، ص١٨٣.

(٤) تفسير الفرقان ج١٧،ص١٥٧.

- إنّ الإحسان للوالدين من صفات الأنبياء (عليهم السلام) كما جاء في وصف النبيّ عيسى (عليه السلام): ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾[١]، وفي شأن النبيّ يحيى (عليه السلام) أنه كان ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾[٢].

- ليس الوالدان هما الأب والأم الطبيعيين فقط، فقد ورد في الحديث أنّ النبيّ وأمير المؤمنين (عليهما الصلاة والسلام) أبوا هذه الأمّة، ((أنا وأنت يا عليّ أبوا هذه الأمة))[٣]، كما يعدّ إبراهيم (عليه السلام) أبا العرب[٤]، وقال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[٥].

- إذا تفطّن الوالدان إلى أنهما ذُكرا بعد التوحيد فإنه سينبعث فيهما باعث دعوة الأبناء إلى التوحيد، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ ولذا يمكن أن تُؤخذ هذه النتائج من الآية:

١. خدمة الأب والأمّ والإحسان إليهما من أوصاف الموحّد الواقعيّ، ﴿... أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾.

٢. الأمر بالإحسان للوالدين كالأمر بالتوحيد، قطعي وغير قابل للنسخ، (وَقَضَى).

٣. جاء الإحسان للوالدين إلى جانب التوحيد وطاعة الله للدلالة على أن هذا العمل فضلاً على أنه واجب عقلي ووظيفة إنسانية فهو أيضًا واجب شرعيّ، ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

٤. يجب أن يرتبط الجيل الجديد تحت ظلّ الإيمان بالجيل السابق ارتباطًا محكمًا، ﴿... أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

---

(١) مريم: ٣٩.

(٢) مريم: ١٤.

(٣) بحار الأنوار، ج١٦، ص ٩٥.

(٤) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٥٢١، ربما الأنسب أن يُقال بأنه عليه السلام كان أبًا للمسلمين، كما هو ظاهر الآية حيث خُوطب بها المسلمون، وكون ملّته هي ملّة المسلمين وليست ملّة العرب. (الناشر).

(٥) الحج: ٧٨.

٥. لا يؤخذ كون الأبوين مسلمين شرطًا في الإحسان إليهما، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

٦. لا فرق بين الأب والأم في الإحسان، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

٧. ينبغي أن يكون الإحسان للأب والأم من دون واسطة، بل بأيدينا مباشرة، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

٨. الإحسان أرفع من الإنفاق وشامل للمحبّة والأدب والتعلّم والمشورة، والطاعة، والشكر، والمراقبة وأمثال ذلك، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

٩. لا حدّ للإحسان للوالدين ولا نهاية له، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، (ليس كالفقير حتى يشبع، أو الجهاد حتى تُرفع الفتنة، أو الصيام حتى الإفطار).

١٠. توّجهت توصية القرآن بالإحسان للأبناء لا للوالدين، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ ذلك لأن الوالدين لا حاجة لهما بالتوصية فهما يحسنان لأبنائهما طبيعيًا.

١١. كلما كان احتياج الأبوين الجسمي والروحي أكثر كان الإحسان إليهما ضروريًا أكثر، ﴿يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ﴾.

١٢. ينبغي أن لا نأخذ الأب والأمّ السالمين لدار المسنّين، بل علينا أن نعتني بهما بأنفسنا، ﴿عِندَكَ﴾.

١٣. الإحسان لازم والكلام الحسن لازم أيضًا، ﴿إِحْسَانًا... وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾، (القول الكريم أهمّ أسلوب للتعامل مع الوالدين بعد الإحسان إليهما).

١٤. لم يأتِ في الإحسان للوالدين والقول الكريم أيّ شرط في المقابل، يعني حتى لو لم يتعاملوا معك بإحسان كذلك عليك أن تقول لهما قولاً كريمًا، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾.

١٥. يجب على الابن - وفي أيّ موقع كان - أن يتواضع لوالديه ولا يتبجّح بكمالاته أمامهما، ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾.

١٦. ينبغي أن يكون التواضع أمام الوالدين انطلاقًا من المحبّة والرحمة، لا أن يكون ظاهريًا مصطنعًا، أو من أجل أخذ الأموال منهما، ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا... مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

١٧. ينبغي على الابن أن يكون متواضعًا للأب والأمّ وعليه أيضًا أن يطلب من الله الرحمة لهما، **﴿وَاخْفِضْ... وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾**.

١٨. دعاء الابن للأب والأمّ مستجاب، وإلاّ لم يأمر الله تعالى بالدعاء لهما، **﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾**.

١٩. الدعاء للأب والأمّ أمرُ الله تعالى وعلامة على شكرهما، **﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾**.

٢٠. الرحمة الإلهيّة أجر للوالدين لجهودهما في تربية أبنائهما، **﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾**، وكأن الله سبحانه يقول للابن: لا تقصّر في رحمتك واستمدّ من الله العون لأداء حقّ الوالدين.

٢١. لا تنسَ ماضيك ومشكلات زمن الطفولة والصبا التي تحملها والداك، **﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾**.

٢٢. يجب على الأب والأمّ أن تكون تربيتهما لأبنائهما على أساس المحبّة، **﴿ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي﴾**.

٢٣. يجب على الإنسان أن يشكر مربّيه ويكرمه، **﴿ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي﴾**.

صلاة الليل

قال تعالى: **﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾**[1].

- ((الهجود)) يعني النوم، و((التهجّد)) يعني ترك النوم للعبادة.

- إن صلاة الليل من الصلوات كثيرة الفضيلة، وقد جاء في سورة المزمّل قوله تعالى: **﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**[2]، وأيضًا: وعُدّت في الروايات أكثر من ثلاثين فضيلة لصلاة الليل، نُشير لبعض؛ منها:

---

(١) الإسراء: ٧٩.

(٢) المزمل: ٢. وأيضًا ورد فيها قوله تعالى: **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾** (المزمل: ٦). (الناشر).

- كلّ الأنبياء كانوا يصلّون صلاة الليل، وهي سلامة للبدن ومنوّرة للقبر، وهي مؤثّرة أيضًا في الأخلاق وزيادة الرزق ودفع الهم، وأداء الدين ونور العين.

- (صلاة المؤمنين بالليل تذهب بما عملوا بالنهار من السيئات والذنوب، وسبب النور في القيامة الصلاة في جوف الليل)[١].

- قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((ما من حسنة إلاّ ولها ثواب مبين في القرآن، إلا صلاة الليل، فإنّ الله، عز اسمه، لم يبيّن ثوابها، لعظم خطرها))[٢]، فقال: **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٣].

- وقال الإمام الصادق (عليه السلام): ((شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه كفّ الأذى عن الناس))[٤].

- عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنه قال: ((قام أبو ذرّ رحمه الله عند الكعبة فذكر مواعظه إلى أن قال: وصل ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور))[٥].

- العاجز من حرم من صلاة الليل.

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((خيركم من أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى والناس نيام))[٦].

- كانت ثلاثة أمور واجبة على النبيّ (صلى الله عليه وآله) ومستحبة لغيره: صلاة الليل، والسواك، وقيام الليل[٧].

- في كلمة (مقامًا) يظهر التعظيم - للتنوين - وجاء في الروايات أن المقام المحمود هو الشفاعة[٨].

---

(١) بحار الأنوار، ج٨٤، ص١٤٠ ح ٨.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٨ ص ١٠٩.

(٣) السجدة: ١٧.

(٤) بحار الأنوار، ج٨٤، ص١٤١ ح ١٠.

(٥) بحار الأنوار، ج٨٤، ص ١٤١.

(٦) المحاسن: ج ٢ ص ٣٨٧ ح ٢.

(٧) تفسير الفرقان، ج١٥، ص٢٠٠.

(٨) تفسير كنز الدقائق، ج٧، ص٤٨٦.

- عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ((إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل...))[١].

- لقد أقسم الله تعالى بكل قطع الزمان، مثلاً، ﴿وَالْفَجْرِ﴾[٢]، ﴿وَالصُّبْحِ﴾[٣]، ﴿وَالنَّهَارِ﴾[٤]، ﴿وَالْعَصْرِ﴾[٥]، ولكنه أقسم بالليل عدّة مرّات، منها: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[٦]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[٧]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[٨]، وذلك يعني القسم بالليل في كل مقاطعه.

وقد جاءت آيتان في الاستغفار بالسحر، وهي قوله تعالى: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٩]، وقوله: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[١٠].

التوبة في القرآن

قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[١١].

- عادة ما يتبع القرآن آيات العذاب بجملة ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ﴾، أو جملة ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ)، ليقول إن باب الإصلاح لا يُغلق بوجه أحد أبداً.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٧٢ ح ١٦.

(٢) الفجر: ١.

(٣) المدثّر: ٣٤.

(٤) الشمس: ٣.

(٥) العصر: ١.

(٦) الفجر: ٤.

(٧) التكوير: ١٧.

(٨) المدثّر: ٣٣.

(٩) الذاريات: ١٨.

(١٠) آل عمران: ١٧.

(١١) مريم: ٦٠.

- إن التوبة واجبة، لقوله تعالى: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾[١].

- إن قبول التوبة واقعي وقطعي؛ ذلك لعدم إمكان التصديق بأنه تعالى يأمرنا بالتوبة ثمّ لا يتوب علينا وهو القائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[٢]، و﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٣].

- إن الله تعالى فضلاً عن قبوله التوبة ممن يتوب يحبّ كثير التوبة؛ حيث قال: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾[٤].

- يجب أن تكون التوبة مقرونة بالعمل الصالح وجبران الذنوب، قال تعالى: ﴿تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[٥]، وقال: ﴿تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾[٦]، وقال: ﴿تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾[٧].

- التوبة رمز الفلاح، قال تعالى: ﴿وَتُوبُواْ... لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٨].

- التوبة وسيلة تبديل السيئات حسنات، قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[٩].

- التوبة سبب لنزول المطر، قال تعالى: ﴿تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾[١٠].

- التوبة سبب للرزق الحسن، قال تعالى: ﴿تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا)[١١].

---

(١) التحريم: ٨.

(٢) الشورى: ٣٧.

(٣) البقرة: ٣٧.

(٤) البقرة: ٢٢٢.

(٥) الفرقان: ٧١.

(٦) الأنعام: ٥٤.

(٧) البقرة: ١٦٠.

(٨) النور: ٣١.

(٩) الفرقان: ٧٠.

(١٠) هود: ٥٢.

(١١) هود: ٣.

- لا تُقبل التوبة حين الموت والعذاب، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾[١].

- إنّ الله - سبحانه علاوة على قبوله التوبة - له لطف خاصّ بالتائب، قال تعالى: ﴿هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٢]، وقال أيضًا: ﴿ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، وقال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، وقال أيضا: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾[٥]، فقد أشير في هذه الآيات إلى مسألة الرحمة والرأفة والمحبّة الإلهية إلى جانب التوبة.

- ولقد عدّ القرآن ترك التوبة مدعاة للظلم والهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٦]، وقال: (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾[٧].

قلب المؤمن وقلب الكافر

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[٨].

- إن قلب المؤمن وقلب الكافر كلّ واحد محلّ لأمر ما، من جملة ذلك:

قلب المؤمن

١. الحياة، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[٩].

---

(١) النساء: ١٨.

(٢) البقرة: ٣٧.

(٣) الأنعام: ٥٤.

(٤) التوبة: ١١٧.

(٥) مريم: ٦٠.

(٦) الحجرات: ١١.

(٧) البروج: ١٠.

(٨) طه: ٢٥ - ٢٨.

(٩) الأنعام: ١٢٢.

٢. الشفاء، ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[١].

٣. الطهارة، ﴿امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٢].

٤. سعة الصدر، ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[٣].

٥. الهداية، ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[٤].

٦. الإيمان، ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[٥].

٧. السكينة، ﴿السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦].

٨. الألفة، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[٧].

٩. الاطمئنان القلبي، ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٨].

قلب الكافر

١. المرض، ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[٩].

٢. القساوة، ﴿جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[١٠].

٣. الزيغ، ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[١١].

٤. الطبع، ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[١٢].

---

(١) التوبة: ١٤.

(٢) الحجرات: ٣.

(٣) طه: ٢٥.

(٤) التغابن: ١١.

(٥) المجادلة: ٢٢.

(٦) الفتح: ٤.

(٧) الفتح: ٤.

(٨) الرعد: ٢٨.

(٩) البقرة: ١٠.

(١٠) المائدة: ١٣.

(١١) الصف: ٥.

(١٢) النحل: ١٠٨.

٥. إحاطة الظلمة، ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾[١].
٦. الحجاب، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾[٢].
٧. القفل، ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٣].
٨. الختم، ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ﴾[٤].
٩. الصرف وعدم الفهم، ﴿صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم﴾[٥].

الشفاعة وشروطها

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[٦].

لمّا كان إنكار الشفاعة خلاف القرآن والروايات وسببًا ليأس المؤمنين المذنبين، وقبول الشفاعة من دون قيد أو شرط سببًا للجرأة والمعصية وخلاف العدالة؛ فقد اهتّم القرآن الكريم بالشفاعة وذكرها.

الشفاعة - من وجهة نظر القرآن - بوابة أمل المذنبين، ووسيلة لارتباطهم بأولياء الله تعالى ومتابعتهم.

إن الشفاعة إذن لله، وإن المستفيدين من الشفاعة هم فقط الذين يدورون في فلك التوحيد وذوو الاعتقادات الحقّة، والذين يكون كلامهم مورد لقبول الله تعالى، يعني أنّ شهادة هؤلاء ـ بالعقيدة الحقة ـ ليست موضعية، أو موسمية، أو إكراهية، أو سطحية، أو على أساس الاستهزاء والنفاق؛ ففي مثل هذه الصورة ـ إذا كان لهؤلاء[٧] تقصير في العمل ـ فسيكونون بالشفاعة موردًا للعناية الإلهية.

---

(١) المطففين: ١٤.
(٢) الكهف: ٥٧.
(٣) محمد: ٢٤.
(٤) البقرة: ٧.
(٥) التوبة: ١٢٧.
(٦) الأنبياء: ١.
(٧) من الموحّدين وأصحاب العقيدة الحقة وكلامهم مورد القبول.

ومن هنا فقد ذكر القرآن الكريم بطلان شفاعة الأصنام بالنسبة لعبّادهم في الدنيا والآخرة.

ولا يمكن قبول القول بأن الشفاعة هي بمعنى فداء عيسى (عليه السلام) لتطهير ذنوب أتباعه أو شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) للشفاعة لشيعته، رغم أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) من الشافعين العظام يوم القيامة، ولكن يجب أن يُعلم أنه لم يكن هدفه (عليه السلام) من الشهادة الشفاعة لشيعته.

قال الإمام الباقر (عليه السلام) في هذه الآية: ((... لا ينال شفاعة محمّد (صلى الله عليه وآله) يوم القيامة إلاّ من أذن له بطاعة آل محمّد ورضي له قولاً وعملاً فيهم فحيي على مودّتهم ومات عليها فرضي الله قوله وعمله فيهم...))[١].

الحساب يوم القيامة

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[٢].

- ما يُفهم من الآيات هو:

١. السؤال يشمل الكلّ، قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[٣].

٢. الحساب يشمل كلّ الأعمال، ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤].

٣. الحساب يشمل كلّ الأحوال، ﴿...إِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ...﴾[٥].

---

(١) تأويل الآيات، ص ٣٠٤.

(٢) الأنبياء: ١.

(٣) الأنبياء: ١.

(٤) النحل: ٩٣.

(٥) النحل: ٩٣.

٤. جميع أعضاء البدن ستُسأل يوم القيامة، ﴿... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[١].

٥. وسيُسأل عن النعم الإلهية، ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٢].

٦. ستحضر كلّ الأعمال أينما كانت وبأيّ قدر كانت، ﴿... إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ...﴾[٣].

إنّ أول سؤال هناك سيكون عن الصلاة، ثمّ يُسأل عن الأمور المهمّة كالشباب، والعمر، وطريق الكسب ومصرفه، وبالخصوص عن الولاية، ويكفي في ذلك أن الله تعالى هو الذي سيكون الحسيب، قال تعالى: ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[٤].

المفلحون

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[٥].

- ذُكر في القرآن أفراد ومجموعات من المفلحين:

١. العابدون، ﴿... اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦].

٢. من كانت أعمالهم ذات قيمة وثقل، ﴿... فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٧].

٣. الأنقياء من البخل، ﴿... وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٨].

---

(١) الإسراء: ٣٦.
(٢) النحل: ٩٣.
(٣) لقمان: ١٦.
(٤) الأنبياء: ٤٧.
(٥) المؤمنون: ١- ٢.
(٦) الحج: ٧٧.
(٧) الأعراف: ٨.
(٨) الحشر: ٩.

٤. حزب الله، ﴿... ألا إنَّ حزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].
٥. أهل الذكر الكثير، ﴿... واذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾[٢].
٦. المتّقون، ﴿... فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الألْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣].
٧. المجاهدون، ﴿... وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

٨. التائبون، ﴿... وتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥].

مفاسد الزنا

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦].

- ذُكرت بعض مفاسد الزنا في كلام الإمام الرضا (عليه السلام)، ومن ذلك:
١. ارتكاب القتل بقتل الجنين.
٢. اختلال نظام الأسرة والنسب وضياعهما.
٣. ترك تربية الأبناء.
٤. ضياع موازين الإرث[٧].

---

(١) المجادلة: ٢٢.
(٢) الأنفال: ٤٥.
(٣) المائدة: ١٠٠.
(٤) المائدة: ٣٥.
(٥) النور: ٣١.
(٦) النور: ٢.
(٧) بحار الأنوار، ج٧٩، ص ٢٤.

- وقد عدّ الإمام عليّ (عليه السلام): ((ترك الزنا تحصيناً للنسب، وترك اللواط تكثيراً للنسل))[١].

- قال النبي (صلى الله عليه وآله): ((معشر المسلمين إياكم والزنا فانّ فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة: فأما في الدنيا: فإنه يذهب بالبهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما التي في الآخرة: فإنه يوجب سخط الربّ، وسوء الحساب، والخلود في النار))[٢].

- وقد نُقل عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنه قال: إذا كثر الزنا بعدي كثر موت الفجأة[٣].

- لا تزنوا لئلا تتلوّث أزواجكم بالزنا.

- من تجاوز على عرض الآخرين سيُتجاوز على ناموسه، وكما تتعامل مع الآخرين سيُتعامل معك[٤].

- لا تغفل عن مكافأة العمل تخرج الحنطة من الحنطة والشعير من الشعير[٥].

- أربعة أشياء لو كان واحد منها في البيت لكان ذلك البيت خرابًا ولا بركة فيه: ١. الخيانة. ٢. السرقة. ٣. شرب الخمر. ٤. الزنا[٦].

- الزنا من أكبر الكبائر[٧].

- قال الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ((إذا فشت أربعة ظهرت أربعة:

١. إذا فشا الزنا ظهرت الزلازل.

٢. وإذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية.

٣. وإذا جار الحكام في القضاء أمسك القطر من السماء.

---

(١) نهج البلاغة: ج ٤ ص ٥٥ ، رقم: ٢٥٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٦، ص ٢١ ح ١٤.

(٣) المصدر السابق، ج٧٤، ص ١٥٥ ح ١٢٩.

(٤) المصدر السابق، ج٧٦، ص ٢٧.

(٥) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية.

(٦) بحار الأنوار، ج٧٦، ص ١٩.

(٧) المصدر السابق، ج٧٦، ص ١٩.

٤. وإذا خفرت الذمّة نصر المشركون على المسلمين))[١].

النظر وأدبه

قال تعالى: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٢].

- قال الإمام عليّ (عليه السلام): ((لكم أول نظرة إلى المرأة فلا تتبعوها بنظرة أخرى، واحذروا الفتنة))[٣].

- ونقرأ في حديث آخر: ((كلّ عين باكية يوم القيامة، إلا ثلاث أعين: عين بكت من خشية اللّه، وعين غضّت عن محارم اللّه، وعين باتت ساهرة في سبيل اللّه))[٤].

- ونقرأ في البخاري عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنه قال: ((إياكم والجلوس بالطرقات.

فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بدّ نتحدّث فيها.

فقال: إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟

قال: غضّ البصر، وكفّ الاذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر))[٥].

- وقال النبيّ عيسى (عليه السلام): اتّقوا النظر إلى غير المحارم فإنه يلقي ببذر الشهوة في القلب وهي كافية لإلقاء الإنسان في الفتنة[٦].

---

(١) المصدر السابق، ج٧٦، ص ٢١.

(٢) النور: ٣٠.

(٣) الخصال: ٦٣٢؛ تفسير كنز الدقائق، ج٩، ص٢٥٧.

(٤) تفسير كنز الدقائق، ج٩، ص٢٥٨.

(٥) صحيح البخاري: ج ٧ ص ١٢٦.

(٦) تفسير روح البيان، ج١٨، ص١٤٠.

- وقال الإمام عليّ (عليه السلام): ((العين رائد القلب))، وقال: ((العين مصائد الشيطان))، وقال أيضًا: حفظ العين أفضل طريق للتقوى من الشهوات[١].

- وقال النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله): ((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفًا من الله أعطاه الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه))[٢].

- وقال (صلى الله عليه وآله): ((من ملأ عينه من حرام ملأ الله عينه يوم القيامة من النار، إلاّ أن يتوب ويرجع))[٣].

- وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في خصوص النظر الجائز للمرأة: ((الوجه والكفّين والقدمين))[٤]، وطبعًا ما كان من دون شهوة.

ضرورة الوقاية من الفحشاء

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاء ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٥].

- بإلقاء نظرة سريعة على آيات سورة النور سنرى أن سياسة الوقاية من الفحشاء كامنة في آيات هذه السورة المباركة، فمثلاً ينبغي معاقبة الرجل والمرأة الزانيين أمام أعين الآخرين، (آية ١) تقييد زواجهما، (آية ٢) إذا لم يؤتَ بأربعة شهود لا تقبل الدعوى بل يُحكم على المدّعي بثمانين جلدة، (آية ٤) توعّد من اتهم نساء النبيّ بعذاب عظيم، (آية ١١) النهي عن اتهام الآخرين، (آية ١٢) توعّد من يحب

---

(١) غرر الحكم.

(٢) بحار الأنوار، ج١٠٤، ص ٣٨.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥١٥.

(٤) تفسير كنز الدقائق، ج٩، ص٢٥٩.

(٥) النور: ٥٨.

إشاعة الفحشاء بعذاب عظيم، (آية ١٩) لا تتبعوا خطوات الشيطان، (آية ٢١) توعّد من يتهم النساء العفيفات بعذاب عظيم، (آية ٢٣) الكلام السيّئ يخرج من الخبثاء لا منكم، (آية ٢٦) لا تذهبوا لبيوت الآخرين بغير ميعاد، وإذا ذهبتم وقيل لكم ارجعوا فارجعوا، (آية ٢٧ - ٢٨) لا ينظر الرجال إلى النساء غير المحارم وبالعكس، (آية ٣٠ - ٣١) على النساء أن لا يظهرن زينتهن إلا لأزواجهنّ، وعليكم بالسعي في زواج الآخرين ولا تخافوا الفقر، (آية ٣٢) ويقول في هذه الآية يجب أن لا يدخل أحد وحتى الأطفال على الرجل إذا خلا بزوجته في ساعات الخلوة.

نعم، كل هذه القوانين والأوامر الإلهية هي لمنع وقوع الفاحشة والوقاية منها، وحفظ الحريم والحياء وماء الوجه.

- ويمكن استفادة بعض الرسائل من الآية محلّ البحث، وهي:

١. إن الوالدين المؤمنين مسؤولان عن تعليم أحكام الدين لأبنائهما، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ﴾.

٢. ينبغي أن يكون مكان نوم الوالدين منعزلاً وبعيداً عن أعين الأطفال وأسماعهم، وإلا لم تكن هناك حاجة للإذن، ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ﴾.

٣. ليس الطفولة والاسترقاق عذراً لهتك حريم الآخرين، ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ﴾.

٤. ينبغي أن يخصص الرجل ساعات من الليل والنهار لزوجته من دون أن يزاحمه أطفاله في ذلك، ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ﴾.

٥. للأطفال تكليف أيضاً، ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ... الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾.

٦. الإسلام دين الحياة، وله الإبداع والجامعية الشاملة للمسائل الجزئية كدخول الأطفال إلى غرفة الوالدين (الذي جاء في هذه الآية)، وكذلك للمسائل المهمّة كتشكيل الحكومة العالمية مثلا، (والذي جاء في الآية ٥٥).

٧. ينبغي للأطفال أن يتعلّموا الطهارة والعفاف من محيط البيت، ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ﴾.

٨. ينبغي أن نشرع بتربية الأطفال وتعليمهم الآداب الإسلامية قبل البلوغ، ﴿الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾.

٩. ينبغي في البيت خلع لباس العمل ولباس الخروج، ﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾.

١٠. الاستراحة مفيدة ومناسبة بعد الظهر وبعد ساعات العمل، ﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾.

١١. يجب أن يكون تنظيم الوقت في حياة المسلمين على أساس أوقات الصلاة، ﴿مِن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ... مِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ﴾.

١٢. إن جميع الأحكام الإلهية مصاغة على أساس الحكمة الإلهية، ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

عوامل الضلال والانحراف

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾[١].

- جاء بيان عوامل الضلال والانحراف في القرآن كالآتي:

١. الرفيق السيّئ، ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾[٢].

٢. الهوى، ﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٣].

٣. العلماء المنحرفون، ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[٤].

٤. القائد المنحرف، ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[٥].

٥. الشيطان، ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[٦].

---

(١) الفرقان: ١٧.

(٢) الفرقان: ٢٩.

(٣) ص: ٢٦.

(٤) البقرة: ٧٩.

(٥) طه: ٧٩.

(٦) القصص: ٢٥.

٦. الأكثرية المنحرفة، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ...﴾[١].

٧. الوالدان المنحرفان، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا... وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[٢].

كيفيّة اكتساب الأصدقاء

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾[٣].

- لقد ركز الإسلام كثيراً الصداقة واختيار الصديق، وقد حثّ على مصادقة بعض الأشخاص ونهى عنها مع آخرين، وهذه عناوين لبعض تلك الأمور التي جاءت في هذا الصدد:

- طرائق معرفة الصديق، وحدود الصداقة، ومواصلة الصداقة، وقطع الصداقة، وبواعث الصداقة، وآداب معاشرة الأصدقاء وحقوقهم.

ولقد جاءت في كلّ واحد من هذه العناوين آيات وروايات كثيرة، ونحن نشير هنا إلى جانب منها:

- إذا تردّدت في معرفة شخص فانظر إلى رفاقه من هم، ((فانظروا إلى خُلطائه))[٤].

- الوحدة خيرٌ من صديق السوء[٥].

- سُئل النبيّ (ﷺ) من أفضل صديق؟ فقال (ﷺ): مَن تُذكّركم الله

---

(١) الأنعام: ١١٦.

(٢) الزخرف: ٢٣.

(٣) الفرقان: ٢٧ - ٢٩.

(٤) بحار الأنوار، ج٧٤، ص ١٩٧.

(٥) المصدر السابق، ج٧٧، ص ١٧٣.

رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويحيي عمله فيكم ذكر يوم القيامة[١].

- قال الإمام علي (عليه السلام): عند ذهاب القوّة تعرف الصديق من العدو[٢].

- وقال الإمام عليّ أيضًا: الرفيق الصالح أفضل أسرة[٣].

- وجاء في الحديث ما معناه: اختبر الصديق في مورد الغضب، والدينار والدرهم، والسفر، فإذا اجتازها فهو خير رفيق[٤].

وقد جاء في أشعار الشعراء ذكرٌ كثيرٌ للصداقة والصديق، وكذلك جاء التركيز على معاشرة الأصدقاء الصالحين ورفقتهم: يجب أن يكون رفيقك أفضل منك ليزيد في عقلك ودينك[٥].

وقد ذُمّ مجالسة رفاق السوء، وشُبّه رفيق السوء بالحيّة الرقطاء التي يخفى في داخلها السمّ المرّ: اهرب ما بوسعك من رفيق السوء، فهو أسوأ من الحيّة الرقطاء.

الحيّة الرقطاء خطر على حياتك فقط، والرفيق السيئ خطر على حياتك وإيمانك[٦].

وقد شُبّه رفيق السوء بالسحاب المُثقل الذي يغطّي الشمس بعظمتها: لا تصاحب السيّئين حتى لو كنت من العظماء؛ فالشمس وهي بهذه العظمة يغطّيها جزء صغير من السحابة[٧].

هجر القرآن

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾[٨].

---

(١) تفسير القرطبي، ج١٣، ص٢٥.

(٢) غرر الحكم.

(٣) المصدر السابق.

(٤) بحار الأنوار، ج٧٤، ص ١٨٠.

(٥) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية.

(٦) ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

(٧) ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

(٨) الفرقان: ٣٠.

- تحكي هذه الآية قول نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله).

ولمّا كان (صلى الله عليه وآله) ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ لم يلعن قومه قط.

- قال الإمام الرضا (عليه السلام) ما معناه: السبب الذي من أجله نقرأ القرآن في الصلاة هو لإخراج القرآن من هجرانه[1].

- وجاء في الروايات أقرؤوا في كل يوم خمسين آية من القرآن ولا يكن همّكم الوصول إلى آخر السورة، أقرؤوا بهدوء واطمئنان وعلّقوا قلوبكم بتلاوة القرآن، ولوذوا بالقرآن إذا هجمت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم[2].

- ويبدو لي أن من المناسب هنا نقل إقرار بعض العلماء بهجر القرآن:

أ) يقول الملا صدرا في مقدّمة تفسير سورة الواقعة: وإنّي كنت سالفًا كثير الاشتغال بالبحث والتكرار، وشديد المراجعة إلى مطالعة كتب الحكماء النظّار، حتّى ظننت أنّي على شيء، فلمّا انفتحت بصيرتي قليلاً ونظرت إلى حالي، رأيت نفسي - وإن حصّلت شيئًا من أحوال المبدأ وتنزيهه عن صفات الإمكان والحدثان، وشيئًا من أحكام المعاد لنفوس الإنسان - فارغة من علوم الحقيقة وحقايق العيان، ممّا لا يدرك إلاّ بالذوق والوجدان، وهي الواردة في الكتاب والسنّة من معرفة اللّه وصفاته وأسمائه وكتبه ورسله، ومعرفة النفس وأحوالها من القبر والبعث والحساب والميزان والصراط والجنّة والنار وغير ذلك مما لا تُعلم حقيقته إلا بتعليم اللّه، ولا تنكشف إلا بنور النبوّة والولاية... فعلمت يقينًا أن هذه الحقائق الإيمانية لا تدرك إلا بالتصفية للقلب عن الهوى، والتهذيب عن أعراض الدنيا، والعزلة عن صحبة الناس وخصوصًا الأكياس، والتدبّر في آيات اللّه وحديث رسوله وآله عليهم السلام، والتسيّر بسيرة الصالحين، في بقيّة من العمر القليل، وبين يديّ السير الطويل، فلمّا أحسست بعجزي وأيقنت أنّي لست على شيء، وقد كنت قنعت عن ضوء النور بظلّ وفيء، اشتعلت نفسي لكثرة الاضطرار اشتعالاً قويًا، والتهب قلبي لشدّة الانضجار التهابًا نوريًا، فتداركته العناية الأزلية بالرحموت، ونظرت إليه العطوفة الربّانيّة بشيء من لوامع الملكوت، فأفاض عليّ من بحر الجود شيئًا من أسرار الوجود،

(١) تفسير نور الثقلين، ج٤، ص١٣.

(٢) المصدر السابق، ج٤، ص١٣.

وأفادني مظهر الخفيّات ومنوّر المهيّات بعضًا من أسرار الآيات وشواهد البيّنات، فاطّلعت على بعض أسرار التنزيل وحقائق التأويل، فشرعت (بعد) خيرة من اللّه ورسوله في تفسير طائفة من السور والآيات، وقرعت باب رفع الحجب وكشف النقاب عن وجوه البيّنات، فرأيتها بحمد اللّه كطبقات الجنان مفتّحة الأبواب، فيها وجوه من الحور العين، ينادون أصحاب الكشف واليقين: ﴿**سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾[١].

ب) ويقول الفيض الكاشاني (قدّس سرّه): كتبت كتبًا ورسائل وحقّقت كثيراً ولكني لم أجد في أي واحد من العلوم دواءً لدائي وماءً لعطشي فخفت على نفسي وفررت إلى اللّه تعالى وأنبت إليه حتى هداني إلى طريق التعمّق في القرآن والحديث[٢].

ج) وقد تأسّف الإمام الخميني (رضوان اللّه تعالى عليه) على أنه لم يصرف تمام عمره في طريق القرآن وهو يوصي الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية أن يجعلوا القرآن وجميع أبعاده المختلفةِ المقصدَ الأعلى في كلّ التخصّصات لئلا يتأسفوا في آخر العمر على أيام الشباب[٣].

- (الهجر) هو الانفصال، وهو يشمل العمل والبدن واللسان والقلب[٤].

- يجب أن تكون رابطة الإنسان بالكتاب السماوي دائمة وفي كلّ الميادين والصُعد؛ ذلك لأن كلمة (هجر) تستخدم عندما يكون هناك رابطة بين الإنسان وشيء ما[٥].

وعليه فيجب علينا السعي لِنُخرج القرآن الكريم من هجرانه، ونجعله محوراً علمياً وعملياً في كلّ مناحي الحياة لننال بذلك رضا نبي الإسلام (ﷺ).

(١) مقدّمة تفسير سورة الواقعة.

(٢) رسالة الإنصاف.

(٣) صحيفة النور، ج٢٠، ص ٢٠.

(٤) مفردات الراغب، ص٦٦٧.

(٥) التحقيق في كلمات القرآن.

- إن عدم قراءة القرآن أو ترجيح غير القرآن عليه، وعدم جعل القرآن محوراً، وعدم التدبّر في القرآن، وعدم تعليمه للآخرين وعدم العمل به، كلّ ذلك من مصاديق هجر القرآن الكريم، وحتى ذلك الذي تعلّم القرآن ولكنّه وضعه جانبًا ولم ينظر إليه ولم يتعاهده؛ فهذا أيضًا يكون قد هجر القرآن[1].

آثار عبادة الهوى

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[2].

- إن عبادة الهوى منبع الغفلة، ﴿... وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[3].

- وإن عبادة الهوى منبع الكفر، ﴿... مَن لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[4].

- وإن عبادة الهوى أسوأ أنواع الانحراف، ﴿... أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[5].

- وإن عبادة الهوى تمنع من القضاء العادل، ﴿... فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى...﴾[6].

- وإن عبادة الهوى منبع الفساد، ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ...﴾[7].

- وإن عبادة الهوى منبع الغصص.

- ومن يعبد هواه لا إيمان له.

---

(١) التفسير المنير، ج١٩، ص٦١.

(٢) الفرقان: ٤٣.

(٣) الكهف: ٢٨.

(٤) طه: ١٦.

(٥) القصص: ٥٠.

(٦) ص: ٢٦.

(٧) المؤمنون: ٧١.

- ومن يعبد هواه لا عقل له.
- وإن بداية الفتنة إطاعة الهوى وإيجاد البِدع.
- الهوى أعمى الإنسان، وهو يذهب بالقدرة على تشخيص الحقّ.
- إن أشجع الناس من غلب هواه.
- يقول النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله): إنما سُمّي الهوى هوًى لأنه يهوي بصاحبه[١].

علل سكوت أمير المؤمنين (عليه السلام)

قال تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ، فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢].

- ذات يوم احتجّ بعضهم في مسجد الكوفة فقالوا: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الثلاثة ـ الخلفاء الثلاثة ـ كما نازع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية؟

فبلغ ذلك علياً عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: ((معاشر الناس، إنه بلغني عنكم كذا وكذا، قالوا صدق أمير المؤمنين قد قلنا ذلك، قال: فإن لي بسنة الأنبياء أسوة فيما فعلت قال الله عز وجل في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾[٣]، قالوا ومن هم يا أمير المؤمنين؟ قال: أوّلهم إبراهيم عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[٤] ... ولي بابن خالته لوط أسوة؛ إذ قال لقومه: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[٥]... ولي بيوسف عليه السلام أسوة؛ إذ قال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾[٦]... ولي بأخي هارون عليه السلام أسوة؛ إذ قال لأخيه: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ

(١) منتخب ميزان الحكمة، ص٦٥١.

(٢) الشعراء: ٢٠ - ٢١.

(٣) الأحزاب: ٢١.

(٤) مريم: ٤٨.

(٥) هود: ٨٣.

(٦) يوسف: ٣٣.

يَقْتُلُونَنِي﴾[١]...))[٢]، وعليه فربما اضطرّ وأجبر أولياء الله تعالى في بعض الظروف إلى الانزواء والسكوت.

الشّعر والشّعراء

قال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾[٣].

- بمناسبة الشعر والشعراء نبيّن في ذيل هذه الآية بعض المطالب في خصوص ذلك:

١. نُقل عن تفسير البيضاوي أنه لما كانت أكثر أشعار الجاهلية إنما نُظمت في التخيّلات وتوصيف النساء الجميلات والعشق والتفاخر الباطل، أو الفحش والتعرّض لحرمة الآخرين؛ فلذلك نزلت هذه الآيات ﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾.

٢. إن الفرق بين الحكيم والشاعر هو أن الحكيم يأخذ المعاني بنظر الاهتمام أولاً ثمّ ينظم تلك المعاني في قالب الألفاظ، ولكن الشاعر ينظر للألفاظ أوّلاً ثم يبيّن المعاني[٤].

٣. لقد عُدّ - في الروايات - الشعر الجيّد المدافع عن الحقّ أفضل من الجهاد بالنبل، و ورد فيه المدح الكثير[٥].

٤. قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): «إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حكمًا»[٦].

---

(١) الأعراف: ١٥٠.

(٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج ١ ص ١٤٨ ح ٧.

(٣) الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٤) قاموس (دهخدا).

(٥) تفسير كنز الدقائق، ج٩، ص٥١٣.

(٦) التفسير المنير.

٥. وقال النّبيّ (ﷺ) لحسّان بن ثابت: ((اهجُهم، وروح القدس معك...))[١].

٦. أخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين ((قال رسول اللّه (صلّى اللّه تعالى عليه [وآله] وسلّم) ليلة وهُم في سفر: أين حسان بن ثابت؟ فقال: لبيك يا رسول اللّه وسعديك، قال: خذ، فجعل ينشده ويصغي إليه حتى فرغ من نشيده، فقال رسول اللّه (صلّى اللّه تعالى عليه [وآله] وسلم): لهذا أشدّ عليهم من وقع النبل))[٢].

٧. وقال الإمام الصادق (عليه السلام): ((**يا معشر الشّيعة، علّموا أولادكم شعر العبديّ فإنّه على دين اللّه**))[٣].

٨. وقال الإمام الصادق (عليه السلام): من أنشد في حقّنا بيت شعرٍ أعطاه اللّه به بيتًا في الجنّة[٤].

٩. وعن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد اللّه (عليه السلام) يقول: ((تُكره رواية الشعر للصائم والمُحرمِ، وفي الحرم وفي يوم الجمعة، وأن يروى بالليل. قال: قلت: وإن كان شِعر حقّ؟ قال: وإن كان شعر حقّ))[٥].

١٠. ونقرأ في الروايات أن أصدق شعر قالته العرب هو:

ألا كلّ شيءٍ ما خلا اللّه باطل وكلّ نعيمٍ لا محالة زائل[٦].

١١. وجاء في الرواية أنه لما نزل قوله تعالى ﴿**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**﴾ جاء بعض من الشعراء - وهم قلقون - إلى النبي (ﷺ)، فقال لهم النبيّ (ﷺ): ((إنّ المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه....))[٧].

---

(١) تفسير كنز الدقائق، ج٩، ص٥١٣.

(٢) تفسير روح المعاني، ج١٩، ص١٩٧.

(٣) تفسير كنز الدقائق، ج٩، ص٥١٣.

(٤) بحار الأنوار، ج٧٩، ص ٢٩١.

(٥) وسائل الشيعة، ج٧، ص ١٢١.

(٦) تفسير المواهب العلية(فارسي).

(٧) تفسير منهج الصادقين(فارسي).

التعليمات الإلهية الخاصّة

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

- لقد علّم الله تعالى أفراداً خاصّين علوماً خاصّة، وقد جاء ذكرهم في القرآن، ومنهم:

١. آدم، علم كلّ شيء، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾[2].

٢. الخضر، العلوم الباطنية، (ليصير موسى تلميذه)، ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ...﴾[3].

٣. يوسف، علم تعبير الأحلام، ﴿عَلَّمَنِي رَبِّي...﴾[4].

٤. داوّد، علم صناعة الدروع، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ...﴾[5].

٥. سليمان، علم منطق الطير، ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾[6].

٦. معاون سليمان، العلم الذي استطاع به أن يأتي بعرش بلقيس، ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ...﴾[7].

٧. طالوت، العلوم العسكرية، ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ...﴾[8].

---

(١) النمل: ١٥.

(٢) البقرة: ٣١.

(٣) الكهف: ٦٦.

(٤) يوسف: ٣٧.

(٥) الأنبياء: ٨٠.

(٦) النمل: ١٦.

(٧) النمل: ١٦.

(٨) البقرة: ٢٤٧.

٨. الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وسائر الأنبياء (عليهم السلام)، علِم الغيب، ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ...﴾[١].

آداب الإدارة الإسلامية

قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[٢].

١. إن سعة الصدر واحدة من أصول القيادة والإدارة، لقد سمع النبيّ سليمان (عليه السلام) جملة ﴿لا يَشْعُرُونَ﴾ من النملة ولكنه لم يردّها عليها بل تبسّم من قولها ذاك، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾.

٢. اسمع واستقبل الانتقاد وكلام الحقّ من أيّ شخص (سليمان قبل كلام النملة)، ﴿فَتَبَسَّمَ﴾، وقبول الانتقاد فضيلة.

٣. الله تعالى يربي أولياءه تربية خاصّة، ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ... فَتَبَسَّمَ﴾، ابتلى الله تعالى سليمان - مع ذلك المقام والسلطنة - بنملة ليوجد في نفسه التعادل.

٤. ينبغي أن نكون مسرورين ومنبسطين إلى الدرجة التي تأمل حتى النملة بعدالتنا، ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ... فَتَبَسَّمَ﴾.

٥. ضحك الأنبياء تبسّم لا قهقهة، عندما أخَذَ سليمان بالضحك تبسّم، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾.

٦. فهم سليمان كلام النملة والتفت إلى معاونيه، ﴿مِن قَوْلِهَا﴾.

٧. ليس الدعاء خاصًّا بوقت الاضطرار فالأنبياء كانوا يدعون حتى وهم في أوج العظمة والقدرة، (رَبِّ).

٨. علينا أن نطلب توفيق الشكر من الله تعالى، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ﴾.

---

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) النمل: ١٩.

٩. يجب على الإنسان أن يشكر الله تعالى على النعم التي أفاضها عليه، ويجب عليه أن يفكّر بمسؤوليات المستقبل بالعمل الصالح وجلب رضا الله تعالى وإلحاقه بالصالحين، ﴿أَشْكُرَ... أَعْمَلَ صَالِحًا...﴾.

١٠. يجب على الأبناء أن يشكروا الله تعالى على النعم التي أنعمها عليهم وعلى والديهم، ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾.

١١. ليس الشكر باللسان فقط، فالعمل الصالح والاستفادة الصحيحة من النعم الإلهية شكر أيضًا، ﴿أَشْكُرَ ... أَعْمَلَ صَالِحًا﴾.

١٢. رغم أنه كان لسليمان جيش كبير، ورغم أنه كان يعلم منطق الحيوانات، إلا أنه كان يفكّر بالعمل الصالح لا باللذّة وتوسيع القدرة والتفاخر، ﴿أَعْمَلَ صَالِحًا﴾.

١٣. ينبغي أن يكون سعي الحكّام لأداء العمل الجيّد، ﴿أَعْمَلَ صَالِحًا﴾.

١٤. العمل والسعي بشرط أن يكون صالحًا ومورد قبول الله سبحانه وتعالى، ﴿صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾.

١٥. للعمل الصالح قيمته فهو يجلب رضا الله سبحانه، لا رضا الناس فقط، ﴿صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾.

١٦. المقصد الأعلى في حكومة الصالحين هو رضا الله تعالى، ﴿تَرْضَاهُ﴾.

١٧. الأنبياء أيضًا محتاجون للمدد الإلهيّ، ﴿أَوْزِعْنِي ... أَدْخِلْنِي﴾.

١٨. للحياة في المجتمع الصالح قيمتها، لا الحياة في المجتمع غير الصالح، ذلك أيضًا من أجل الترف والكسب واللذّة، ﴿أَدْخِلْنِي... فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

١٩. علينا أن لا نتوهم أن إمكاناتنا وقدراتنا اليوم علامة نيل الرحمة الإلهية، بل ينبغي علينا أن ندعوا لتوفيقنا ورشدنا، ﴿وَأَدْخِلْنِي﴾.

٢٠. ليست إمكانات الإنسان نتيجة عمله، بل هي تنبع من عين الرحمة الإلهية، ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾.

٢١. على كلّ شخص - وحتى الأنبياء - وفي أيّ ظرف كان أن يتوسّل بالرحمة الإلهية، ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾.

٢٢. الانفراد ممنوع، ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

أصل الإيمان بالله

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

- إنّ جذر الإيمان بالله تعالى ومنبعه هو العقل والفطرة، ولكنّ المادّيين يقولون: إن الإيمان بالله نابع من الخوف، فلمّا كانوا يرون أن الإنسان عاجز أمام الحوادث وعندما تبرز حادثة مُرّة أو صعبة يتصوّر في ذهنه قدرة ما فيلجأ لها؛ لذا المادّيون يرون أن الإيمان وليد الخوف، ولكن اشتباههم هو أنهم لم يفهموا الفرق بين الالتجاء إلى الله وأصل الإيمان بالله، فمثلاً نحن عندما نرى الكلب ونحسّ بالخطر نذهب إلى الحجر، فهل من الصحيح القول إن علّة وجود الحجر هي الخوف من الكلب؟

كذلك نحن عند الاضطرار والخوف نلتجئ إلى الله تعالى، فهل يمكن القول إن أصل الإيمان بوجود الله هو الخوف؟

علاوة على أنه لو كان منبع الإيمان هو الخوف، لكان أكثرنا خوفًا أكثرنا إيمانًا، على أنا نرى أن المؤمنين الواقعيين كانوا أشجع أهل زمانهم، والإنسان الذي لا يخاف لا إيمان له، لكننا عندما نكون في لحظاتٍ لا نشعر فيها بالخوف، نعتقد - وفي عين تلك اللحظات - بالله تعالى انطلاقًا من العقل والفطرة، وفي الحقيقة فإن الخوف والاضطرار يزيلان حجاب الغفلة ويجعلانا نلتفت إلى الله تعالى؛ لذا فمنكرو وجود الله تعالى عندما يكونون في طائرة أو سفينة مثلًا ويسمعون خبر السقوط أو الغرق ويوقنون عندها أنه ليس هناك من قدرة تغيثهم، يأملون عندها من أعماق أنفسهم بقدرة عالية منجية لهم، فهم في تلك اللحظة يعلّقون قلوبهم بنقطة أو قدرة غيبية، وتلك النقطة أو القدرة الغيبية هي الله تعالى لا غير.

---

(١) النمل: ٦٢.

شبهة زيارة النبيّ (صلى الله عليه وآله)

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[١].

- نقرأ في تفسير (الأمثل): إن فرقة الوهابية تقول: إن النبيّ (صلى الله عليه وآله) ذهب عن هذه الدنيا، وعليه فهو لا يسمع أي صوت، وعليه فلا معنى لزيارتنا له ومخاطبتنا إياه (صلى الله عليه وآله).

وجواب هذه الفرقة هو: إن الآية في مقام تشبيه إجمالي، نظير تشبيه قلوب القاسية قلوبهم بالحجر في عدم التأثّر، ﴿قُلُوبُكُمْ ... كَالْحِجَارَةِ﴾[٢]، لا أن قلوبهم كالحجر في كلّ الأمور؛ لأنّ القرآن يؤكّد الحياة البرزخية للشهداء، وقد نُقلت روايات كثيرة عن الشيعة والسنة في ذلك:

١. يقول محمّد بن عبد الوهاب: للنبيّ بعد وفاته حياة برزخية أفضل من حياة الشهداء ويسمع سلام من يسلّم عليه[٣].

٢. والرّوايات في هذا الشأن كثيرة وافرة عن الفريقين الشيعة والسنة وهي تدلّ على أن النّبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين يسمعون سلام من يسلّم عليهم من بعيد أو قريب، ويردّون عليه السلام، ثمّ إن أعمال الأمّة تعرض عليهم[٤].

٣. نحن بأنفسنا شهود على آلاف النماذج من التوسّلات بالمعصومين التي تحقّقت.

٤. ونقرأ في أحد الأحاديث في قصّة معركة بدر أن النّبيّ (صلى الله عليه وآله) مع بعض أصحابه وقف على ((القليب)) وقد ألقيت فيه أجساد قتلى المشركين، فناداهم بأسمائهم، وقال: هلاّ أطعتم اللّه ورسوله، لقد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّا، فهل وجدتم

---

(١) النمل: ٨٠.

(٢) البقرة: ٧٤.

(٣) انظر: الهديّة السنية: ص٤١.

(٤) كشف الارتياب، ص ١٠٩.

ما وعد ربّكم حقًّا...؟ فقال عمر: يا رسول اللّه، تكلّم أجساداً لا روح فيها؟!... فقال صلّى اللّه عليه وآله: ((والذي نفس محمّد بيده ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم))[١].

٥. وعن الأصبغ بن نباتة، انّه لما انهزم أصحاب الجمل ركب عليّ (عليه السلام) بغلة رسول اللّه الشهباء وسار في القتلى يستعرضهم فمرّ بـ ((كعب بن سور)) قاضي البصرة وهو قتيل، فقال: أجلسوه، فأُجلس، فقال: ويلك يا كعب بن سور، لقد كان لك علم لو نفعك... ولكن الشيطان أضلّك فأزلّك فعجّلك إلى النّار[٢].

أهمّيّة الزواج

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣].

نقرأ في الروايات أن الزواج سبب في حفظ نصف الدين، وأن ركعتين يصلّيهما متزوّج أفضل من سبعين ركعة يصليها عزب، وأن نوم المتزوّج أفضل من صيام العزب[٤].

نعم، وعلى خلاف الذين يظنون أن الزواج عامل الفقر والعوز، قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله): الزواج يزيد في الرزق.

كذلك قال: ليس منّا من ترك الزواج مخافة الفقر، وقد أساء الظن باللّه[٥].

---

(١) صحيح البخاري، ج٥، ص ٩٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج١، ص ٢٤٨.

(٣) القصص: ٢٧.

(٤) منتخب ميزان الحكمة، ص٢٩٢.

(٥) المصدر السابق.

ونقرأ في الروايات ما معناه: من أعان أخوانه المؤمنين على الزواج كان في القيامة مورداً للطف الله تعالى(١).

وقد أكّد القرآن الكريم تشكيل الأسرة والسعي في الزواج وأوصى به، وعلى من يريد الزواج أن لا يخاف من الفقر، إن يكن فقيراً يغنه الله من فضله(٢)، والزواج يؤدّي إلى الهدوء والاطمئنان(٣).

وفي الزواج تقترب الأسر من بعض، وتتراحم القلوب، وتتحقّق أرضية تربية الأجيال الطاهرة وروحية التعاون(٤).

ونقرأ في الروايات أيضًا أن عجّلوا بالزواج، وأنّ البنت التي في عمر الزواج كالثمار التي نضجت إذا لم تقطف من الشجرة فسدت(٥).

معيار اختيار الزوج

عادة ما يكون معيار اختيار الزوج عند عوام الناس مجموعة أمور: كالثروة والجمال، والحسب والنسب.

ولكنا نقرأ في الحديث ((عليك بذات الدين))(٦)، ونقرأ في حديث آخر: كم من جمال كان سببًا للهلاك، وكم من ثروة كانت سببًا للطغيان(٧).

وقال رسول الله (ﷺ): ((إذا جاءكم من ترضون دينَه وخُلقَه فزوّجوه وإن لم تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير))(٨).

---

(١) الكافي، ج٥، ص ٣٣١.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، (النور: ٣٢).

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (الروم: ٢١).

(٤) متخب ميزان الحكمة، ص٢٩٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) كنز العمال، ح٤٦٦٠٢.

(٧) منتخب ميزان الحكمة، ص٢٩٢.

(٨) بحار الأنوار، ج١٠٣، ص ٣٧٢.

وقال الإمام الحسن (عليه السلام) لرجل كان قد استشاره في زواج ابنته: اختر صاحب التقوى والدين فإذا أحبّها أكرمها، وإذا لم يحبّها لم يظلمها[1].

وأوصت الروايات أيضًا المؤمنين أن لا يزوّجوا بناتهم لشارب الخمر وسيّئ الخلق والمنحرف فكريًّا ومن تربّى في بيت فاسد[2].

وجدير بالذكر أنّ الزواج على نوعين: دائم ومؤقّت، وقد جاء في القرآن والروايات توصيات وبيانات تخصّ كليهما.

وممّا يؤسف له فإن الزواج الدائم - وبسبب بعض العادات والتقاليد غير المنطقية، كذلك بسبب التحجّج ورغبات أسرة البنت أو الولد وتمنياتهم الطويلة والعريضة - صار أمرًا صعبًا جدًّا، وكذلك الزواج المؤقّت صار يُعدّ من الأمور القبيحة حتى أضحى يُنظر إليه كالفحشاء.

الاستكبار والمستكبر

قال تعالى: ﴿**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ**﴾[3].

- كان هناك وعلى طول التاريخ أشخاص مغرورون ومتكبّرون ظنّوا أنهم محور كلّ شيء.

في هذه السورة ينقل القرآن عن فرعون أنه قال: ﴿**مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي**﴾، ولمّا آمن السحرة بموسى قال: ﴿**آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ**﴾، فكان فرعون يتوقّع أنه ليس لأحد الحقّ في اعتناق أي عقيدة ما لم يُجز له، واليوم أيضًا يوجد فراعنة وأصحاب قدرة كثر يريدون أن يجعلوا من أنفسهم محورًا للسياسة والاقتصاد في العالم.

(١) مكارم الأخلاق، ج١، ص ٤٤٦.

(٢) منتخب ميزان الحكمة، ص٢٩٢.

(٣) القصص: ٣٩.

- المستكبرون أحيانًا ولإظهار قدرتهم يقرّبون أو يبيدون شخصًا أو مجموعة أو حتى بلدًا بكامله، كنمرود الذي قال لإبراهيم (عليه السلام): ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾.

- والمستكبرون أحيانًا يتظاهرون أمام الناس بالرزق والمظاهر المادّية، كفرعون عندما قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾[1].

- والمستكبرون أحيانًا يُخضعون الناس لسيطرتهم من خلال الرعب والإرهاب، كفرعون عندما قال للسحرة الذين آمنوا بموسى: ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ﴾[2].

- والمستكبرون أحيانًا يفتنون عوامّ الناس بالمناورات والمظاهر، كما أخبر القرآن عن قارون بقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[3].

- والمستكبرون أحيانًا يحاولون شراء العقول والأفكار بإغراء الناس بما في أيديهم، كما قال فرعون للسحرة: ﴿وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالْوَاْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ، قَالَ نَعَمْ وَإَنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[4].

- والمستكبرون أحيانًا يحاولون زلزلة قلوب الناس بحظوتهم المادّية، كما حذّر القرآن منه بقوله: ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ﴾[5].

- والمستكبرون أحيانًا يشنّون على الآخرين حربًا نفسية بتحقيرهم، ونسبة التهم الشنيعة إليهم ونسبتهم إلى الأراذل والوضيعين، كما حكى الله تعالى بقوله: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾[6].

---

(١) الزخرف: ٥١.

(٢) الأعراف: ١٢٤.

(٣) القصص: ٧٩.

(٤) الأعراف: ١١٣ - ١١٤.

(٥) آل عمران: ١٩٦.

(٦) الشعراء: ١١١.

- والمستكبرون أحيانًا يحاولون استمالة قلوب الناس ببناء الأبراج العالية والعمارات الفخمة، كما حكى القرآن عن فرعون لمّا قال لوزيره هامان: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ**﴾[١].

وفي الحقيقة تتجسد هنا حياة القرآن إذ إنه صوّر خُلق المستكبرين وطبعهم وطريقتهم في التعامل مع الآخرين بالشكل الذي يمكن لنا ونحن في زماننا هذا - أو أيّ زمان آخر - أن نطبّقه على واقعنا المعيش.

الدنيا في نظر القرآن

قال تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾[٢].

- جاء في القرآن الكريم ذكر الدنيا والحياة الدنيا بتعبيرات مختلفة، وقد حذّر القرآنُ الإنسانَ من الإقبال عليها والغفلة فيها، ومن جملة تلك التعبيرات:

١. الدنيا عَرَض، ﴿**عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[٣].

٢. الدنيا لعب، ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ**﴾[٤].

٣. الدنيا شيء صغير حقير، ﴿**فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾[٥].

٤. الدنيا سبب الغرور والغفلة، ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[٦].

٥. الدنيا زُيّنت للكافرين، ﴿**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾[٧].

---

(١) غافر: ٣٦.

(٢) القصص: ٦٠.

(٣) النساء: ٩٤.

(٤) الأنعام: ٣٢.

(٥) التوبة: ٣٨.

(٦) آل عمران: ١٨٥.

(٧) البقرة: ٢١٢.

٦. المال والولد من زينة الدنيا، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1].

٧. الدنيا برغم لا يُزهر لأي أحد، ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2].

٨. لماذا تبيعون الدنيا بالآخرة؟ ﴿اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾[3].

٩. لماذا ترضون بالدنيا الفانية المحدودة؟ ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[4].

١٠. لماذا تفرحون بالدنيا السريعة الزوال؟ ﴿وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[5].

١١. لماذا ترجّحون الدنيا على الآخرة؟ ﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾[6].

١٢. لماذا تنظرون إلى أصحاب الدنيا؟ ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾[7].

١٣. لماذا تفكّرون بالدنيا فقط؟ ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[8].

١٤. ألا يعلم الدنيويون أن مكانهم في جهنّم؟! ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[9].

إن كل هذا التنبيه هو للسيطرة على من يطلب الدنيا ويلهث وراءها، وإن ما كان محل انتقاد الآيات والروايات هو عبادة الدنيا، وبيع الآخرة، والغفلة، والسكر بالدنيا، وعدم إعطاء حقّ الفقراء.

---

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) طه: ١٣١.

(٣) البقرة: ٨٩.

(٤) التوبة: ٣٨.

(٥) الرعد: ٢٦.

(٦) إبراهيم: ٣.

(٧) الحجر: ٨٨.

(٨) النجم: ٢٩.

(٩) النازعات: ٣٨.

ولكن من يعمل للدنيا في إطار العدل والإنصاف ولا يغفل عن الكمالات الأخرى، ولا يغفل عن الآخرة ويؤدي حقّ المحرومين ولا يظلم في تحصيل الدنيا واستثمارها، فإن عمله الدنيوي وأمواله يُعدّان فضلًا ورحمة إلهية.

الصلاة والمنع عن الفحشاء والمنكر

قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[1].

سؤال: كيف تمنع الصلاة الفرد والمجتمع عن الفحشاء والمنكر؟

الجواب:

١. إن أساس جميع المنكرات الغفلة، وقد عدّت الآية ١٧٩ من سورة الأعراف الإنسان الغافل أسوأ من الحيوان، قال تعالى: ﴿... أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2]، ولمّا كانت الصلاة ذكراً لله تعالى وأفضل وسيلة لمنع الغفلة؛ لذا فهي ترفع أساس المنكرات من الجذر.

٢. إن إقامة الصلاة والاصطباغ بالصبغة الإلهية، يمنع التأثّر بصبغة الشيطان، كما أنّ من يلبس لباساً أبيضَ ونظيفاً فإنه لا يجلس في المكان الوسخ.

٣. جاء التركيز على الزكاة عادة إلى جانب الصلاة، إذ إن الزكاة تمنع من التخلّق بصفة البخل المنكرة وعدم الاكتراث للفقراء، وهي أيضًا تحول دون منكر فقر المجتمع الذي هو الأرضية لجرّ الناس إلى المنكر.

٤. للصلاة أحكام وقوانين، وإن مراعاة كلٍ من تلك الأحكام والقوانين يمنع الإنسان من كثير من الذنوب، مثلاً:

- يمنع شرط حلّية مكان المصلّي ولباسه الإنسان من التجاوز على حقوق الآخرين.

---

(١) العنكبوت: ٤٥.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

- يمنع شرط طهارة ماء وضوء المصلّي ومكانه ولباسه وبدنه الإنسان من النجاسة وعدم الاكتراث بها.

- يمنع شرط الإخلاص الإنسان من منكر الشرك والرياء والسُمعة.

- يمنع شرط القبلة الإنسان من منكر انعدام الهدف والتشتّت.

- يمنع الركوع والسجود الإنسان من منكر التكبّر.

- الاهتمام باللباس المناسب في الصلاة يحفظ الإنسان من منكر التعرّي وعدم الحياء.

- الاهتمام بعدالة الجماعة سبب لابتعاد الناس عن الفسق والفجور.

- صلاة الجماعة تُنجي الإنسان من الانزواء والعزلة غير المبرّرة.

- أحكام صلاة الجماعة وشروطها تُحيي كثيراً من القيم، من ذلك: الشعبية، والتبعية للقائد وعدم التقدم عليه، عدم التخلف عن المجتمع، وعدم السكوت عن قول الحقّ، والنظم والانضباط، واحترام المتّقين، والوحدة الاجتماعية، والابتعاد عن الفئوية والعشائرية والقومية والإقليمية والسياسة المذمومة، والحضور في الساحة، إذ إن ترك أيّ منها هو منكر بحدّ ذاته.

- لزوم تلاوة سورة الحمد في كل صلاة تأكيداً لرابطة الإنسان بخالق العالَم ((ربّ العالمين))، مع الشكر والتعبّد والخضوع أمامه ((إياك نعبد))، والتوكل والاستمداد منه ((إياك نستعين))، وتذكّر المعاد ((مالك يوم الدين))، مع القيادة المعصومة وأولياء الله ((أنعمت عليهم))، والبراءة من القيادات الفاسدة ((غير المغضوب عليهم))، وارتباط الإنسان مع أخيه الإنسان في المجتمع ((نعبد ونستعين))، وإن الغفلة عن كلّ واحد من هذه القيم منكر وأرضية لمنكر كبير.

الغناء والموسيقى

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

(١) لقمان: ٦.

تُعدّ الموسيقى المتناسبة مع مجالس الفسق والفجور والمعصية والمحرّكة للشهوة حرامًا من وجهة نظر الإسلام، ولكن الموسيقى غير المشتملة على المفاسد المذكورة آنفًا جائزة عند مشهور الفقهاء.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): الغناء ممَّا وعد الله عليه النار، وتلا هذه الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ...﴾[1].

لذا الغناء من الكبائر؛ ذلك لأن الكبائر تطلق على كلّ ذنب جاء التوعّد عليه بالنار في القرآن الكريم.

ونقرأ في سورة الحج: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[2]، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): المراد من قول الزور الغناء[3].

ونقل عن الإمام الرضا (عليه السلام) أن الغناء واحد من مصاديق ((لهو الحديث)) الوارد في سورة لقمان.

ونقرأ في الروايات أيضًا[4]:

- الغناء ينمّي روح النفاق ويجلب الفقر.

- لُعن النساء المغنّيات، ومن يعطيهن الأجر، ومن يستفيد من ذلك الأجر، ثمّ إن تعليم الغناء حرام.

- لا أمان للبيت الذي فيه الغناء من الموت والمُصيبة، ولا تُستجاب له دعوة ولا تحضره الملائكة[5].

---

(١) الكافي، ج٦، ص ٤٣١ ح ٤.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) الزور بمعنى الباطل - الكذب - والانحراف عن الحقّ، والغناء واحد من مصاديق الباطل.

(٤) جاءت هذه الروايات في أبواب حرمة الغناء من كتاب ((المكاسب المحرّمة)) والكتب الروائية الأخرى.

(٥) منتخب ميزان الحكمة، ص٤٨٩.

آثار الغناء التخريبيّة

١. ترويج فساد الأخلاق والابتعاد عن روح التقوى والإقبال على الشهوات والمعاصي إلى الحدّ الذي كان واحد من رؤوس بني أمية (ومع كل تلك المعصية) يعترف بأن الغناء يقلّل الحياء ويزيد الشهوة ويكسر الشخصية ومن يفعل ذلك يُقبل على شرب الخمر.

يستطيع بعض الناس وبتناول الخمر أو المخدّرات أن يُدخل نفسه دنيا عدم الاهتمام وعدم المبالاة، كذلك يستطيع بعضهم وباستماع الكلام الباطل والمحرّك للشهوة من أحد المطربين أن يغّض الطرف عن غيرته ويعيش في الدنيا من دون شعور ومبالاة.

٢. إن الغفلة عن الله تعالى غفلة عن التكليف، غفلة عن المحرومين والفقراء، وغفلة عن المستقبل، وغفلة عن الإمكانات والاستعدادات، وغفلة عن العدوّ، وغفلة عن النفس والشيطان.

إنّ إنسان اليوم ومع كلّ هذا التقدّم العلميّ والتقنيّ يحترق في نارٍ حاميةٍ تنبع من غفلته عن نفسه.

نعم إنّ الغفلة عن الله تعالى تسوق الإنسان إلى حدود الحيوانية، بل إلى أدنى من ذلك، قال تعالى: ﴿... أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

وإن الاستعمار اليوم ومن أجل الوصول إلى أهدافه الاستعمارية يحاول إشغال الشباب وتخديرهم بشتّى الطرائق والإمكانات، وواحدة من تلك الطرائق الخبيثة الموسيقى والغناء المبتذل.

٣. لا يخفى على أحد ما للموسيقى المهيّجة والمبتذلة من آثار مضرّة على الأعصاب، وقد جاء في كتاب ((تأثير الموسيقى على الأعصاب)) حالات جمع من الموسيقيين والمغنّين المعروفين الذين أصيبوا بالسكتة وموت الفجأة أثناء أداء برامجهم، وزهقت أرواحهم في ذلك المجلس، وخلاصة القول فإنّ الآثار المضرّة

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

للغناء والموسيقى على الأعصاب تصل إلى حدّ الجنون، وتؤثّر في القلب وتؤدّي إلى ارتفاع ضغط الدم وغير ذلك من الآثار الضارّة[١].

أيّها القارئ العزيز، لقد خلق الله تعالى العالَم للإنسان وخلق الإنسان للتكامل، ولقد سخّر العالَم لنا واستخدم الملائكة في تدبير أمورنا، وأرسل الأنبياء والأولياء لهدايتنا، وقد تفانى هؤلاء في طريق الهداية إلى حدّ الموت والشهادة، وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، ونفخ الله من روحه في الإنسان ومنحه أفضل صورة وسيرة، وأودع فيه قابيلة التكامل إلى ما لا نهاية، وجهّزه بالعقل والفطرة وأنواع الاستعدادات، وقال عن خلقه للإنسان: **﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾**[٢]، فهل لعصارة الخلق هذه ومع كل هذه الخصائص المادّية والمعنوية أن يجعل نفسه في خدمة أيٍّ كان؟!

قال الإمام محمد الباقر(عليه السلام): ((من أصغى إلى ناطق فقد عبده))[٣]، أليس من المؤسف أن نعبد مطرباً من المطربين حين الاستماع له؟

هل أنت مستعدّ لتسجيل أيّ صوت على شريط التسجيل؟ فكيف لنا أن نسجّل أيّ صوت على شريط عقولنا؟!

إنّ العمر والفكر والعقل أمانات قد أمّنها الله عندنا لتسخيرها في الطريق الذي عيّنه لنا، وإذا استخدمنا أي واحدة من هذه الأمانات في غير طريق الله فقد خنّا تلك الأمانة وعلينا أن نجيب عن ذلك يوم القيامة.

يقول القرآن الكريم في سورة الإسراء وبكلّ صراحة: **﴿... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾**[٤]، نعم، يجب على المرء أن يكون حافظاً

---

(١) انظر: تفسير الأمثل، ج١٧، ص ١٩ – ٢٧.

(٢) المؤمنون: ١٤.

(٣) الفروع من الكافي: ج ٦ ص ٤٣٤ ح ٢٤. وتكملة الخبر: ((فإن كان الناطق يؤدي عن الله عزوجل فقد عبد الله وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان)).

(٤) الإسراء: ٣٦.

لعينه وسمعه وقلبه، ولا يسمح لأيّ صوت كان أن يرِد إلى حريمها، فنحن نقرأ في الحديث أن القلب حَرَمُ الله فلا تُسكن في حَرِم الله غير الله[١].

لقد بيّن لنا الإسلام مجموعة من الطرائق المناسبة لرفع التعب وإيجاد النشاط، وقد أوصانا بالسفر والرياضة والأنشطة المتنوّعة والمفيدة، مثل التفرّج على الآثار، والندوات العلمية وتبادل التجارب، والاحتكاك بالمثقّفين، والأهم من ذلك هو الارتباط بخالق نظام الوجود وذكره الذي هو العلاج لقلق القلوب، فهو فقط مطمئِن القلوب، ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، فلِمَ نُشغل أنفسنا بلذّات تعقبها ذلة ونار حامية؟!

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((لا خير في لذّة من بعدها النار))[٢]، ويقول أيضاً: ((من تلذّذ لمعاصي الله أورثه الله ذلاًّ))[٣].

صفات لقمان الحكيم

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٤].

جاء في تفسير الميزان بحثٌ خاصّ بلقمان الحكيم ننقل قسمًا منه: روى نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: ((حقًّا أقول لم يكن لقمان نبيًّا ولكن كان عبداً كثير التفكّر، حسَن اليقين أحبّ الله فأحبّه ومنّ عليه بالحكمة)).

وعن حمّاد قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن لقمان وحكمته التي ذكرها الله (عزّ وجل)، فقال: ((أما والله ما أوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلاً قويًّا في أمر الله متورعًا في الله

(١) بحار الأنوار، ج٦٧، ص ٢٥.

(٢) ديوان الإمام عليّ (عليه السلام)، ص ٢٠٤.

(٣) غرر الحكم، ٣٥٦٥.

(٤) لقمان: ١٢.

ساكتًا مستكينًا... ولم يمرّ برجلين يختصمان أو يقتتلان إلا أصلح بينهما... وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء))[١].

وكان لقمان معمرًا، عاصر النبي داود، وكان من خواصّ النبيّ أيّوب (عليه السلام)، وقد خُيّر بين أن يكون حكيمًا أو حاكمًا فاختار الحكمة.

وقد سُئل يومًا: ما الذي أجمعت عليه من حكمتك؟ قال: لا أتكلف ما قد كُفيته، ولا أضيّع ما وُليته[٢].

وعن عليّ بن النضر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت: جعلت فداك [ما تقول في] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾؟ قال: ((أوتي معرفة إمام زمانه))[٣].

وإلى جانبِ أن الله تعالى لم ينزّل على لقمان كتابًا سماويًّا ولكنّه علّمه الحكمة.

وروي أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين، فأخرج اللسان والقلب، ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب، فسأله عن ذلك؟ فقال: هما أطيب ما فيها إذا طابا، وأخبث ما فيها إذا خبثا[٤].

ويكفي في عظمة لقمان أن الله تعالى ورسوله وأولياءه المعصومين (عليهم السلام) كانوا ينقلون حكمه إلى الآخرين.

من نصائح لقمان

- إن تأدّبت صغيرًا انتفعت به كبيرًا.
- إيّاك والكسل، واجعل في أيّامك ولياليك وساعاتك لنفسك نصيبًا من طلب العلم، ولا تُمارينّ فيه لَجوجًا.
- لا تجادلنّ فقيهًا، ولا تصاحبنّ فاسقًا ناطقًا ولا تصاحبن متّهمًا.

---

(١) تفسير الميزان، ج١٦، ص٢٢٧.

(٢) تفسير مجمع البيان، ج٨، ص٦٥.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج١٠، ص٢٣١.

(٤) تفسير الكشّاف، ج٣، ص٣٧٣.

- خَف اللَّه (عزّ وجل) خوفًا لو أتيت القيامة ببرّ الثّقلين خفت أن يعذّبك، وارجُ اللَّه رجاءً لو وافيت القيامة بإثم الثّقلين رجوت أن يغفر لك.

- لا تركن إلى الدّنيا ولا تشغل قلبك بها، فما خلق اللَّه خلقًا هو أهون عليه منها.

- اعلم أنه ستُسأل يوم القيامة عن أربعة أشياء: عن شبابك فيم أبليته، وعمرك فيم أفنيته، ومالك مم اكتسبته وفيم أنفقته.

- لا تمدنّ عينك إلى ما في أيدي الناس، وعامل الآخرين بحسن الخلق.

- إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمورهم، وقسّم بعض سفرك بينهم.

- وإذا استشاروك فأظهر لهم رحمتك بهم وإخلاصك لهم، وإذا سألوك المعونة فأعنهم، واسمع لمن هو أكبر منك سنّا.

- إذا جاء وقت الصّلاة فلا تؤخرّها لشيء، وصلّ في جماعة ولو على رأس زج[١].

- إذا كنت في الصلاة فاحفظ قلبك.

- إذا كنت تأكل فاحفظ فمك.

- إذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك.

- لا تنس اللّه والمعاد أبداً، ولكن انس إحسانك للناس وإساءتهم إليك[٢].

الإحسان للوالدين

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[٣].

---

(١) تفسير كنز الدقائق، ج١٠، ص٢٣٧، و(زج) مفرد جمعه زجاج، يعني: صلّ في جماعة ولو على رأس زجاجة.

(٢) ينظرتفسير روح المعاني، ج٢١، ص١١٣.

(٣) لقمان: ١٥.

لقد أُوصي بالإحسان للوالدين في الآية ٨٣ من سورة البقرة[١]، والآية ٣٦ من سورة النساء[٢]، والآية ١٥١ من سورة الإنعام[٣]، والآية ٢٣ من سورة الإسراء[٤]، ولكن جاء في سورة لقمان التركيز على الإحسان للوالدين توصية من الله تعالى نفسه.

كما قد جاء شكر الوالدين وفي موارد متعدّدة من القرآن الكريم إلى جانب شكر الله تبارك وتعالى، وقد أشير في بعض تلك الموارد إلى التضحيات البالغة التي تقدمها الأم.

إنّ قدر الوالدين رفيع إلى الدرجة التي وصفتها الآية الآتية: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا...﴾[٥]، ممّا يعني أنّه حتى في الموارد التي يجب عليك أن لا تطعيهما فيها يجب عليك أن لا تتركهما.

نعم إن طاعة الوالدين من الحقوق الإنسانية لا الحقوق الإسلامية فقط، من الحقوق الدائمة لا الحقوق الموسمية المؤقتة.

ونقرأ في الروايات أن الإحسان للوالدين لازم في كل حال، سواء كانا صالحين أو طالحين، حيّين كانا أو ميّتين.

وروي أنه ذات يوم رؤي النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يتعامل مع أخته في الرضاعة بإحسان أكثر من تعامله مع أخيه في الرضاعة فسُئل عن ذلك فقال: لأنها تُحسن لوالديها أكثر[٦].

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً...﴾.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً....﴾.

(٣) وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾.

(٤) وهو قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً...﴾.

(٥) لقمان: ١٤.

(٦) الكافي، ج٢، ص ١٦١.

ونقرأ في القرآن حكاية الله تعالى عن يحيى وعيسى (عليهما السلام) في إحسانهما لأمّهما، قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا... وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[1]، وقال أيضًا حكاية عن عيسى (عليه السلام): ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[2].

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): ليس من عمل بعد الصلاة في أول الوقت أفضل من الإحسان للوالدين[3].

وروي أنّ الأعداء في واقعة كربلاء قتلوا أبًا فجاء ابنه يطلب الإذن لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، فقال له الإمام: ارجع فقد رأت أمك مصرع أبيك فلعلها لا طاقة لها برؤية مصرعك، فقال ذلك الشاب: لقد أرسلتني أمي[4].

وسعة معنى الوالدين

يُطلق لفظ (الأب) في الثقافة الإسلامية على القائد الإلهي، والمعلّم، والمربّي، وأب الزوجة.

في أواخر أيام النبيّ (صلى الله عليه وآله) وحيث كان مسجّى على فراشه قال لعليّ (عليه السلام): ((اخرج فنادِ: ألا من عقّ والديه فعليه لعنة الله، ألا من أبق من مواليه فعليه لعنة الله، ألا من ظلم أجيراً أُجْرته فعليه لعنة الله، فخرجت فناديت فلم يفهموا، فرجعت فقلت له: يا رسول الله لم يفهموا، فقال: يا عليّ أنا وأنت أبوا هذه الأمة، فمن عقنا فعليه لعنة الله، وأنا وأنت مولا هذه الأمة فمن أبق منا فعليه لعنة الله، وأنا وأنت أجيرا هذه الأمة فمن ظلمنا أجرنا فعليه لعنة الله، فخرجت فأوضحت ذلك))[5].

---

(١) مريم: ١٢- ١٤.

(٢) مريم: ٣٢.

(٣) منتخب ميزان الحكمة، ج٣، ص ٤٦٤.

(٤) أعيان الشيعة، ج١، ص ٦٠٧.

(٥) الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي: ج ١ ص ٢٤٢.

فالقصد من عقوق الوالدين هو عقوق القائد الإلهي، ((أنا وأنت أبوا هذه الأمّة))، فمن لم يطعهما فهو عاقّ لهما، وخارج عن ولايتهما، والخارج عن ولايتهما فعليه غضب الله.

وأنت تلحظ في هذه القصّة أنه ورغم أن للإحسان للوالدين معنىً معروفًا ومشهوراً، إلا أن معناه أوسع في الثقافة الإسلامية وأشمل.

الشكر على النوائب

قال تعالى: ﴿... وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ...﴾[1].

إذا علمنا أن ابتلاءات الآخرين أكثر من ابتلاءاتنا.

وإذا علمنا أن الابتلاءات تجعلنا نلتفت إلى الله أكثر.

وإذا علمنا أن الابتلاءات تكسر غرورنا وترفع قسوة قلوبنا.

وإذا علمنا أن الابتلاءات تذكّرنا بالمحرومين.

وإذا علمنا أن الابتلاءات تدفعنا للتفكير والإبداع.

وإذا علمنا أن الابتلاءات تذكّرنا بالنعم السالفة.

وإذا علمنا أن الابتلاءات كفّارة الذنوب.

وإذا علمنا أن الابتلاءات سبب للأجر الأخروي.

وإذا علمنا أن الابتلاءات جرس إنذار وتنبيه للقيامة.

وإذا علمنا أن الابتلاءات سبب لمعرفة الصبر والصديق الحقيقيّ.

وإذا علمنا أنه كان من الممكن أن تكون ابتلاءاتنا ومصائبنا أكثر... فسنعلم أن الابتلاءات والصعاب الظاهرية حلوة في واقعها.

نعم التمر حلو للطفل، والبصل والفلفل حارّ وغير مناسب له، ولكنه للوالدين لذيذ في كلتا الحالتين.

---

(١) البقرة: ٢١٦.

لمّا استشهد من استشهد من المسلمين في معركة أحد، وحيزت الشهادة عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) شقّ ذلك عليه فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((أبشر فإن الشهادة من ورائك - ثم قال له الرسول بعد حين - إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن ؟ فقال عليّ: يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر))[1].

وقد قالت ابنته البطلة زينب (عليها السلام) لبني أمية (لعنة الله عليهم) بعد أن رأت مصارع أخوتها وأنصارها: ((ما رأيت إلاّ جميلاً))[2].

قيل لوليّ من أولياء الله: أدِّ حقّ الشكر لله، قال: أنا عاجز عن أداء حقّ شكره، فجاء الخطاب: هذا أحسن شكر أن تقرّ بعجزك عن الشكر.

ويقول سعدي: إن الاعتراف بالتقصير عن الشكر بحدّ ذاته أداء للشكر أمام الله[3].

من خصائص الصلاة

قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[4].

- بمناسبة الكلام على الصلاة والأمر بالمعروف واللذين جاء التركيزعليهما في هذه الآية نذكر توضيحًا مختصراً حول هاتين الفريضتين:

- الصلاة، أبسط اتصال للإنسان بالله سبحانه، وأعمقه، وأجمله، وهي مفروضة في كل الأديان.

---

(١) نهج البلاغة: ج ٢ ص ٥٠ رقم: (١٥٦). فالقتل في سبيل الله قد يراه بعضهم من الابتلاءات، أي نفس القتل، ولكن الإمام عليه السلام يراه من مواطن البشرى والشكر. (الناشر).

(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص ١١٦.

(٣) ترجمه نثرية لشعر بالفارسية.

(٤) لقمان: ١٧.

- الصلاة، العبادة الوحيدة التي أوصي بالمناداة لها بأفضل صوت ومن أعلى مكان بشعار ((حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل)) ليُعلم الغافلين ويوقظهم.

- الصلاة، مهمّة إلى الدرجة التي كانت هي السبب الذي من أجله أسكن إبراهيم (عليه السلام) زوجته وابنه في وادٍ غير ذي زرعٍ في مكة ولم يكن السبب القيام بمراسم الحجّ.

- لقد نصب الإمام الحسين (عليه السلام) صدره لسهام الأعداء من أجل إقامة الصلاة ظهر عاشوراء.

- ويذكر القرآن الكريم أن الله تعالى أمر إبراهيم وإسماعيل أن يطهّرا المسجد الحرام للمصلين، وكان زكريا ومريم وإبراهيم وإسماعيل (عليهم السلام) خدّام محل إقامة الصلاة.

- الصلاة مفتاح قبول الأعمال، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمحمّد بن أبي بكر: ((صل الصلاة لوقتها الموقّت لها، ولا تعجّل وقتها لفراغ، ولا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال، واعلم أن كلّ شيء من عملك تبع لصلاتك))[1].

- الصلاة ذكر الله وذكر الله راحة للقلوب.

- جاء ذكر الصلاة في كلّ سور القرآن الكريم من أطولها - وهي سورة البقرة - إلى أقصرها - وهي سورة الكوثر.

- تتجلّى الصلاة من حين الولادة - حيث يؤذّن في أذن المولود - إلى الموت - حيث يُذكّر الميّت بالصلاة في لحده.

- الصلاة لكلّ الحوادث من الأرضية كالزلزلة والريح المخيفة، إلى السماوية منها كالخسوف والكسوف، فصلاة الآيات واجبة في تلك الأحوال، ولاستنزال المطر شُرّعت صلاة الاستسقاء أيضاً.

- الصلاة تنهى الإنسان عن ارتكاب الفحشاء والمنكر[2].

- في الصلاة تكمن جميع الكمالات، نذكر بعضاً منها:

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب: ٢٧.

(٢) العنكبوت: ٤٥، ﴿... إِنَّ الصلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ...﴾.

١. النظافة والسلامة الصحيّة في المسواك، والوضوء، والغسل، وتطهير اللباس والبدن.

٢. الجرأة والشجاعة، حيث نتعلّمها من المناداة في الآذان.

٣. الحضور في الساحة، حيث نتعلّمه من الاشتراك في صلاة الجماعة.

٤. الاهتمام بالعدالة، نجده في اختيار الإمام العادل للجماعة.

٥. الاهتمام بالقيم والكمالات، ونجد ذلك في أصحاب الصف الأول من الصلاة.

٦. الاتجاه المستقل، حيث نشعر به عند استقبال القبلة، فاليهود يؤدّون طقوسهم الدينية لجهة معينة، والمسيحيون يؤدّونها لجهة أخرى، وينبغي للمسلمين أن يكونوا مستقلّين في ذلك؛ ولذا صارت الكعبة قبلة المسلمين بأمر القرآن لتحفظ للمسلمين جهتهم واستقلالهم.

٧. مراعاة حقوق الآخرين، نراها في عدم جواز الصلاة ولو بخيط مغصوب.

٨. الاهتمام بالسياسة، نستشعره في تركيز الروايات على أن الصلاة ما لم تكن مقرونة بالاعتقاد بالإمام المعصوم فلن تقبل أبداً.

٩. الاهتمام بالنظم، حيث نجده في نظم صفوف الجماعة، كذلك الاهتمام بالشهداء، نجده متجليًا في استحباب الصلاة على تربة كربلاء، وكذلك الاهتمام بسلامة البيئة، نجده في التأكيد على نظافة المسجد ومكان الصلاة وطهارتهما.

١٠. الالتفات إلى الله تعالى في كل الصلاة، وتذكّر المعاد، حيث نجده في قوله تعالى في سورة الحمد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، الاهتمام باختيار الطريق، نجده في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، واختيار الرفاق الصالحين، نجده في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، الابتعاد عن المنحرفين والمغضوب عليهم، نجده في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، الالتفات إلى نبوّة الخاتم (صلى الله عليه وآله) وإمامة أهل البيت (عليهم السلام)، نجده في التشهّد، والالتفات للصالحين، نجده في التسليم حيث نقول: ((السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)).

١١. الاهتمام بالتغذية السليمة، نراه في تركيز الأحاديث على عدم قبول صلاة شارب الخمر لأربعين يومًا.

١٢. الجمال الظاهري، نراه في التركيز على استحباب الصلاة في أجمل الثياب والتعطّر وأخذ الزينة عند كل مسجد[١]، كما ويستحبّ للنساء لبس الزينة والتجمّل في الصلاة.

١٣. الاهتمام بالزوجة، حيث نجده في تركيز الأحاديث على عدم قبول الصلاة من الرجل والمرأة الظالم أحدهما للآخر المؤذي أحدهما صاحبه بلسانه.

كانت هذه بعضًا من الآثار والتنبيهات التي تنبّهنا الصلاة عليها.

يقول الإمام الخميني (رضوان الله عليه): الصلاة مصنع لصناعة الإنسان.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف، يعني التوصية بالصالحات، والنهي عن المنكر، يعني التحذير من ارتكاب الموبقات، وإن العمل بذلك لا يشترط له سنٌ معيّن؛ ذلك أن لقمان قال لأبنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾.

إن الأمر بالمعروف علامة على عشق الدين، عشق الناس، الاهتمام بسلامة المجتمع، وهو علامة أيضًا على حرّيّة التعبير، والغيرة الدينية، والارتباط الصادق بين الناس، وعلامة على يقظة الفطرة والرقابة العامة والحضور في الساحة.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لتشجيع المحسنين، وتوعية الجاهلين، والتنبيه للوقوف بوجه المنكر وإيجاد نوع من الانضباط في المجتمع.

يقول القرآن الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾[٢].

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة الكل[٣]، كما جاء في حديث آخر: من لم يمنع المنكر كان كمن ترك مجروحًا على الطريق حتى يموت[٤].

---

(١) قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾، (الأعراف : ٣١).

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة:٢٥٢.

(٤) كنز العمال، ج٣، ١٧٠.

وقد لعن النبيان داود وعيسى (عليهما السلام) من لم يكن ينهى عن المنكر كما جاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[١].

وما كان قيام الإمام الحسين (عليه السلام) وثورته إلا من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حيث قال (عليه السلام): ((إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر))[٢].

ونقرأ في الحديث عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنه قال:(إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب)[٣].

ويقول القرآن: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾[٤]، وهنا تركيز على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وينبغي للإنسان أن يكون منزعجًا قلبه إزاء المنكر، وينهى عن المنكر بلسانه، ويمنع من وقوعه بإعمال القوّة والقانون.

وإذا دعونا أحداً لعمل صالح فنحن شركاء معه في أجره، كما إنا لو سكتنا عن الفساد فسينمو الفساد بالتدريج، وسيتسلّط الفاسدون والمفسدون على رقاب الناس.

إن السكوت وعدم الاكتراث للذنوب والمعاصي سبب لاعتياد الذنوب وعدم المبالاة بها، وعندئذ سيتجرأ المذنب والعاصي على ارتكاب الذنب، ثمّ إن ذلك سبب وعامل لقسوة قلوبنا ورضى الشيطان عنّا ونزول الغضب الإلهي علينا.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفتانِ إلهيتان، ولا تستطيع أوهامٌ من قبيل: لا صلة لنا بذنوب الآخرين، أو: لا يحقّ لنا سلب حرّيّة الناس، أو: نحن من أهل

---

(١) المائدة: ٧٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٢٨.

(٣) الكافي، ج٥، ص ٥٥ ح ١ باب: (الامر بالمعروف والنهى عن المنكر).

(٤) النساء: ١٤٠، والأنعام: ٦٧.

الخوف والخجل، أو: لا يمكن أن نغيّر بمفردنا، أو: عيسى بدينه وموسى بدينه، أو: نحن لا ندفن مع المذنب بقبر واحد، أو: لماذا آمر بالمعروف؟ أو: بالنهي عن المنكر أطرد الأصدقاء أو الزبائن، وأمثال هذه الأوهام، لا ترفع هذا التكليف عن ذممنا.

نعم يجب أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن وعي، ويقظة، وعطف، ورأفة، وعقل، وينبغي أن يكون - إلى حدّ المستطاع - بخفية، وأحيانًا يجب علينا نحن أن نقول ونتكلّم ولكن كلامنا لا يؤثّر، مع هذا فلا يسقط التكليف عنّا، بل علينا أن نطلب من الآخرين أن يتكلّموا وينهوا عن المنكر، وحتى لو استطعنا أن نمنع المنكرلمدّة قصيرة فقط فيجب علينا أن نمنعه لتلك المدّة القصيرة، ولو تطلّب منّا منع المنكر التكرار في النهي لوجب علينا التكرار أيضاً.

التواضع

قال تعالى: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

يقول لقمان لابنه في هذه الآية: ﴿... وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾، وقد عُدّ في سورة الفرقان أن أول علامات عباد الرحمن المشي على هون، أي بتواضع، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً...﴾[2].

وإن من أسرار الصلاة التي نضع في سجدتها أعلى نقطة من البدن على الأرض - على أقل تقدير ٣٤ مرّة في ١٧ ركعة من الصلاة الواجبة في الليل والنهار - هي التواضع لله سبحانه وتعالى وعدم التكبّر والغرور.

---

(١) لقمان: ١٨.

(٢) الفرقان: ٦٣.

ورغم أنّ التواضع للناس حسنٌ على كلّ حال، إلا أنه أكثر حُسنًا إن كان للوالدين والأستاذ والمؤمنين، هذا وإن التواضع للمؤمنين من علامات المؤمنين، قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

وعلى خلاف طلب المتكبّرين من الأنبياء إبعاد الفقراء عنهم، فإن لسان الأنبياء (عليهم السلام) يقول: ﴿وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾[٢].

ثم لماذا يتكبّر هذا الإنسان الضعيف الذي خُلق من تراب ثم من نطفة ثم هو بالنهاية جيفة ميتّة؟! فهل علمه المحدود غير مبتلى بالنسيان؟!

وهل جماله وقدرته وشهرته وثروته غير قابلة للزوال؟!

أو هل هو ناجٍ من المرض والفقر والموت؟!

أو هل قدراته غير زائلة؟!

فلماذا يتكبّر هذا المخلوق إذن؟!

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾[٣].

نماذج من تواضع أولياء الله

١. أول شخص في الوجود الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) فقد كان يجلس بحيث لا يكون له أي خصوصية زائدة على الآخرين، وكان من يدخل المجلس لا يعرف النبيّ (صلى الله عليه وآله) فيسأل: ((أيّكم رسول الله))[٤].

٢. كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) عندما يسافر مع أصحابه يتعهّد كل واحد منهم عملاً ما وكان النبيّ (صلى الله عليه وآله) أيضًا يتعهّد عملاً ويقول: أنا أتولى جمع الحطب[٥].

---

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) هود: ٢٩.

(٣) الإسراء: ٣٧.

(٤) بحار الأنوار، ج٤٧، ص ٤٧.

(٥) المصدر السابق، سيرة النبي.

٣. لما رأى النبيّ (ﷺ) أن ليس هناك حصير يجلس عليه أحد المسلمين أعطاه عباءته ليجلس عليها[١].

لبس الثوب المتواضع، وركوب الحمار، وحلب الشاة، ومجالسة العبيد، والسلام على الأطفال، وإصلاح النعل واللباس، وقبول دعوة الناس إلى الطعام، وكنس المنزل، وتقديم يد العون والمساعدة لكل الناس، وعدم الشبع من الطعام[٢]، كل ذلك كان من صفات النبيّ (ﷺ) وخصاله[٣].

٤. أراد بعض الشيعة - وإظهاراً لاحترامهم للإمام الصادق (عليه السلام) - أن يفرّغوا له الحمّام، فلم يسمح الإمام بذلك وقال لهم: ((لا حاجة لي في ذلك، المؤمن أخفّ من ذلك))[٤].

٥. كان الإمام الرضا (عليه السلام) لا يسمح بأن تكون سُفرته حين الطعام معزولة عن غلمانه مهما أصرّوا على ذلك[٥].

٦. وكان الإمام الرضا (عليه السلام) في الحمام يومًا فطلب أحدهم من الإمام - دون أن يعرفه - أن يفرك له جسمه، فقَبِل الإمام ذلك بكل تواضع ووقار، فلما عَرَف ذلك الشخص أن من يدلّك له جسمه هو الإمام الرضا (عليه السلام) اعتذر منه وطلب الصفح، فلاطفه الإمام ولم يلمه[٦].

هذا وإن من علامات التواضع قبول اقتراح الآخرين وانتقادهم، كذلك جلوس الشخص في أقل المجالس التي تليق بشأنه.

---

(١) بحار الأنوار، ج١٦، ص ٢٣٥.

(٢) أي: يأكل القليل من الطعام فلا يصل إلى حدّ الشبع (الناشر).

(٣) المصدر السابق، ج١٦، ص ١٥٥، وج٧٣، ص ٢٠٨.

(٤) المصدر السابق، ج٤٧، ص ٤٧.

(٥) الطفل، فلسفي، ج٢، ص ٤٥٧.

(٦) بحار الأنوار، ج٤٩، ٩٩.

الإخلاص

قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[(١)].

- الإخلاص هو أن تكون نيّة العمل لوجه الله سبحانه خالصة لا يخالطها ولو واحد بالمئة ممّا هو لغيره تعالى وإلا لكانت تلك العبادة باطلة أو مورد إشكال.

- إذا اخترنا مكان الصلاة لغير الله سبحانه، كما لو وقفنا في مكان يرانا الناس فيه أو تلتقطنا عدسة الكاميرا.

- إذا اخترنا زمان العبادة لغير الله سبحانه، كما لو صلّينا لأول الوقت لنجلب أنظار الآخرين إلينا.

- إذا كان شكلنا ومظهرنا في الصلاة لغير الله تعالى، كما لو وضعنا عباءة على ظهرنا، أو أملنا عنقنا، أو غيّرنا بصوتنا، وكان لنا في ذلك غرض غير رضا الله تعالى فإن الصلاة تكون وفي كل تلك الأمور باطلة غير مقبولة، ونكون بسبب الرياء قد ارتكبنا ذنبًا.

وببيانٍ آخر: الإخلاص يعني أن لا نلتفت إلى الميول والرغبات النفسانية، ولا نعتني برغبات الطواغيت وأهوائهم السياسية، بل يكون الباعث لنا على العمل شيئًا واحدًا فقط هو طاعة أمر الله تعالى وأداء التكليف.

والحقيقة هي إن الوصول إلى الإخلاص في العمل غير ممكن إلا بعون الله سبحانه وتوفيقه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[(٢)].

---

(١) لقمان: ٣٢.

(٢) لقمان: ٣٢.

كيف نحقق الإخلاص؟

١ . تذّكر علم الله وقدرته

فإذا علمنا أن العزّة، والقدّرة، والرزق، هي بيد الله فلن نلهث وراء غيره من أجل كسبها.

فإذا علمنا أن الموجودات إنما تُخلق بإرادة الله وتُمحى بإرادته هو، وإذا علمنا أنه سبحانه هو مسبّب الأسباب، فهو الذي جعل النخلة اليابسة تُعطي رطبًا جنيًا لمريم (عليها السلام)، وهو الذي جعل النار الحارقة بردًا وسلامًا على إبراهيم (عليه السلام)، فإذا علمنا وعرفنا ذلك على نحو اليقين لما توسّلنا بغيره (عزّ وجل).

ولقد دعت مئات الآيات والقصص الناس إلى التفكّر بمظاهر القدرة الإلهية لعلّهم يثوبون إليه ويدعونه مخلصين.

٢ . الالتفات إلى بركات الإخلاص

ليس للإنسان المخلص إلا هدف واحد هو رضا الله سبحانه وتعالى، ومَن كان هدفه رضا الله سبحانه فلا يلتفت إلى ترغيب هنا وذاك، ولا يخاف الملامة والوحدة، كما إنه لا يتخلّف ولا يتقاعس في الطريق، ولا يندم أبدًا، كذلك لا يأبه لتنفر الناس منه، ولا طريق لليأس إليه، وهو لا يهتم للكثرة والقلة في طريق الحقّ.

ونحن نفهم من القرآن الكريم أن المجاهد المخلص لا فرق عنده إن قَتَلَ أو قُتل في سبيل الله، وقد قال الإمام الحسين (عليه السلام) في سفره إلى كربلاء: نحن قاصدون كربلاء سواء وقعنا على الموت أو وقع الموت علينا، فهدفنا هو أداء التكليف[1].

---

(١) في الخبر أن الإمام الحسين (عليه السلام) قال: (خفقت برأسي خفقة فعنَّ لي فارس يقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا. قال علي الأكبر (عليه السلام) يا أبت ألسنا على الحق؟ فقال الحسين (عليه السلام): بلى والذي إليه مرجع العباد. فقال علي الأكبر (عليه السلام): إذًا لا نبالي أن نموت محقين . فقال الحسين (عليه السلام): جزاك الله من ولد خير ما جزى، ولد عن والده). تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٢٣١. (الناشر).

٣. تذكّر ألطاف الله تعالى

والطريق الآخر الذي يقرّبنا من الإخلاص هو تذكّر ألطاف الله تعالى، فلا ينبغي لنا أن ننسى أنّا خُلقنا من نطفة قد خُلقت من الغذاء واستقرت في ظلمات رحم الأم، ثم طوت مراحل من التكامل حتى خرجت إلى هذه الدنيا إنسانًا تام الخلقة، وهو خال من أي علم إلا كيفية رضاعة حليب الأم، الغذاء الكامل الذي يؤمّن جميع احتياجات البدن، ذلك الحليب المخلوط برحمة الأم وحنانها على مولودها على مدار أربع وعشرين ساعة، فهل من وجدان يقظ يُجيز لذلك الإنسان أن يكون وديعة الآخرين بعد أن يصل إلى كل تلك النعم والقدرة والوعي؟ لماذا نبيع أنفسنا إلى الآخرين الذين لا حقّ لهم علينا ولم يلطفوا بنا يومًا ما؟.

٤. تذكّر إرادة الله تعالى

إذا علمنا أن قلوب الناس بيد الله سبحانه وهو مقلّب القلوب لأدّينا تكاليفنا له سبحانه، وكلما احتجنا إلى مساعدة الناس طلبنا إليه سبحانه أن يُلقي محبّتنا في قلوبهم وعقولهم.

لقد كان إبراهيم (عليه السلام) يرفع قواعد الكعبة في صحراء الحجاز الحارّة فطلب إلى الله سبحانه أن يجعل أفئدة الناس تميل إلى ذرّيته، فما كان إلا أن يطوف ملايين الناس وبكلّ شوق وشغف حول ذلك البيت العتيق.

كم من شخص يلقي نفسه في النار إرضاءً للناس، ورغم ذلك لا يحصل على محبّتهم، وكم من شخص يودع حبّ الله تعالى في قلبه ويؤدّي تكليفه خالصًا له من دون أن يرجو في ذلك الناس والماديّات والشهرة والمقام، ولكنه في نفس الوقت يحظى بمكانة عظيمة وكرامة خاصّة في قلوب الناس؛ ولذا يجب أن يكون الهدف هو رضا الله تعالى، ونطلب - بعد ذلك - رضا الناس من الله تعالى.

٥. الالتفات إلى خلود العمل

العمل الذي يكون لله سبحانه يكون باقيًا وخالدًا؛ لأنه قد أخذ الصبغة الإلهية، وإذا كان العمل لغير الله فسينتهي مفعوله عاجلًا أم آجلاً، يقول القرآن: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ﴾[1]، والعاقل لايرجّح الفاني على الباقي ويقدّمه عليه.

٦. مقارنة في الأجر

هناك حدود وقيود كثيرة تحدّد أجر الناس، مثلاً لو أراد الناس أن يعطوا أحد الأنبياء أجره، فسيعطونه أفضل اللباس وأفضل الغذاء وأفضل المساكن، إلا أن كل ذلك محدود، كما ويمكن أن يكون ذلك متوفّراً عند من هو ليس أهلاً لذلك من الناس، فغير الصالح أيضًا يمكن له أن يستفيد من أنواع الزينة والقصور والبساتين، أمّا إذا كان العمل لوجه الله تعالى فهناك أجر لا نهاية له يكون بالانتظار، أجر ماديّ ومعنويّ.

وهنا إذا فكّرنا تفكيراً صحيحًا فلن يُجيز لنا عقلنا أن نبدّل الجزاء الباقي والخالد بالجزاء البشري المحدود الفاني.

وظائف الإنسان الكامل

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[2].

- إنّ على الإنسان الكامل فضلاً عن الإقرار بالإسلام لسانًا والاعتقاد بالإيمان قلبًا أن يسيطر على بطنه وشهوته ولسانه.

- السيطرة على البطن تكون بالصوم، ﴿الصَّائِمِينَ﴾.

---

(١) النحل: ٩٦.

(٢) الأحزاب: ٣٥.

- والسيطرة على اللسان تكون بالصدق، ﴿الصَّادِقِينَ﴾.
- والسيطرة على الشهوة تكون بالابتعاد عن الحرام، ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾.
- ومحاربة الغرور تكون بالتواضع، ﴿الْقَانِتِينَ﴾.
- ومحاربة الغفلة تكون بذكر الله، ﴿وَالذَّاكِرِينَ﴾.
- ومقاومة المغريات تكون بالصبر، ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾.
- ورعاية المحرومين تكون بالإنفاق، ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ﴾.

آخر الأديان

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[1].

- **أسئلة عن آخر الأديان:**

١. لماذا لا يحتاج الناس إلى نبيّ آخر بعد الإسلام؟

الجواب: إنّ العلة الأساسية في تجديد النبّوات وبعث الرسل أمران، هما:

الأول: تحريف الدين السابق إلى الحدّ الذي تتغيّر معه كثير من تعاليم كتاب الله ونبيه.

والثاني: تكامل البشر على طول التاريخ والذي يقتضي نزول قوانين أكمل وأكثر جامعية من التي كانت قبلها.

ولكنّ هذين الأمرين لم يقعا بعد نبيّ الإسلام (ﷺ)؛ وذلك لأنه؛

أولاً: لبقاء القرآن بين أيدي الناس من دون أن تطال يد التحريف حرفًا واحدًا منه، ثانيًا: لقد طُرح في القرآن أكمل القوانين وأشملها، وعلى أساس علم الله (عزّ وجل)، وليس هناك من حاجة للبشرية - وإلى يوم القيامة - إلا وقد جاء حكمها في الإسلام.

---

(١) الأحزاب: ٤٠.

٢. كيف يمكن أن تنسجم حاجات البشر المتغيّرة وخاتمية الدين؟

الجواب: إن الإنسان بحاجة إلى الأستاذ حتى لو وصل إلى مراحل العلم المتقدّمة كدرجة الاجتهاد والدكتوراه مثلاً، وبعد ذلك يصل إلى مرحلة يمكنه ومن دون الأستاذ أن يستنبط ما يحتاجه من مطالب قد تعلّمها سابقًا، فباب الاجتهاد مفتوح ويمكن استنباط القوانين التي نحتاجها من القواعد الكلّيّة، ويكون ذلك وفق أصول قد قرّرها الفقهاء ودوّنوها في مصنفاتهم.

٣. لماذا قُطع اتصال البشر بعالم الغيب؟

الجواب: صحيح أنّ الوحي الرساليّ قد انقطع برحيل النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلا أن الاتصال بعالم الغيب ما زال موجوداً، فالإمام المعصوم (عليه السلام) موجود بين أظهرنا وعليه تتنزّل الملائكة بإذن الله[1]، ومازالت الإمدادات الغيبية تصل إلى الإنسان الصالح، وحتى الأفراد العاديّون يدركون النور الإلهي إذا كانوا متّقين، والله تعالى يُريهم طريق الحقّ بنحوٍ من الأنحاء، قال تعالى: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ... وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً**﴾[2].

الحجاب وآفات التبرّج

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾[3].

- إن آفات التبرّج وترك الحجاب كثيرة جداً، من جملتها:

١. تجميل الفساد والهوى.

٢. انتشار الفساد والفحشاء.

٣. سوء القصد والتجاوز إلى العنف.

٤. الحمل غير المشروع وإسقاط الجنين.

---

(١) انظر: بحث الإمامة من أصول الكافي.

(٢) الحديد: ٢٨.

(٣) الأحزاب: ٥٩.

٥. ظهور الأمراض النفسية والجنسية.
٦. الانتحار والفرار من البيت على أثر الافتضاح.
٧. عدم عطف الرجال زائغي العيون على نسائهم.
٨. ارتفاع نسبة الطلاق وضعف رابطة الأسرة.
٩. الهوس بالتجمّل والتزّين.
١٠. خوف العوائل الصالحة وعدم الشعور بالأمان.

أجر النبيّ

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

- لقد طُرح هنا الأمر كثيراً في القرآن الكريم وهو أن الأنبياء (عليهم السلام) لم يطلبوا أجراً على رسالتهم من الناس، فقد تكرّر ذكر هذا الأمر وعلى لسان مختلف الأنبياء في سورة الشعراء من الآية ١٠٠ إلى الآية ١٨٠، ولكن نبيّ الإسلام (عليه السلام) سأل الناس الأجر في موردين جاء الأول في قوله تعالى: ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[2]، وجاء الثاني في الآية ٥٧ من سورة الفرقان حيث قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾.

إن الآية مورد البحث تجمع بين الآيات السالفة، فهي ناطقة بأن النبيّ (صلى الله عليه وآله) يريد إخبار الناس أنه لو أردتُ منكم أجرًا وقلت لكم أحبّوا أهل بيتي فما ذلك إلا لأن فائدة ذلك الحبّ وثمرته ستعود إليكم أيضًا، ((فهو لكم))؛ ذلك لأن من كان متصلاً بأهل البيت المعصومين (عليهم السلام) سيتّبعهم، ومن اتّبع المعصوم فقد اتّبع صراط الله تعالى ﴿إِلاَّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾.

---

(١) سبأ: ٤٧.
(٢) الشورى: ٢٣.

إذن فائدة ذلك ترجع لنا أنفسنا، ومثل ذلك مثل المعلّم الذي يقول لتلميذه: أنا لا أريد منك أيّ أجر إلا أن تقرأ ما أعلّمك جيّداً، فإن نتيجة ذلك سترجع إلى ذلك التلميذ نفسه حتمًا.

أهميّة الدافع والنيّة

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

- لقد جاء التركيزالبالغ في القرآن الكريم ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) على دافع العمل ونيّته، إلى الحدّ الذي عُدّت نيّة المؤمن خيراً من عمله كما جاء في الحديث[2]، وقد مُدحت الكثير من الأعمال التي لم تتم، ولكن نيّتها كانت حسنة، كما قد انتُقدت - في المقابل - أعمال كثيرة أخرى جيء بها لنيّتها السيئة.

ونحن نذكر هنا مجموعة من الأعمال التي لم تتم إلا أنها وقعت مورد المدح والثناء:

١. امتثال إبراهيم (عليه السلام) للأمر بذبح ولده، ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾.

٢. قبول زيارة أويس القرني لمّا ذهب إلى المدينة لرؤية النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) رغم أنه لم يوفّق للقائه (صلى الله عليه وآله)، وفي المقابل كان هناك من يعيش إلى جنب النبيّ إلا أنه كان يتسبب في إيذائه (صلى الله عليه وآله) كثيراً.

٣. وكذا مجموعة من الأصحاب أرادوا أن يذهبوا إلى الحرب إلا أنهم لم يكونوا يملكون وسيلة ذلك فبكوا لعدم توفيقهم للمشاركة في الحرب[3].

٤. الذين أبدل الله سيئاتهم حسنات، ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[4].

---

(١) الصافات: ١٠٣ - ١٠٥.

(٢) الكافي، ج٢، ص ٨٤.

(٣) قال تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾، (التوبة : ٩٢).

(٤) الفرقان: ٧٠.

٥. الذين يذهبون عن الدنيا وهم ثابتون على محبّة أهل البيت (عليهم السلام) فيؤتون أجر الشهداء، ((مَن مات على حبّ آل بيت محمد مات شهيداً))[١].

٦ من يُضاعَف له الثواب، ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾.

الأعمال التي كان ظاهرها حسنًا إلا أنها وقعت مورد الانتقاد

ذُكر في القرآن مجموعة من الأعمال الحسنة إلا أنها وقعت مورداً للانتقاد، من جملتها:

١. الأعمال التي تكون بنيّة فاسدة مصحوبة بالرياء والعُجب، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ... الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾[٢].

٢. عمل الخير المرافق لعمل سيّئ، كالصدقة بمنّة، ﴿لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾[٣].

٣. العمل الذي يؤتى بأسلوب خاطئ، كالذين كانوا يُغيّرون الأشهر الحُرم - التي يُحرّم فيها القتال - من عند أنفسهم، فيُحلونه عامًا ويحرّمونه عاما، ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾[٤].

٤. أعمال القوم الذين قال عنهم القرآن: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾[٥]، وهي التي كان ظاهرها خيراً ولكن عاقبتها لا قيمة لها.

٥. أعمال الذين قال فيهم القرآن: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٦].

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٣، ص ٢٣٣.

(٢) الماعون: ٤.

(٣) البقرة: ٢٦٤.

(٤) التوبة: ٣٧.

(٥) البقرة: ٢١٧.

(٦) الكهف: ١٠٤.

أهمّيّة التدبّر في القرآن

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[١].

للتدبّر في القرآن أهمّية كبيرة جداً؛ وذلك للأسباب الآتية:

١. من لا يتدبّر في القرآن يستحقّ التحقير الإلهيّ، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٢].

٢. العالِم الربّاني هو الذي يكون كلّ عمله تعلّم القرآن وتعليمه، ﴿كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[٣].

٣. يجب أخذ الكتاب السماويّ بكلّ جدّية وقوّة، ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[٤].

٤. من هجر القرآن سيكون يوم القيامة مورداً لشكاية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾[٥].

٥. قال الإمام السجاد (عليه السلام): ((لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي))[٦].

٦. ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف القرآن: ((... بحراً لا يُدرَك قعرُهُ))[٧].

٧. كان الإمام الخميني (قدّس سرّه) كثيراً ما يتأسف على أنه لم يستثمر كلّ عمره في التدبّر في القرآن الكريم[٨]، كذلك كان الملا صدرا كما جاء في تفسيره لسورة الواقعة والذي تقدّم نقله من قبل.

---

(١) ص: ٢٩.

(٢) محمّد: ٢٤.

(٣) آل عمران: ٧٩.

(٤) محمد: ٢٤.

(٥) الفرقان: ٣٠.

(٦) الكافي، ج٢، ص ٦٠٢.

(٧) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٨.

(٨) صحيفة النور، ج٢٠، ص ٢٠.

آية مِلؤها اللطف والرحمة

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[(١)].

- لقد تجلّى اللطف والرحمة الإلهية في كلّ كلمات هذه الآية:

١. على رسول الله أن يبلّغ بشارة هذه الآية صريحًا، ﴿قُلْ﴾.

٢. جعل الله الإنسان مخاطبه مباشرة، فاستعمل أداة النداء﴿يَا﴾ للمخاطبة.

٣. عدّ الله الكلّ عباده وهم يستحقّون رحمته، ﴿عِبَادِيَ﴾.

٤. المذنبون إنما ظلموا أنفسهم ولم يطل الله شيء من ظلمهم، ﴿أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾.

٥. اليأس من الرحمة حرام، ﴿لا تَقْنَطُواْ﴾.

٦. رحمة الله غير محدودة، فجاء تعبير ﴿رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ بدل (رحمتي) رمزًا لجامعية الرحمة؛ ذلك لأن لفظ ((الله)) أجمع الأسماء.

٧. الوعد بالرحمة قطعي، ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾.

٨. فيض الله العفو الدائم، ﴿يَغْفِرُ﴾.

٩. الله يغفر الذنوب جميعا، ﴿الذُّنُوبَ).

١٠. يؤكد الله على العفو عن كلّ الذنوب، ﴿جَمِيعًا﴾.

١١. الله غفور رحيم، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

أنواع الجدل وآدابه

قال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾[(٢)].

---

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) غافر: ٤.

- إن الجدال على نوعين:

أ) الجدال الحسن، والذي هو من سيرة الأنبياء ونوع من الخطاب لإرشاد الناس، كما قال الكفّار للنبي نوح (عليه السلام): ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾[١].

ب) الجدال الباطل وغايته محو الحقّ أو إضعافه بأساليب الخداع المنحرفة والباطلة، قال تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[٢].

- يجب الابتعاد - في المسائل العلمية والعقائدية - عن الجدال إلا إذا كان بالتي هي أحسن، ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[٣]، ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤].

نماذج من الجدال الحسن

١. دعوة إبراهيم لنمرود للإيمان بالله تعالى كما يصوّره قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٥].

٢. لقد حاجّ القرآن الكريم المشركين مراراً أن إذا استطعتم أن تأتوا بكتاب مثل القرآن، أو تأتوا بعشر سور مثله، أو حتى سورة واحدة فسأقبل دعوتكم، حتى إنه قال لهم: استعينوا بمن أردتم من الجنّ والإنس ولكنكم لن تستطيعوا أبداً الإتيان حتى ولو بسورة واحدة مثل القرآن، وهذا ما يصوّره قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٦]،

---

(١) هود: ٣٢.

(٢) غافر: ٥.

(٣) العنكبوت: ٤٦.

(٤) النحل: ١٢٥.

(٥) البقرة: ٢٥٨.

(٦) يونس: ٣٨.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١].

٣. إنّ الجدال بالباطل نتيجة وسوسة الشيطان، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[٢].

مفاسد الجدال

١. الجدال سبب للانحراف، ((ما ضل قوم بعد هدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال))[٣].

٢. الجدال سبب للغضب الإلهيّ، ((من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع))[٤].

٣. الجدال سبب للندم، ((إياك واللجاجة فإن أولها جهل وآخرها الندامة))[٥].

أسلوب الجدال الحسن

١. طلب الدليل من الخصم، ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾[٦].

٢. لا تتوهمنّ أنك الأفضل من البداية، ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٧].

---

(١) البقرة: ٢٣.

(٢) البقرة: ٢٣.

(٣) نهج الفصاحة، ح ٢٦٤٨.

(٤) المصدر السابق، ح ٢٨٦٥.

(٥) المصدر السابق، ح ١٠٠٨.

(٦) البقرة: ١١١.

(٧) سبأ: ٢٤.

٣. قبول الحقّ وإن رُد لمصلحة ما، ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[1][2].

٤. إعطاء فرصة التفكير للخصم، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾[3].

٥. مراعاة الأدب والرزانة، ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً﴾[4].

٦. مراعاة الإنصاف وعدم النظر إلى الكلّ بعين واحدة، ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾[5][6].

٧. التكلم بالمنطق، ﴿قَوْلاً سَدِيداً﴾[7].

٨. قول الكلام اللين، ﴿قَوْلاً لَّيِّناً﴾[8].

التجلّيات المختلفة للنصر الإلهيّ

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾[9].

---

(١) البقرة: ٢١٩

(٢) وقد عبّر سماحة الشيخ الأستاذ بقوله (وإن رُد لمصلحة ما) للإشارة إلى الذين ينكرون الحق لوجود مصلحة هم يرونها، فالخمر ـ كما في الآية ـ حيث ينكر بعضهم حرمته اعتماداً منه على وجود منفعة فيه، وهنا الآية تشير إلى وجود منفعة ولكن الحرمة ثابتة وهي الحق فلا بد من الالتزام بالحق وإن كان الآخر يرى مصلحة في الأخذ بالأمر المحرم. (الناشر).

(٣) التوبة: ٦.

(٤) الأنعام: ١٠٨.

(٥) آل عمران: ٢٣.

(٦) وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

(٧) الأحزاب: ٧٠.

(٨) طه: ٤٤.

(٩) غافر: ٥١.

- إن النصر الإلهيّ للأنبياء والمؤمنين يتجلّى بصور مختلفة:

فأحيانًا يتجلّى بإيجاد الألفة وميل القلوب بعضها إلى بعض، ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾[١]، ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٢].

ويتجلّى أحيانًا أخرى باستجابة الدعاء، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾[٣]، ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[٤].

وأحيانًا أخرى بالمعجزة والاستدلال، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[٥].

وأحيانًا بإعطاء الحكومة، ﴿آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[٦].

وأخرى بالغلبة في الحرب، ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[٧].

وأخرى بإنزال السكينة في القلب، ﴿فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[٨].

ويتجلّى أحيانًا بإهلاك العدوّ أو الانتقام منه، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾[٩].

وأحيانًا أخرى بالإمداد الغيبيّ ونزول الملائكة، ﴿أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾[١٠].

وأخرى بإيجاد الرعب في قلوب الأعداء، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾[١١].

---

(١) الأنعام: ١١.

(٢) إبراهيم: ٢٧.

(٣) يوسف: ٣٤.

(٤) نوح: ٢٦.

(٥) الحديد: ٢٥.

(٦) النساء: ٥٤.

(٧) التوبة: ٢٥.

(٨) التوبة: ٤٠.

(٩) الأعراف: ١٣٦.

(١٠) آل عمران: ١٢٤.

(١١) الحشر: ٢.

وأحيانًا بنشر الثقافة والفكر، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[1].

وأحيانًا أخرى بالنجاة من الخطر، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾[2].

وأخرى بإبطال حيل الأعداء وخدعهم، ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾[3].

أسلوب تعامل الرسول (صلى الله عليه وآله) مع الناس

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[4].

- لقد كان تعامل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع الناس وفق التعاليم والأوامر الإلهية، ولم يكن انطلاقًا من رغبة وسليقة شخصية إطلاقًا، وكان هذا التعامل يختلف من شخص لآخر وفي موارد متعدّدة، ويمكن تقسيم الآيات الواردة في هذا الشأن إلى قسمين:

القسم الأول: الآيات التي تتحدّث عن التعامل الليّن بالقول والعمل.

القسم الثاني: الآيات التي تتحدّث عن التعامل الشديد مع المنكرين والملحدين.

ونحن هنا نذكر نماذج من كلا القسمين:

نماذج القسم الأول: الآيات المرتبطة بالتعامل اللين مع الناس:

١. ﴿فَاصْبِرْ﴾، (الآية مورد البحث).

٢. ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

٣. ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[6].

---

(١) الصف: ٩.

(٢) العنكبوت: ١٥.

(٣) الأنفال: ١٨.

(٤) غافر: ٧٧.

(٥) الشعراء: ٢١٥.

(٦) التوبة: ١٠٣.

٤. ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[١].

٥. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[٢].

٦. ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣].

٧. ﴿تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[٤].

٨. ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ﴾[٥].

٩. ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾[٦].

١٠. ﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾[٧].

١١. ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٨].

١٢. ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾[٩].

١٣. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾[١٠].

نماذج القسم الثاني: الآيات المرتبطة بالتعامل الشديد مع المنكرين والملحدين غير القابلين للهداية.

١. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[١١].

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) فصلت: ٣٤.

(٤) آل عمران: ٦٤.

(٥) الممتحنة: ١٢.

(٦) التوبة: ٦١.

(٧) الأنعام: ٥٣.

(٨) آل عمران: ١٥٩.

(٩) الأنفال: ١٦.

(١٠) الأحزاب: ٤٧.

(١١) السجدة: ٣٠.

٢. ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ، وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[١]، أي يريدون أن تلين لهم فيحرّفوك عن الحقّ.

٣. ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

٤. ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾[٣].

٥. ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٤].

٦. ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ﴾[٥].

٧. ﴿ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[٦].

٨. ﴿لا تَقُمْ فِيهِ﴾[٧]، أي في مسجد ضرار .

٩. ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾[٨].

أسلوب التعامل مع المخالفين

قال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٩].

- ينقسم المخالفون إلى عِدّة أقسام يجب التعامل مع كلّ قسم بأسلوب مختلف:

---

(١) القلم، ٥ - ٦.

(٢) التوبة: ٧٣.

(٣) المنافقون: ٤.

(٤) الأحزاب: ٦٠.

(٥) التوبة: ٨٤.

(٦) الأنعام: ٩١.

(٧) التوبة: ١٠٨.

(٨) الأحزاب: ٤٨.

(٩) فصلت: ٣٤.

- أحيانًا يقف أشخاص - وبسبب الجهل وعدم العلم - بوجه الحقّ ويعادونه، فتأمر هذه الآية بالتعامل الحسن معهم، وقد جاء ذلك في آيات أخرى أيضًا:

١. قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾[١].

٢. وقال أيضًا: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٢].

وأحيانًا تكون المخالفة على أساس الشكّ والتردد، فيجب التعامل معها بالاستدلال ورفع الشبهات، ومن نماذج ذلك:

١. الشكّ بالله تعالى، ﴿أَفِي اللّهِ شَكٌّ...﴾[٣].

٢. الشكّ بيوم القيامة، ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾[٤].

٣. الشكّ بنزول الوحي والكتاب السماوي على النبيّ (ﷺ)، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾[٥].

وأحيانًا تكون المخالفة على أساس الحسد، فيجب التعامل مع أمثال هذه الحالة بالإغماض، ومن نماذج ذلك:

١. اعتراف أخوة يوسف بحسدهم له وخطئهم بحقه، فعفا يوسف عنهم، ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ... لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾[٦].

٢. تعامل هابيل في مقابل حسد أخيه قابيل حيث قال: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾[٧].

---

(١) الفرقان: ٦٣.

(٢) الفرقان: ٧٢.

(٣) إبراهيم: ١٠.

(٤) الحج: ٥.

(٥) البقرة: ٢٣.

(٦) يوسف: ٩١ - ٩٢.

(٧) المائدة: ٢٨.

وأحيانًا أخرى تكون المخالفة بسبب الرغبة في حفظ الجاه والمكانة والرفاه الماديّ، ويكفي للتعامل مع هذه الحالة إتمام الحجّة، وقد جاءت آيات ﴿ذَرْهُمْ﴾[١]، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[٢]، بخصوص أمثال هذه الحالة.

وأحيانًا تكون المخالفة رغبة في كسر المقابل وهجائه وإضعاف إيمان الناس، فيجب التعامل مع مثل هذه الحالة بالشدّة والغلظة، أو قطع الارتباط بالمخالفين أو حتى إعدامهم، وهناك بعض الآيات التي تشير لأنواع التعامل مع هذه الحالة:

١. ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[٣].

٢. ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ...﴾[٤].

٣. ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء﴾[٥].

٤. ﴿... أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾[٦].

وأحيانًا يشتدّ خلاف الأعداء فيكون باليد والسلاح والمواجهة العسكرية، فيقول القرآن الكريم بخصوص ذلك: ﴿فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...﴾[٧].

- قال بعضهم في تفسير الآية ٤٠ من سورة الشورى وهي قوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾: المراد هو أنه إذا أجيب سيّئ شخصٍ بسيّئٍ مثله فأنتم مثل البادئ، كما جاء ذلك في الآية ٤٣ من السورة نفسها وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

---

(١) الأنعام: ٩١، والحجر: ٣.

(٢) النساء: ٦٣ و ٨١.

(٣) التوبة: ٧٣.

(٤) النساء: ١٤٠.

(٥) المائدة: ٥١.

(٦) الأحزاب: ٦١.

(٧) البقرة: ١٩٤.

الرزق

قال تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١].

- (مقاليد) جمع (مِقلد) بمعنى المفتاح، والمفتاح وسيلة الفتح والغلق، ومن كان يملك مفتاح الأرض والسماء ستكون له القدرة على فتح الرزق وغلقه.

- أحيانًا تكون مفاتيح الوجود عوامل مادّيّة فتكون واسطة الفيض، كالمطر الذي هو وسيلة إحياء الأرض، قال تعالى: ﴿فَأَحْيَى بِهِ الأَرْضَ﴾[٢]، وأحيانًا تكون تلك العوامل الأسماء الإلهية والتي نقرأ نموذجًا منها في دعاء السمات: (أسألك باسمك الذي إذا دُعيت به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت).

- لا يُعدّ بسط الرزق أو قبضه علامة على اللطف أو الغضب الإلهيّ؛ ذلك أن القرآن يقول: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾[٣].

- رغم أن بسط الرزق والمعيشة أو قبضها بيد الله تعالى إلا أن ذلك لا يمنع الإنسان من السعي في تحصيل الرزق وكسب المعيشة، فالقرآن يقول: (وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ)[٤].

- ليس الرزق مادّيًّا دائمًا؛ ذلك أنا نقرأ في الدعاء: (اللهمّ ارزقني توفيق الطاعة وبُعد المعصية).

- لقد علّمنا القرآن مفاتيح بسط الرزق حيث قال: (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٥]،

---

(١) الشورى: ١٢.

(٢) البقرة: ١٦٤.

(٣) التوبة: ٥٥.

(٤) الجمعة: ١٠.

(٥) إبراهيم: ٧.

وقال: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ... يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾[١]، وقال أيضًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[٢].

الشورى والمشورة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣].

- قال طلحة والزبير للإمام عليّ (عليه السلام): نكون معك ولكن بشرط أن تستشيرنا في كلّ عمل؛ لأنّ حسابنا يختلف عن الآخرين، فقال لهما الإمام (عليه السلام): ((نظرتُ في كتاب الله وسنّة رسوله فأمضيت ما دلاني عليه واتبعته ولم احتج إلى آرائكما فيه ولا أرى غيركما، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنّة برهانه واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه))[٤].

- لقد رُكِّز في الآية محلّ البحث على نظام الشورى في إدارة أمور المجتمع؛ ولهذا السبب سُمّيت هذه السورة بسورة الشورى، ونحن بهذه المناسبة نورد بعض الروايات التي وردت في باب الشورى[٥]:

١. (شاور العلماء الصالحين).
٢. (واجعل مشورتك من يخاف الله).
٣. (شاور المتّقين الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا).
٤. (خير من شاورت ذوي النُهى والعلم وأولي التجارب والحزم).
٥. (لا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً ولا جبانًا ولا حريصًا).
٦. (رأيُ الرجلِ على قدر تجربته).

---

(١) هود: ٥٢.
(٢) الطلاق: ٢ - ٣.
(٣) الشورى: ٣٨.
(٤) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد، ج٧، ص ٤١.
(٥) بحار الأنوار، ج٧٢، ص ١٠٥.

٧. (أن يكون حراً متديّنًا صديقًا وأن تطلعه على سرّك).

٨. (مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله).

٩. (شاور في أمورك من فيه خمس خصال....) العقل، والعلم، والتجربة، وحبّ الخير، والتقوى.

سؤال: لماذا جاء في نهج البلاغة[1] النهي عن مشاورة النساء؟

الجواب: المشورة لا تتبع الجنس، بل هي تابعة للمعيار والملاك، يقول الإمام عليّ (عليه السلام): (فإنّ رأيهنّ إلى أَفَن)؛ حيث لمّا كانت المرأة عاطفية وحساسة، فإنّ رأيها عادة ما لا يكون منطلقًا من الاستدلال؛ لذا يقول الإمام في حديث آخر ما معناه: شاور من كانت ذات تجربة من النساء، وعليه فإن دليل النهي عن مشاورة النساء هو كون رأيها - في العادة - ضعيفًا ولا يستند إلى العقل لغلبة عاطفتها على العقل، ومتى ما كان الرجل بهذا الشكل فسينجّر له هذا الحكم أيضًا فلا ينبغي مشاورة رجال هذا شأنهم.

سؤال: رغم أن القرآن يقول في شأن أكثر الناس: ﴿**وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾[2]، ويقول: ﴿**أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[3]، ويقول أيضًا: ﴿**أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[4]، ويقول: ﴿**وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾[5]، فمع كلّ هذا التشديد على عدم علم أكثر الناس وعدم عقلهم فلِمَ جاء التركيز على المشاورة؟

الجواب: إن ما تكلّم عليه القرآن من الأكثرية هنا هو الأكثرية المشركة الفاسدة المبتلاة باتباع الهوى، ولم يكن مراد القرآن أكثر المتّقين، أو أكثر المؤمنين قطّ.

---

(١) الكتاب: ٣١.

(٢) المائدة: ١٠٣.

(٣) الأنعام: ٣٧.

(٤) التوبة: ٨.

(٥) المؤمنون: ٧٠.

آثار المشورة وفوائدها

للمشورة مع الآخرين آثار وفوائد كثيرة، من جملتها:

١. التقليل من احتمال وقوع الخطأ.

٢. المشورة تنمّي الاستعدادات.

٣. المشورة تمنع من الاستبداد.

٤. المشورة تمنع من حسد الآخرين، فإذا شاورنا الآخرين سينظر الآخرون إلى نجاحنا أنه جاء نتيجة التفكير معهم ومشاورتهم فعندها لن يواجهونا بالحسد، وإن الولد الذي ينمو في أحضان أبيه لن يحسده أباه أبداً؛ لأنه سوف يرى نموّه جاء تحت ظلّ رعايته هو.

٥. المشورة تستتبع الإمداد الإلهيّ، فقد جاء في تراثنا الدينيّ أن (يد الله مع الجماعة).

٦. إن الاستفادة من آراء الآخرين تنضج أفكارنا وتجعلها أكثر جامعية، فقد جاء في الحديث: (من شاور الرجال شاركهم في عقولهم).

٧. تُعدّ المشورة احتراماً للمستشار، وربما لا نحصل على رأي جديد أو نافع من مشاورة الآخرين إلاّ أنّ ذلك في حدّ ذاته يعدّ احتراماً لهم.

٨. المشورة وسيلة لمعرفة الآخرين، فقد قال الشاعر: ما لم يتكلّم المرء فإنّ عيبه وحسنه مخفيان عن الظهور[١].

- يمكن من خلال المشورة معرفة المستوى العلميّ والفكريّ للآخرين ومدى التزامهم بالمسؤولية وقدرتهم على البرمجة والتخطيط.

سؤال: هل كانت لمشاورة النبيّ (صلى الله عليه وآله) الناس جنبة ظاهرية لا واقعية لها؟

الجواب: كلا؛ ذلك لأن النبيّ (صلى الله عليه وآله) لو شاور الناس ثم عمل بخلاف ذلك فإنه لن يكون مستهزئًا بالأمّة فحسب، بل سيكون ذلك نوع تجريح لروحهم ومشاعرهم.

---

(١) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية.

لقد شاور الرسول الأكرم (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ) المسلمين في معركة بدر، ومعركة أحد، والخندق، والحديبية، ومعركته مع بني قريظة وبني النظير، وفي فتح مكّة، ومعركة تبوك.

- إن المشورة تكون في المسائل ذات الصلة بالناس، وأما الأمور المرتبطة بالله تعالى كالبعثة والإمامة والعبادة فليس هناك مكان للمشورة، كالصلاة، فالصلاة عهد الله تعالى كما جاء في الأثر وعهد الله يجب أن يؤدّى ولا حاجة له بالمشورة.

والإمامة والقيادة عهد الله أيضًا؛ لأنه عندما طلبها إبراهيم لذريّته جاءه الجواب الإلهي بأن الإمامة عهدي وأوكل عهدي إلى من أشاء من عبادي الصالحين ولا ينال ذلك الظالمين، فقد قال تعالى حكاية لهذا الأمر: ﴿... **قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[1]، إذن يجب علينا التسليم للقيادة المنصوبة من الله (عزّ وجل).

- إن الإسلام دين جامع وكامل في كلّ المجالات.

١. في المسائل العقيدية، ﴿**آمَنُواْ، يَتَوَكَّلُونَ**﴾.

٢. في المسائل الأخلاقية، ﴿**يَجْتَنِبُونَ، يَغْفِرُونَ**﴾.

٣. في المسائل الاجتماعية، ﴿**شُورَىٰ بينهم**﴾.

٤. في المسائل العبادية، ﴿**أَقَامُواْ الصَّلاَةَ**﴾.

٥. في المسائل الاقتصادية، ﴿**يُنفِقُونَ**﴾.

ومن اللافت أن هذه الصفات جاءت على صيغة الفعل المضارع حيث يدل على الاستمرار.

---

(١) البقرة: ١٢٤.

قانون المماثلة

قال تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[١].

- قانون المماثلة في الإسلام: لمّا كانت قوانين الإسلام وأحكامه مطابقة للعقل والفطرة والعدل، فقد طُرحت المماثلة في مختلف الأمور وبكلّ صراحة ووضوح، ونحن نذكر هنا مجموعة من النماذج لذلك:

١. ﴿... فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...﴾[٢].

٢. ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٣].

٣. ﴿... وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ...﴾[٤].

٤. ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ...﴾[٥].

نماذج من المماثلة في السنن الإلهية:

١. ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ﴾[٦].

٢. ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[٧].

٣. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٨].

٤. ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[٩].

---

(١) الشورى: ٤٠.

(٢) البقرة: ١٩٤.

(٣) البقرة: ٢٢٨.

(٤) المائدة: ٩٥.

(٥) النحل: ١٢٦.

(٦) آل عمران: ٥٤.

(٧) النساء: ١٤٢.

(٨) البقرة: ١٤ - ١٥.

(٩) الحشر: ١٩.

٥. ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ﴾[١].

٦. ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾[٢].

٧. ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[٣].

٨. ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[٤].

٩. وأولئك الذين قالوا في الدنيا: ﴿سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾[٥]، سيقولون يوم القيامة: ﴿سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾[٦].

١٠. ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾[٧].

١١. ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٨].

١٢. إذا أمرنا الله تعالى بـ ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٩]، وأطعنا أمره فإنه في المقابل يأمر نبيّه الكريم (ﷺ) بـ ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[١٠].

مقارنة بين المؤمن والكافر

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[١١].

---

(١) الصف: ٥.

(٢) الإسراء: ٨.

(٣) يونس: ٢٩.

(٤) المائدة: ١١٩.

(٥) الشعراء: ١٣٦.

(٦) إبراهيم: ٢١.

(٧) الإسراء: ٧٢.

(٨) البقرة: ١٥٢.

(٩) الأحزاب: ٥٦.

(١٠) التوبة: ١٠٣.

(١١) الجاثية: ٢١.

- نرى في المقارنة بين المؤمن والكافر أن المؤمن مطمئن بذكر الله، وراض بما أعطاه الله، ويحدوه الأمل بالمستقبل، وطريقه واضح، وهو يرى في الموت قنطرة للعبور إلى منزل أكبر، ولكن الكافر يدور في فلك الطاغوت، وهو محكوم بهواه أو هوى الآخرين، ولا يرى المستقبل إلا مظلمًا، والموت إلا فناءً؛ لذا القرآن الكريم ولأجل بيان أكثر وأوضح للفرق بين المؤمن والكافر يطرح أسلوب المقارنة بينهما ليتمكن كلّ واحد وعلى مختلف المستويات أن يدرك هذه المسألة:

١. المؤمنون يزادون إيمانًا ﴿**زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾[١]، وأما الكفّار فيزدادون كفراً ﴿**ازْدَادُواْ كُفْراً**﴾[٢].

٢. ﴿**اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾[٣]، وأما الكافرون فـ ﴿**أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ**﴾[٤].

٣. الله يُنزل السكينة في قلوب المؤمنين، ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٥]، ولكنه يُلقي الرعب والخوف في قلوب الكفّار ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ**﴾[٦].

٤. ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ**﴾، ولكن ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ**﴾[٧].

٥. المؤمن محبوب، ﴿**سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً**﴾[٨]، ولكن الكافر حقير مذموم، ﴿**تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ**﴾[٩].

---

(١) الأنفال: ٢.
(٢) آل عمران: ٩٠.
(٣) البقرة: ٢٥٧.
(٤) البقرة: ٢٥٧.
(٥) الفتح: ٤.
(٦) الأنفال: ١٢.
(٧) محمد: ٣.
(٨) مريم: ٩٦.
(٩) يونس: ٢٧.

٦. المؤمنون تتوفاهم ملائكة الرحمة ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ﴾[١]، وأما الظالمون فتتوفاهم ملائكة الغضب ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾[٢].

٧. المؤمنون (يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾، وأما الكفّار فـ ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾[٣].

٨. المؤمنون لا يضيع أجرهم ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[٤]، ولكن الآخرين ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾[٥].

٩. المؤمن يرى كلّ ما عنده من الله تعالى ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾[٦]، ولكن الكافر يظنّ أنّ ما عنده من كدّ يده ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾[٧].

١٠. عمل المؤمن خالد أبداً ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٨]، ولكن أعمال الكافر زائلة فانية ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٩].

١١. المؤمن لا يخاف أحداً إلا الله تعالى ﴿لا يَخْشَوْنَ أَحَداً﴾[١٠]، وأما الكافر فيخاف الآخرين كخوفه من الله ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ﴾[١١].

---

(١) النحل: ٣٢.

(٢) النحل: ٢٨ .

(٣) النساء: ٧٦.

(٤) الكهف: ٣٠.

(٥) البقرة: ٢١٧.

(٦) النمل: ٤٠.

(٧) القصص: ٧٨.

(٨) محمد: ٤.

(٩) محمد: ١.

(١٠) الأحزاب: ٣٩.

(١١) النساء: ٧٧.

١٢. المؤمن تتنزّل عليه الملائكة، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[١]، ولكن الكافرين تتنزّل عليهم الشياطين ﴿تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾[٢].

١٣. المؤمن مستبشر ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، ولكن الكافر آيس قانط ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[٤].

١٤. كلمة الله تكون الغالبة ولا يعلى، ﴿وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾، وأما كلمة الكفّار ﴿كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى﴾[٥].

١٥. فهل يبقى بعد كل هذه العناوين القرآنية الباهرة مجال للشكّ والترديد؟! لا شكّ في الدين، ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾[٦]، وأما الذين يشكّون ويتردّدون في دينهم فهم ﴿فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٧].

اختلاف أثر الله تعالى عن غيره

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ، وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[٨].

- تفاوت اثر الله وأثر غيره في الحياة:

أ) أثر الله في حياة الإنسان

١. الله خالق الإنسان، ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ﴾[٩].

---

(١) فصّلت: ٣٠.

(٢) الشعراء: ٢٢١.

(٣) الإسراء: ٩.

(٤) الروم: ٣٦.

(٥) التوبة: ٤٠.

(٦) البقرة: ٢.

(٧) التوبة: ٤٥.

(٨) الأحقاف: ٥ - ٦ .

(٩) الرحمن: ٣.

٢. الله ربّ الإنسان وربّ العوالم جميعًا، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

٣. هو رؤوف بالعباد، ﴿بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ﴾[٢].

٤. يسمع الدعاء، ﴿سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[٣].

٥. هو الذي يجيب المضطرّ، ﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾[٤].

٦. هو الذي يهدي من جاهد فيه، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٥].

٧. هو الذي يتولّى شؤون عباده الصالحين، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[٦].

٨. هو الذي يهدي عباده إلى الرشد والتكامل، ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾[٧].

٩. بذكره تطمئنّ قلوب الذاكرين، ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٨].

١٠. هو الذي يعلّم الإنسان، ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾[٩].

١١. هو الذي يوسّع الرزق لشاكريه، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[١٠].

١٢. هو الذي يشفي المرضى، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[١١].

١٣. هو الذي تأمله قلوب العباد، ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[١٢].

---

(١) الحمد: ٢.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) آل عمران: ٣٨.

(٤) النمل: ٦٢.

(٥) العنكبوت: ٦٩.

(٦) الأعراف: ١٩٦.

(٧) ص: ٢.

(٨) الرعد: ٢٨.

(٩) العلق: ٤.

(١٠) إبراهيم: ٧.

(١١) الشعراء: ٨٠.

(١٢) الشعراء: ٨٢.

ب) أثر غير الله في حياة الإنسان

١. لا قدرة له على الخلق، ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً﴾[١].

٢. لا علم له باحتياجات الناس، ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[٢].

٣. لا يسمع الدعاء، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ﴾[٣].

٤. لا قدرة له على الإجابة، ﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾[٤].

٥. عدوّ الإنسان، ﴿كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء﴾.

٦. لا قدرة له على كشف الضرّ، ﴿فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ﴾[٥].

٧. لا قدرة لهم على جلب النفع ولا دفع الضرر، ﴿مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾[٦].

والخلاصة هي وكما قال النبيّ يوسف (عليه السلام): ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٧].

صلح الحديبية

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا، وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[٨].

- سار النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) في شهر ذي القعدة من العام السادس للهجرة باتجاه مكّة المكرّمة للحج، وقد رغّب المسلمين في هذا السفر للحج معه فاشترك

---

(١) الحج: ٧٣.

(٢) الأحقاف: ٥.

(٣) فاطر: ١٤.

(٤) الأحقاف: ٥.

(٥) الإسراء: ٥٦.

(٦) البقرة: ١٠٢.

(٧) يوسف: ٣٩.

(٨) الفتح: ١ - ٣.

معه ألف وأربع مئة من المسلمين فساروا بإحرامهم شطر البيت الحرام، فوصل الخبر إلى مشركي مكّة فأغلقوا الطريق على المسلمين في قرية يقال لها الحديبية تقع بالقرب من مكّة، ومنعوهم من الدخول إليها، فأخذ الممثّلون من كلا الطرفين بالذهاب والمجيء لإجراء مباحثات لحلّ هذا الاختلاف، وفي وقت من الأوقات رأى ممثّل المشركين كيف أن المسلمين يتهافتون لأخذ قطراتٍ من فاضل وضوء النبيّ (صلى الله عليه وآله) للتبرّك بها، ثمّ أخبر المشركين: إنكم لا تستطيعون أن تفرّقوا الناس عن محمّد مع ما يكنّون له من علاقة وودّ ومحبّة.

فذهب عثمان إلى مكّة ممثلاً عن المسلمين، ولكن انتشرت شائعة تفيد أنّ عثمان قد قُتل، فنادى الرسول بالمسلمين للاستعداد للحرب وتجديد البيعة تحت إحدى أشجار ذلك المكان، وبعد ذلك عُرفت هذه البيعة ببيعة الرضوان، ولكن بعد عِدّة أيام رجع عثمان سالمًا، ثمّ كتُبت وثيقة الصلح المكوّنة من عِدّة بنود بين كلا الطرفين بيد الإمام عليّ (عليه السلام) وأمضى عليها الطرفان، ومن جملة بنود تلك الوثيقة أنهما تعهّدا على الصلح لمدّة عشر سنوات، وعلى المسلمين أن يرجعوا في عامهم هذا ولا يؤدّوا الحج على أن يأتوا العام القادم لأداء العمرة في ثلاثة أيام.

فأمر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) أن ينحروا النوق التي كانوا قد أحضروها معهم للهَدي، وأن يحلقوا رؤوسهم ويخلعوا إحرامهم في ذلك المكان ويرجعوا إلى المدينة، ورغم أن المسلمين لم يحجّوا في ذلك العام إلا أن هذا الصلح والهدنة لعشر سنوات وحرّيّة المسلمين في أداء العمرة من العام القادم عدّ نصراً واضحًا للمسلمين؛ حيث كان الصلح نهاية للخصومة الظاهرة للمشركين مع المسلمين وفتح الباب أمام تبليغ الدين وتجديد قوّة المسلمين، ثمّ كان نفس هذا الميثاق قاعدة وأرضية لفتح مكّة فيما بعد.

- لقد ابتدأ الإمام عليّ (صلى الله عليه وآله) وبأمر من النبيّ (صلى الله عليه وآله) كتابة وثيقة هذا الصلح بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)، ولكن المشركين قالوا: نحن لا نقبل هذا، فغيّرها النبيّ إلى (باسمك اللهمّ)، ثمّ أشكل المشركون على كلمة (رسول الله) وقالوا: يجب أن تحذف، فقبل الرسول ذلك مرّة أخرى وبكلّ هدوء وقلب مطمئنّ وحذفوا

هـذه الكلمـة، فكـان ذلـك نموذجًـا علـى حميـة الجاهليـة عنـد المشـركين ونـزول السكينة على قلب النبيّ (ﷺ) وأصحابه.

- وفـي العـام السـادس مـن الهجـرة رأى النبـي (ﷺ) فـي منامـه أن المسـلمين يـدخلون المسـجد الحـرام محلقـين رؤوسـهم وهـم يـؤدّون مراسـم العمـرة، وبعـد هـذه الرؤية خرج النبيّ (ﷺ) والمسلمون إلى مكّة لأداء العمرة، فلما اقتربوا من مكّة وفـي الحديبيـة اطّلـع المشـركون علـى اقتـراب المسـلمين فعزمـوا علـى غلـق الطريـق أمـامهم وقـتلهم، فأخـذ الرسـول مـن المسـلمين عهـدًا بالوفـاء لـه والطاعـة، فـأوقع اللّه الصلح للمسلمين؛ لأنّ بعـض المسـلمين كـان يسـكن مكّـة بالخفيـة فـربمـا كـانوا سيقتلونه من غير حقّ وبه يجب على المسلمين دفع الديّة، وربمـا وقعـت الفتنـة بيـنهم، فكان في هـذا الصـلح بركـات كثيـرة، وعلـى إثـر ذلـك دخـل كثيـر مـن النـاس فـي الإسـلام، ولكـن بعـض المسـلمين كـان قلقًـا ومشـكّكًا لِمَ لـمْ تتحقّـق رؤيـة النبـيّ (ﷺ)؟! حيث قال للنبيّ (ﷺ): أو لست كنـت تحدثنا أنـا سـنأتي البيـت فنطـوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟.

ومنه يفهم بأنه ليس من اللازم أن تتحقّق هذه الرؤية في هذا العام.

وعلى كلّ حال فقد رجع المسـلمون هـذا العـام أيضًـا إلـى المدينـة وطبـق الصـلح الذي أمضوه مـع المشـركين سـابقًا فقـد جـاؤوا إلـى مكّـة وأدّوا العمـرة فـي غضـون ثلاثة أيام، ولقد خالف المشركون ما كانوا قد صالحوا المسلمين عليه، وفـي العـام الثامن من الهجرة فتح المسلمون مكّة من دون إراقة حتى ولو قطرة دم واحدة.

المقدّسات والمكرّمات في الإسلام

قـال تعـالى: ﴿**يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لا تَرْفَعُـوا أَصْـوَاتَكُمْ فَـوْقَ صَـوْتِ النَّبِـيِّ وَلا تَجْهَـرُوا لَـهُ بِـالْقَوْلِ كَجَهْـرِ بَعْضِـكُمْ لِـبَعْضٍ أَن تَحْـبَطَ أَعْمَـالُكُمْ وَأَنـتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾[1].

(١) الحجرات: ٢.

- إنّ شعوب كل الدنيا - ورغم وجود العقائد المختلفة عندهم - تحترم عظماءها، وهم يسمّون المدن، والشوارع، والجامعات، والمطارات، والمدارس، والمؤسّسات بأسماء أولئك العظام، وفي الإسلام أفراد لهم قداسة خاصّة، وكذلك إنّ هناك مجموعة من النباتات المقدّسة، بل وحتى بعض الجمادات لها قداسة ما، وإن أساس قداسة أيّ شيء وكرامته - في الإسلام - إنما ينبع من ارتباط ذلك الشيء بالذات الإلهية المقدّسة، وكلما كان ذلك الاتصال والارتباط أكثر فإن القداسة تكون أكبر، وعلينا أن نحفظ ذلك الاحترام الخاصّ.

وأما المقدّسات والمكرّمات في الإسلام فأهمها:

١. الله سبحانه وتعالى، وهوالذي يمثّل منبع القدس والقداسة وأساسها، وإن المشركين الذين يظنون أن الآخرين متساوون مع الله تعالى، فسيقرّون بانحرافهم يوم القيامة، وسيقولون لمعبودهم الخياليّ: إن سبب شقائنا وعنابنا هو أنا ساويناكم وظننا أنكم كربّ العالمين، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وقد جاء الحديث عن تسبيح الله تعالى وتقديسه كثيراً في القرآن، يعني: أنّ علينا أن نقدّس الله تعالى وننزّهه إلى الدرجة التي لا يمكن أن يُتصوّر معها أي شَوْب من نقص أو عيب، بل يجب أن يكون اسمه منزّهًا أيضًا، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[2].

٢. كتاب الله تعالى أيضًا له قداسة خاصة، فعندما يعدّ الله أن القرآن عظيم في قوله سبحانه ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[3]، فمعنى ذلك أنّ علينا أن نعظّم ذلك الكتاب ونقدّسه، وعندما يعدّه كريمًا كما في قوله سبحانه ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[4]، فمعنى ذلك أن علينا أن نكرم ذلك الكتاب

---

(١) الشعراء: ٩٨.

(٢) الأعلى: ١.

(٣) الحجر: ٨٧.

(٤) الواقعة: ٧٧.

ونعظمه، وعندما يعدّه مجيداً كما في قوله ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[١]، فمعنى ذلك أن علينا أن نمجّد ذلك الكتاب الإلهيّ المنزل.

٣. القادة الإلهيون: جميع الأنبياء وخلفاؤهم بالحقّ، وبالخصوص النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته، فإن لهم مقامًا خاصًّا، حيث جاء في هذه السورة قسم من آداب التعامل معه (صلى الله عليه وآله)، كما جاء الأمر فيها بالصلاة عليه (صلى الله عليه وآله) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢]، نعم علينا الالتفات إلى هذه النكتة وهي أن من اللازم علينا بعد وفاة ذلك النبيّ العظيم (صلى الله عليه وآله) أن نؤدّي الزيارة له[٣]، وزيارة أوصيائه وذرّيته واحترامهم، وكذلك الأشخاص الذين لهم نسب وارتباط به (صلى الله عليه وآله)، وبالخصوص العلماء الربّانيين والفقهاء العدول ومراجع التقليد حيث جاء في الروايات أنهم خلفاء النبيّ، كما إنّا نقرأ في الحديث ما معناه أنّ الرادّ على الفقيه العادل كالرادّ على أهل البيت، والرادّ عليهم كالرادّ على الله[٤].

وليست القداسة والاحترام لازمين لشخص الأنبياء فقط، بل هما لازمان لكلّ من كان مرتبطًا بهم (عليهم السلام)، فقد جاء في القرآن الكريم تقديس الصندوق الذي وضع فيه موسى وهو طفل كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٥].

٤. وللوالدين كرامة خاصّة في الإسلام، فقد جاء التركيز على الإحسان للوالدين خمس مرّات بعد التركيزعلى التوحيد[٦]، كما جاء لزوم شكرهم إلى جانب لزوم

(١) ق: ١.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

(٣) لقد جاء في كتب متعددة ومنها كتاب (تبّرك الصحابة) لآية الله أحمدي ميانجي، مئات النماذج لاحترام الصحابة لرسول الله (ص) في حياته وبعد وفاته.

(٤) بحار الأنوار، ج٢٧، ص ٢٣٨.

(٥) البقرة: ٢٤٨.

(٦) انظر: البقرة: ٨٣؛ النساء: ٣٨؛ الأنعام: ١٥١؛ الإسراء: ٢٣؛ الأحقاف: ١٥.

شكر الله تعالى في قوله: **﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾**[١].

إنّ احترام الوالدين واجب في الإسلام، فحتى النظر لهم يجب أن يكون بعين العطف والرحمة عبادة، وقد أوصانا الشرع الكريم بعدم رفع الصوت أعلى من أصواتهم، وأن السفر الذي فيه أذية لهما حرام وصلاته لا تُقصر.

٥. كذلك بعض الأوقات الجليلة، وبعض الأماكن كالمسجد، وبعض الأحجار كالحجر الأسود وبعض المياه كماء زمزم، وبعض التربة كتربة الإمام الحسين (عليه السلام) وبعض اللباس كلباس الإحرام مقدّسة في الإسلام ويجب احترامها وتقديسها.

ونحن نقرأ في القرآن أن موسى النبيّ (عليه السلام) قد أُمر بخلع نعليه لمّا أراد الورود إلى الوادي المقدّس، حيث قال تعالى: **﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾**[٢].

والمسجد الحرام مكان مقدّس أيضًا ولا يحقّ للمشرك أن يدخله، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾**[٣].

وكذا إنّ المساجد ومحالّ العبادة مقدّسة أيضًا، وعلينا التجمّل والتطهّر حين الذهاب إليها، قال تعالى: **﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾**[٤]، والجُنب لا حقّ له في التوقّف في المساجد، **﴿وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾**[٥].

إنّ للمسجد مكانة خاصّة في الإسلام، ونقرأ في التاريخ أن أنبياء كإبراهيم وإسماعيل وزكريا ومريم (عليهم السلام) كانوا مسؤولين عن تطهيره، قال تعالى: **﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾**[٦]، وحتى أمّ مريم التي ظنت أن الذي في بطنها ذكر نذرت أن تجعله خادمًا

---

(١) لقمان: ١٤.

(٢) طه: ١٢.

(٣) التوبة: ٢٨.

(٤) الأعراف: ٣١.

(٥) النساء: ٤٣.

(٦) البقرة: ١٢٥.

في بيت المقدس، حيث حكى الله تعالى عنها قولها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[١].

٦. والإنسان المؤمن محترم وذو كرامة أيضًا وقد عُدّ أشرف من الكعبة وإنّ إيذاءه وغيبته حرام، والدفاع عن حقّه واجب، وحتى بعد موته فإن نبش قبره حرام.

التحقق، علاج الأمراض الاجتماعية

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٢].

- لقد كان الأنبياء (عليهم السلام) وعلى طول التاريخ مربين للناس ومنظّمين لأمورهم الاجتماعية؛ حيث كان الناس مبتلين بأنواع الأمراض الاجتماعية والأخلاقية، ومازال بعضهم كذلك مع كل هذا التقدّم الحضاري المهم في حياة البشر، بيد أن تلك الأمراض لازالت منتشرة كثيرًا، ومنها:

١. التقليد الأعمى للسابقين، وممارسة العادات والتقاليد الخرافية.

٢. الانجرار وراء الأوهام، والشائعات، وقراءة الطالع، وتفسير الأحلام التي لا أساس لها من الصحّة.

٣. الحكم والقضاء من دون علم، مدح الآخرين أو انتقادهم والكتابة عنهم من دون علم.

إنّ العلاج الشافي لكلّ هذه الأمراض الاجتماعية هو التحقق والبحث الذي جاء بيانه في هذه الآية الكريمة.

فإذا كان المجتمع محقّقًا وباحثًا عن الحقيقة فإن جميع هذه الآفات والابتلاءات ستنتهي بسرعة.

- وشبيه هذه الآية ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ

---

(١) آل عمران: ٣٥.

(٢) الحجرات: ٦.

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[1].

- روي أنه بعد معركة خيبر أرسل النبيّ (ﷺ) أسامة بن زيد مع بعض المسلمين إلى اليهود الذين كانوا في قرية صغيرة اسمها (فدك) ليدعوهم إلى الإسلام أو دفع الفدية، وكان هناك شخص من اليهود يدعى (مرداس)، وبعد أن سمع الخبر أمّن أمواله وعائلته عند جبل هناك وذهب لاستقبال المسلمين وهو ينادي: لا إله إلا الله محمّد رسول الله، فظنّ أسامة أنه أسلم خوفًا من القتل، وإسلامه لم يكن واقعيًّا، فقتله لمّا ظنّ به ذلك، فلمّا وصل ذلك الخبر إلى النبي (ﷺ) حزن حزنًا شديداً وتألم له فنزلت هذه الآية.

الخبر في الإسلام

- لقد ركّز الإسلام كثيراً على كيفيّة الإخبار ونقل الخبر، ومن جملة ذلك:

أ: قال تعالى: **﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**[2]، فهو يركّز على التثبّت من الخبر قبل نقله.

ب: وقال أيضًا: **﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً﴾**[3]، فالآية تركّز على أن من ينشر الشائعات والأكاذيب في المجتمع له عذاب شديد.

ج: قال النبيّ (ﷺ) في آخر عمره الشريف في حجّة الوداع: ((قد كثرت عليّ الكذّابة، وستكثر، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار، فإذا أتاكم

---

(١) النساء: ٩٤.

(٢) النساء: ٨٣.

(٣) الأحزاب: ٦٠.

الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنّتي، فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به))[١].

د: لقد لعن الإمام الصادق (عليه السلام) شخصًا كان يكذب على أبيه الإمام الباقر (عليه السلام)؛ إذ قال: ((لا تقبلوا علينا حديثًا إلاّ ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة، فإنّ المغيرة بن سعيد لعنه الله دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا تعالى وسنّة نبيّنا محمّد (صلى الله عليه وآله)، فإنّا إذا حدّثنا قلنا: قال الله (عزّ وجلّ)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله))[٢].

هـ: وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال ما معناه: سند كلامنا القرآن وسنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٣].

و: إنّ من أهمّ العلوم الإسلامية علم الرجال وهو الذي يشخّص من خلاله راوي الحديث أهو ثقة أم غير ثقة ليُعرف بعد ذلك الحديث الصحيح من غير الصحيح.

السخرية والاستهزاء

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٤].

- إنّ الاستهزاء - في الظاهر - ذنب واحد، ولكنه في الباطن مجموعة من الذنوب؛ إذ يكمن في الاستهزاء ذنب التحقير، والإذلال، وكشف العيوب، وإيقاع الاختلاف، والغيبة، والحقد، والفتنة، والتحريض، والانتقام، والطعن بالآخرين.

---

(١) بحار الأنوار، ج٢، ص ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٠.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٠.

(٤) الحجرات: ١١.

جذور الاستهزاء

١. ينطلق الاستهزاء أحيانًا من الثروة؛ حيث يقول القرآن الكريم: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ، الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ﴾[١].

٢. وأحيانًا يكون سبب الاستهزاء العلم والشهادة الدراسية، حيث يقول القرآن: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾[٢].

٣. وأحيانًا تكون أسباب الاستهزاء القدرة الجسمية، حيث يقول الكفّار كما ينقل عنهم القرآن: (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)[٣].

٤. وأحيانًا يكون الباعث على الاستهزاء بالآخرين العناوين والألقاب الاجتماعية، فقد كان الكفّار يحقّرون الفقراء من أتباع الأنبياء (عليهم السلام) حيث قالوا: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾[٤].

٥. وأحيانًا أخرى يكون الباعث على الاستهزاء والسّخرية بالآخرين الترفيه والتسلية.

٦. وأحيانًا يكون الطمع بالمال والمقام سبب لانتقاد الآخرين والاستهزاء بهم.

كانت هناك مجموعة قد استهزأت بالرسول (صلى الله عليه وآله) بسبب الزكاة، يقول القرآن: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[٥]، وكان سبب هنا الانتقاد هو الطمع، فلو كانوا قد حصلوا على سهم من تلك الصدقات لرضوا بها ولما انتقدوا النبيّ (صلى الله عليه وآله) ولكنهم لمّا لم يحصلوا على شيء منها انتقدوه (صلى الله عليه وآله).

---

(١) الهمزة: ١ - ٢.

(٢) غافر: ٨٣.

(٣) فصّلت: ١٥.

(٤) هود: ٢٧.

(٥) التوبة: ٥٨.

٧. وأحيانًا يكون سبب الاستهزاء هو الجهل وعدم العلم، فلمّا أمر موسى بذبح البقرة قال بنو إسرائيل: هل تسخر منّا؟! وقد حكى عنهم القرآن ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[1]، يعني أنّ الاستهزاء ينطلق من الجهل وأنا لست من الجاهلين.

- وقد كان من أهمّ أعمال النبيّ (ﷺ) تغيير الأسماء المثيرة للسخرية لبعض الأشخاص والمناطق[2]؛ لأنّ الاسم القبيح سبب للاستهزاء والتحقير.

- دخل عقيل أخو أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) يومًا على معاوية، فقال له معاوية تحقيراً: السلام على من عمّه أبو لهب الذي لعنه الله حيث قال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، فأجابه عقيل فوراً: السلام على من عمّته هكذا، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، (كانت امرأة أبي لهب عمّة معاوية)[3].

أقسام سوء الظنّ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

- لسوء الظنّ أقسام بعضها مقبول وبعضها الآخر غير مقبول:

١. سوء الظنّ بالله تعالى، كما نقرأ في الحديث أنّ من ترك الزواج مخافة العيلة فقد أساء الظنّ بالله، وكأنه ظنّ أنّ الله قادر على أن يرزقه وحده فقط فإذا كان معه زوجه لم يستطع الله أن يرزقه، وهذا من سوء الظنّ بالله وهو منهيٌّ عنه في الشرع المقدّس.

---

(١) البقرة: ٦٧.

(٢) أسد الغابة، ج٣، ص ٧٦، وج ٤، ص ٣٦٢.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٢، ص ١١٢؛ الغارات، ج٢، ص ٣٨٠.

(٤) الحجرات: ١٢.

٢. سوء الظنّ بالناس، والذي نُهي عنه في هذه الآية.

٣. سوء الظنّ بالنفس، وهو ممدوح شرعًا؛ إذ لا ينبغي للإنسان أن يحسن الظنّ بنفسه، أو أن يرى أنّ جميع أعماله خالية من العيوب، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصفه للمتّقين: (... فهم لأنفسهم متّهمون، ومن أعمالهم مشفقون....)[١].

نعم، إنّ من يرى نفسه بلا عيب هو - في الحقيقة - قليل نور العلم والإيمان، ولا يمكن للإنسان أن يرى شيئًا بنور قليل، فإذا دخلت قاعة كبيرة بمصباح صغير لا يمكن لك أن ترى إلاّ الأشياء الكبيرة، ولكنك إذا دخلت بمصباح كبير (مصباح كشّاف مثلاً) فإنك سترى حتى عود الثقاب أو عَقب السيجارة.

إنّ من كان نور إيمانه قليلاً فلا يمكنه أن يرى إلاّ الذنوب الكبيرة؛ ولذا مثل هؤلاء يقولون أحيانًا: نحن لم نقتل أحدًا! لم نتسلّق جدار بيت للسرقة! فهم لا يرون الذنوب إلا هذه الأمور، ولكن إذا كان نور الإيمان قويًا فإنه سوف يرى حتى الأخطاء الصغيرة وعندها سيضجّ إلى الله سبحانه بالبكاء والاستغفار.

إذا كان الشخص حَسَن الظنّ بنفسه، فإنه لن يرتقي أبدًا، وعندها سيكون كالشخص الذي لا ينظر إلاّ إلى وراءه وإلى الطريق الذي طواه وهو مغرور به، ولكنّه إذا كان ينظر إلى الأمام ويرى الطريق الذي لم يطوِه بعد فإنه سيعلم أن الطريق الذي لم يطوه بعد يبلغ أضعاف الطريق الذي طواه.

- يجب الالتفات لهذه النكتة وهي: ليس معنى حُسن الظنّ السذاجة، والبساطة، والسطحية، والغفلة عن المؤامرات والشيطنة؛ إذ لا ينبغي للأمّة الإسلاميّة أن تقع في الغفلة بسبب حسن الظنّ الخارج عن الحدّ لأنها عندها ستسقط في شباك الصيّادين.

---

(١) نهج البلاغة، خطبة المتقين، ج٧،ص١٧٥.

ما هي الغيبة؟

- الغيبة هي أن يتكلّم شخصٌ على شخص في غيابه بكلام لا يعلمه الناس، ولو سمعه الشخص الثاني لانزعج منه ولم يرض به[١].

- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، وإذا مات أحدٌ منهم فقولوا فيه خيراً)[٢].

- وقال الإمام الصادق (عليه والسلام): (المغتاب هو آخر من يدخل الجنّة إن تاب، وإن لم يتب فهو أول من يدخل النار....)[٣].

- وعن الإمام الرضا عن آبائه، عن عليّ بن الحسين عليهم السلام قال: (من كفّ عن أعراض المسلمين أقال الله تعالى عثرته يوم القيامة)[٤].

- وعن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (من اغتاب مسلمًا أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يومًا وليلة، إلا أن يغفر له صاحبه)[٥].

- وقال (صلى الله عليه وآله): (يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول: إلهي ليس هنا كتابي فإنّي لا أرى فيها طاعتي، فيُقال له: إنّ ربّك لا يضلّ ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس، ثمّ يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيها طاعات كثيرة فيقول: إلهي ما هنا كتابي، فاني ما عملت هذه الطاعات، فيُقال: لأنّ فلانًا اغتابك فدفعت حسناته إليك)[٦].

- وقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) في حجّة الوداع: دم المسلم وماله وعرضه حرام، كحرمة شهركم هنا (شهر ذي الحجّة) وأيامكم هذه (أيام الحجّ)[٧].

---

(١) وسائل الشيعة، ج٨، ص ٦٠٠ و ٦٠٤.

(٢) نهج الفصاحة، باب النهي عن الغيبة.

(٣) مستدرك الوسائل، ج٩، ص ١١٧.

(٤) بحار الأنوار، ج٧٢، ص ٢٥٦.

(٥) المصدر السابق، ج٧٢، ص ٢٥٨.

(٦) المصدر السابق، ج٧٢، ص ٢٥٩.

(٧) شرح نهج البلاغة، لأبن أبي الحديد، ج٩، ص ٦٢.

- وقد ورد في الروايات ذكر المغتاب إلى جانب مدمن الخمر، كما في الرواية (تُحرم الجنّة على المغتاب ومدمن الخمر)[١].

- وكما جاء في الروايات فإن من يتتبّع عورات أخيه ليفضحها فإن الله يفضح عيوبه[٢].

- وعن النبيّ (ﷺ) أنه قال: (إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل، وإن أربى الربا عِرض الرجل)[٣].

- وورد في حديث آخر: الجلوس في المسجد وانتظار الجماعة عبادة ما دام بغير اغتياب الناس[٤].

- وقال النبيّ (ﷺ) في آخر خطبة له في المدينة: (من اغتاب فقد بطل صومه)[٥]، يعني قد حُرم من الآثار والبركات المعنوية للصوم.

جبران الغيبة

- لأجل جبران الغيبة التي اقترفناها في الماضي، وفي حال ارتحال المُستغاب عن الدنيا علينا أن نتوب ونطلب العفو من الله تعالى وهو قابل التوبة من عباده، وأما إذا كان المُستغاب على قيد الحياة ولكنه ينزعج منّا إذا أخبرناه بأنا اغتبناه، فلا ينبغي أن نخبره باغتيابنا له - على قول بعض مراجع التقليد[٦] -، بل تجب التوبة بين النفس وبين الله سبحانه، وإذا كان بالإمكان الوصول إلى من كان قد سمع الغيبة وذِكر المُستغاب بالخير والتكريم عنده فينبغي فعل ذلك لجبران تحقيره في ما

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص ٢٦٠.

(٢) المحجّة البيضاء، ج٥، ص ٢٥٢ عن سنن أبي داود، ج٢، ص ٥٦٨.

(٣) بحار الأنوار، ج٧٢، ص ٢٢٢.

(٤) الكافي، ج٢، ص ٣٥٧.

(٥) المحجّة البيضاء، ج٥، ص ٢٥٤.

(٦) سُئل آية الله الكلبايكاني (قدّس سرّه): هل من اللازم أن نخبر الآخرين باغتيابنا لهم إذا أردنا أن نستبرئ الذمة منهم؟ قال: لا، لأنهم ينزعجون عندها، وإزعاج المسلم ذنب بحدّ ذاته، لنا جبران الغيبة الاستغفار، وطلب العفو ليس لازمًا في كل الأمور.

سبق، وأما إذا كان المُستغاب لا ينزعج من إخباره باغتيابه فعلينا أن نخبره ونطلب العفو منه.

- يقول الشيخ الطوسي في (التجريد) وعلى أساس حديث عن النبيّ (ﷺ): إذا كان المُستغاب قد سمع بغيبتي له فجبران ذلك يكون بذهابي إليه وطلب العفو منه، وأما إذا لم يكن قد سمع بها فعليّ أن استغفر له كلما ذكرته، (إن كفّارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته كلما ذكرته)[1].

موارد جواز الغيبة

- هناك موارد تجوز فيها الغيبة، نُشير الى بعض منها:

١. في مقام المشورة في الأمور المهمّة، يعني إذا طلب منّا شخص تعريف شخص آخر لأمرٍ مهمّ، فيمكن لنا أن نذكر عيوب ذلك الشخص (طبعًا مع حفظ كرامته).

٢. ردّ الكلام والعقائد الباطلة لمعتقديها، فيجوز لنا بيان بطلانها للناس لوقايتهم منها.

٣. للشهادة في القضاء، فيجب قول الحقيقة حتى لو بالغيبة.

٤. لإظهار المظلومية، فلا مانع من بيان ظلم الظالم.

٥. لا مانع من اغتياب المتجاهر بالفسق ومن لا حياء له من التجاهر بالمعصية.

٦. لا مانع من الغيبة لردّ الادّعاءات الباطلة، فمن يقول: أنا مجتهد، أو أنا دكتور، أو أنا سيّد، ونحن نعلم أنه ليس كذلك فمن الجائز أن نُطلع الناس على حقيقته لِئلا ينخدعوا به.

---

(١) الوسائل، ج٨، ص ٦٠٥.

استماع الغيبة

- إنّ وظيفة سامع الغيبة أن يُعرِض عن الاستماع لها وأن يدافع عن المؤمنين، فقد ورد في الحديث: (الساكتُ شريك القائل)[١].

- وقال النبيّ الأعظم (ﷺ): (... ألا ومن تطوّل على أخيه في غيبة سمعها فيه في مجلس فردّها عنه ردّ الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة، فإن هو لم يردّها وهو قادر على ردّها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرّة)[٢].

- وقد عدّت بعض الروايات الغيبة كالكفر، والرضا بها كالشرك[٣].

- وجاء في الآية ٣٦ من سورة الإسراء: **﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾**[٤]؛ وعليه فليس لنا الحقّ في سماع كل ما يقال.

آداب المأدبة

قال تعالى: **﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ، فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾**[٥].

- تُشير هذه الآيات والآيات التي بعدها إلى بعض آداب الضيافة، نشير لبعض منها:

١. الضيف محترم، **﴿ضَيْفِ... الْمُكْرَمِينَ﴾**.

٢. على الضيف أن يبتدئ بالسلام عند الدخول، **﴿فَقَالُواْ سَلامًا﴾**.

---

(١) غرر الحكم، ص٤٠٠.

(٢) وسائل الشيعة، ج٨، ص ٦٠٦.

(٣) بحار الأنوار، ج٧٢، ص ٢٢٦.

(٤) الإسراء: ٣٦.

(٥) الذاريات: ٢٤ - ٢٧.

٣. يجب ردّ سلام الضيف، ﴿قَالَ سَلامٌ﴾.

٤. على صاحب البيت أن يهيّئ الطعام بعيداً عن نظر الضيف، ﴿فَرَاغَ﴾.

٥. ينبغي تهيئة الغذاء في البيت، ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾.

٦. ينبغي أن يكون الاستقبال والتقديم سريعًا، ﴿فَجَاءَ﴾، إذ إن حرف الفاء يفيد السرعة وقِصَر الزمان.

٧. ينبغي أن يُقدّم للضيف أفضل الطعام، ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

٨. ينبغي أن لا يُأخذ الضيف إلى السفرة بل ينبغي إحضار السفرة عنده، ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾.

٩. ينبغي أن لا نسأل الضيف هل كان قد تناول الطعام أم لا، ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ﴾، فقد أحضر إبراهيم (عليه السلام) الطعام من دون أن يسأل الضيوف.

١٠. علينا أن نخدم الضيف بأنفسنا، ﴿فَجَاءَ﴾، نفسه إبراهيم جاء بالطعام.

١١. ينبغي أن يكون الطعام عند يد الضيف وقريبًا منه، ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾.

١٢. ينبغي على الضيف أن يأكل من الطعام لِئلا ينزعج صاحب البيت، ﴿أَلا تَأْكُلُونَ﴾.

١٣. يجب أن يكون الاستقبال والضيافة أوّلاً ثم الكلام، ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾، ثم سأل: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

١٤. إذا كان الضيف حاملاً لخبرين أحدهما حلو وحسن والآخر سيّئ فعليه أولاً أن يطرح الحسن ثمّ السيّئ، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ... قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾، بشّروه بالولد ثمّ أخبروه بنزول العذاب على المجرمين.

الأمل في الآيات والروايات

قال تعالى: ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى، فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى، وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[1].

---

(١) النجم: ٢٤ - ٢٦.

- نظرة إلى الأمل من خلال الآيات والروايات:

قيمة الأمل

إنّ الأمل دافع إلى الحركة والنموّ، وقد قال رسول الله (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): (لولا الأمل ما وضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجرها)[1].

وروي أنه بينما كان عيسى بن مريم (عليه السلام) جالسًا وشيخ يعمل بمسحاة ويثير الأرض، فقال عيسى (عليه السلام): اللهمّ انزع منه الأمل، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع، فلبث ساعة، فقال عيسى: اللهمّ اردد إليه الأمل، فقام فجعل يعمل، فسأله عيسى عن ذلك فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير؟ فألقيت المسحاة واضطجعت، ثمّ قالت لي نفسي: والله لا بدّ لك من عيش ما بقيت، فقمت إلى مسحاتي[2].

تهذيب الأمل

يجب أن يكون الأمل محدّدًا ومقيّدًا بالإمكانيّات والاستعدادات والظروف، وإلاّ سيمتلئ الرأس أوهامًا وتخيّلات، قال الإمام عليّ (عليه السلام): (... وإن أخوف ما أخافُ عليكم اثنتان: اتّباع الهوى، وطول الأمل...)[3].

الآمال الضارّة

لقد انتقد القرآن بعض الآمال ونهى عنها، فمثلاً انتقد القرآن الكريم الذين كانوا يأملون أن يمتلكوا ثروة قارون فقالوا: ﴿**يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ**﴾[4].

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٧، ص ١٣٧.

(٢) المصدر السابق، ج١٤، ص ٣٢٩.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٨.

(٤) القصص: ٧٩.

أو الذين كانوا يحبّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، فقد حكى القرآن عنهم: ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾[١].

أو الذين كانوا يأملون أن يعلوا على الآخرين، وقد قال القرآن: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

وقد منع الله تعالى - في القرآن الكريم - المؤمنين مراراً عن الأمل والرغبة في ما في أيدي الآخرين فقال: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾[٣]، وقال أيضاً: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾[٤].

الآمال التي لا يمكن تحقيقها

يقول المجرم يوم القيامة (يَا لَيتَنِي)، ولكن يا ليته كان ماذا؟

١. ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾[٥]، والتراب يأخذ البذرة ويعطي النبتة، ويأخذ الماء الآسن ويعطي الماء الزلال، ولكن بعض الناس لا يخرج من تحت أيديهم إلا الفساد.

٢. ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[٦].

٣. ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ﴾[٧].

٤. ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[٨].

٥. ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ﴾[٩].

---

(١) آل عمران: ١٨٨.

(٢) القصص: ٨٣.

(٣) التوبة: ٥٥.

(٤) طه: ١٣١.

(٥) النبأ: ٤٠.

(٦) الفرقان: ٢٧.

(٧) الحاقّة: ٢٦.

(٨) الفجر: ٢٥ .

(٩) الأنعام: ٢٧.

الذنب، أنواعه وآثاره

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾(١).

- إنّ قيمة الإنسان وفضله بمقدار مقاومته لارتكاب الذنوب والمعاصي وصبره على ذلك، فإذا عصينا الله تعالى في مثقالٍ واحد من الذهب فقيمتنا ذلك المثقال، وإذا أذنبنا في مئة مثقالٍ فقيمتنا مئة مثقال، قال أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام): (والله لو أُعْطِيْتُ الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصيَ الله في نملة أسلبها جُلب شعيرةٍ ما فعلته)(٢).

إياك أن تستصغر أي ذنب

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أشدّ الذنوب ما استخفّ به صاحبه)(٣).

التقوى مِلاك الصلة بأولياء الله

جاء في الرواية: (إنّ وليّ محمّد من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وانّ عدوّ محمّد من عصى الله وان قربت قرابته)(٤).

انقلاب الصغائر كبائر

- هناك بعض العوامل التي تقلب الذنب الصغير فتجعله من الكبائر، منها: الإصرار على الذنب، واستصغار الذنب، والفرح بالذنب، والمعصية مع الطغيان، والغرور بالإمهال الإلهيّ، والذنب العلنيّ، ومعصية الأولياء والصالحين.

---

(١) النجم: ٣٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٢٤.

(٣) المصدر السابق، الحكمة: ٤٧٧.

(٤) وسائل الشيعة، ج١٥، ص ٢٣٨.

آثار الذنب

- قسوة القلب، وسلب النعمة، وردّ الدعاء، وتغيير الرزق، والحرمان من بعض العبادات كصلاة الليل، والبلاء المفاجئ، وانقطاع المطر، وخراب البيوت، والافتضاح والذلّة، وقصر العمر، والزلزلة، والفقر والجهل، والغم والمرض، وتسلّط الأشرار، وقد وردت في كلّ واحد من هذه الآثار آيات وروايات كثيرة.

كفارات الذنوب

١. الصلاة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[١].

٢. الاستغفار، قال تعالى: ﴿فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾[٢].

٣. الإنفاق، ففي الحديث (صدقة السرّ تكفّر الخطيئة)[٣].

٤. حلّ مشكلات الناس، فقد جاء في الحديث: (من كفّارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف)[٤].

٥. العمل الحسن، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾[٥].

٦. الابتعاد عن الكبائر، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[٦].

٧. الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ...﴾[٧].

---

(١) هود: ١١٤.

(٢) النساء: ٦٤.

(٣) غرر الحكم، ح٣٨، ص٤٢٠.

(٤) وسائل الشيعة، ج١٦، ص ٣٧٣.

(٥) العنكبوت: ٧.

(٦) النساء: ٣١.

(٧) الفرقان: ٧٠.

٨. الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ﴾[١].

٩. إفشاء السلام، وإطعام الطعام، وصلاة الليل، ففي الحديث: (ثلاث كفّارات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام)[٢].

- إنّ حساب تزكية النفس والتبجّح والتفاخر حساب آخر غير حساب بيان النعم الإلهية والحديث عنها، فإن الله سبحانه يقول في هذه الآية: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾، ولكنه يقول في مورد آخر: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٣]، والأمران مختلفان كما نوّهنا له.

خلق الإنسان

قال تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ﴾[٤].

- إنّ خلقة الإنسان مدعاة للتفكّر والالتفات من جهات عِدّة:

١. من جهة السير التكامليّ، كيف يخرج من تراب لا روح له موجودٌ ذو روح وشعور باسم الإنسان؟!

٢. من جهة تأمين الاحتياجات المادّيّة، كيف سُخّر له عالم الطبيعة ووضع تحت اختياره؟!

٣. من جهة الميول الحسنة والسيّئة وهي التي أشار القرآن الكريم لبعض منها، ومن جملتها:

أ) البخل، ﴿قَتُوراً﴾[٥].

ب) الحرص، ﴿هَلُوعًا﴾[٦].

---

(١) آل عمران: ١٩٥.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٢، ص ٥٩.

(٣) الضحى: ١١.

(٤) العصر: ٢.

(٥) الإسراء: ١٠٠.

(٦) المعارج: ١٩.

ج) الجزع، ﴿جَزُوعًا﴾[١].

د) الخسران، ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾[٢].

هـ) الطغيان، ﴿لَيَطْغَىٰ﴾[٣].

و) الظلم، ﴿ظَلُومًا﴾[٤].

ز) الجهل، ﴿جَهُولاً﴾[٥].

ح) العجلة، ﴿عَجُولاً﴾[٦].

ط) الكفر، ﴿كَفُورًا﴾[٧].

ي) عدم التقدير، (كَنُودٌ)[٨].

ك) سريع اليأس، (يَؤُوسًا)[٩].

وهناك آيات قرآنيّة أخرى أشارت إلى الخصال الحسنة، وهي منها:

قبول المسؤولية، والحرّيّة والقدرة على الاختيار، وقدرته على التغيّر، والتوبة والصلاح، واستعداداته وقابلياته الكثيرة، وكمالاته العديدة، وخلافة الله على الأرض، وأنه هو الذي سجدت له الملائكة، فضلاً عن قدرته على التقليد والتقبّل أو متابعة الأسوة والتأثّر بها، والتركّب من المتضادات، والعقل والفطرة في مقابل الغريزة والشهوة، وقدرته على التفكّر والإبداع والابتكار.

---

(١) المعارج: ٢٠.

(٢) العصر: ٢.

(٣) العلق: ٦.

(٤) الأحزاب: ٧٢.

(٥) الأحزاب: ٧٢.

(٦) الإسراء: ١١.

(٧) الإسراء: ٦٧.

(٨) العاديات: ٦.

(٩) الإسراء: ٨٣.

التكرار في القرآن

قال تعالى: (وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ، فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ، وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[١].

- نتطرّق هنا وبمناسبة أوّل مورد من موارد تكرار آية (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، في هذه السورة إلى بحث التكرار في القرآن الكريم.

التكرار الممدوح

يُعد التكرار من أجل إيجاد الثقافة وانتشارها من الأمور الضرورية.

فقد كرّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) مراراً وتكراراً قوله: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي).

وبعد نزول قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ﴾[٢]، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأتي - ولعدّة أشهر - إلى بيت فاطمة الزهراء (عليها السلام) ويقول: (الصلاة الصلاة)[٣]؛ وذلك ليُعلم الناس أنّ أهل البيت هم أهل بيت عليّ وفاطمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، ونحن نقرأ في الحديث ما معناه: أنّ سبب تكرار قول (الله أكبر) في بداية الأذان هو لإخراج الناس من الغفلة، ولكنّهم بعدما يلتفتون تُكرر بقية الجملات مرّتين فقط[٤].

وكان الإمام عليّ (عليه السلام) يردّد بعض العبارات لمرّات متعددة؛ وذلك لإيجاد نوع من الانتباه والالتفات عند الناس، من قبيل قوله (عليه السلام) في وصيته لأبنائه (صلى الله عليه وآله): (الله الله في الأيتام)، (الله الله في جيرانكم)، (الله الله في الصلاة)، (الله الله في القرآن...)، حيث تكرّر هنا لفظ الجلالة.

---

(١) الرحمن: ١٠ - ١٣.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) بحار الأنوار، ج٣٥، ص ٢٠٧.

(٤) انظر: علل الشرائع، ج١، ص ٢٥٩.

وتكرار الصلاة في الليل والنهار أيضًا؛ ذلك للتقرّب إلى الله تعالى أكثر في كلّ وقت، فمن يرتقي سلّمًا ظاهره تكرار رفع القدم ووضعها لمرّات متعدّدة ولكن في الواقع هو يتقدّم ويرتقي خطوة خطوة في كلّ حركة يقوم بها، وإنّ الشخص الذي يضرب في الأرض ليحفر بئرًا هو في الظاهر يكرّر عملاً ما، ولكنه في الواقع يعمّق في الأرض أكثر كلّما كرّر الحركة أكثر، والإنسان كذلك في كلّ مرّة يصلّي ويذكر الله تعالى فيها فإنه يتقرّب بذلك خطوة إلى الله تعالى حتى يصل إلى أدنى المقامات إلى الله، ومن ذلك ما نقرأه في القرآن في شأن النبيّ الأعظم (ﷺ): ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[1].

كذلك تكرار التوصية بتقوى الله في كلّ خطبة من خطب صلاة الجمعة وفي كلّ أسبوع وهذا يبيّن أثر التكرار في التربية الدينية للناس.

وغير خافٍ على أحد أن بقاء حياة الإنسان بتكرار التنفّس، وأن الكمالات لا تحصل إلاّ بالتكرار، ثمّ إنه لا يمكن لملكة السخاء أو الشجاعة مثلاً أن تتحقّق في الإنسان بإنفاق مرّة واحدة أو موقف شجاع واحد، كذلك الرذائل والخبائث في حالة التكرار ستتجذّر في روح الإنسان وتستقر فيها.

أسباب التكرار في القرآن الكريم

أحيانًا يكون التكرار لأجل التذكّر والتذكير بالنعم المختلفة لله سبحانه، ومن هنا تكرار آية ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وأحيانًا يكون التكرار لأجل تنبيه المشركين وتهديدهم، نظير التكرار الوارد في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

وأحيانًا أخرى يكون التكرار لبناء الثقافة وتشييدها، نظير تكرار البسملة في بداية كلّ سورة.

---

(١) الرحمن: ١٠ - ١٣.

(٢) المرسلات: ١٥.

وأحيانًا يأتي التكرار لإتمام الحجّة، نظير التكرار الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[١].

وأحيانًا يأتي التكرار للأنس أكثر ولخاصّية ما، نظير التكرار الوارد في قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾[٢].

وأحيانًا يأتي التكرار لبيان أوامر جديدة، كما في تكرار قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ...﴾.

وأحيانًا أخرى يكون كخاتمة الكلام أو المطلب، كما في سورة الشعراء بعد انتهاء التقرير بشأن عمل كلّ نبيّ إذ يأتي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

وأحيانًا يكون التكرار علامة وحدة الهدف والأسلوب، فقد تكرّرت جملة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ في سورة الشعراء وعلى لسان الأنبياء مراراً؛ وما هنا إلا بيان لوحدة شعار كلّ الأنبياء ووحدة هدفهم (عليهم السلام).

علّة بعض الأحكام

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

- إنّ جميع الأحكام الإلهيّة مبنية على أساس الحكمة والعلّة، كما يأتي:

علّة النبوة، نجاة الناس، قال تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

علّة الصلاة، ذكر الله تعالى وشكره، قال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[٤].

(١) القمر: ١٧.
(٢) الأحزاب: ٤١.
(٣) الحديد: ٩.
(٤) طه: ١٤.

علّة الصيام، التقوى، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

علّة الحج، الحضور والاشتراك في المنافع، قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾[٢].

علّة الجهاد، رفع الفتنة وحفظ الدين، قال تعالى: ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[٣].

علّة القصاص، الحياة الشريفة، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[٤].

علّة الحجاب، تزكية القلوب وتطهيرها، قال تعالى: (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[٥].

علّة الزكاة، التطهير، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾[٦].

علّة حرمة شرب الخمر ولعب القمار، لِئلا يصدّ عن ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ﴾[٧].

قانون عمل المؤمنين

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٨].

- جاء في بعض الآيات القرآنية - وكما في هذه الآية - الأمر الإلهيّ للمؤمنين بأن لا يكونوا كالمشركين، وقد أوصي المؤمنون في بعض الآيات أن يكونوا

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) الحج: ٢٨ .

(٣) البقرة: ١٩٣.

(٤) البقرة: ١٧٩.

(٥) الأحزاب: ٣٥.

(٦) التوبة: ١٠٣.

(٧) المائدة: ٩١.

(٨) الحديد: ١٦.

كبعض الناس أو مع بعضهم، ونحن هنا سنسلّط الضوء على هذين القسمين من الآيات:

١. قال تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١].

٢. قال تعالى حكاية عن قول يوسف: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٢]، وقال أيضًا: (وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣].

٣. قال تعالى حكاية عن قول المؤمنين: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ﴾[٤].

٤. وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ﴾[٥].

٥. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٦]، وقال أيضًا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[٧].

٦. وقال أيضًا: ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٨].

٧. وقال: ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[٩].

٨. وقال سبحانه: ﴿كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ﴾[١٠].

٩. وجاء قوله تعالى على لسان النبيّ (ﷺ): ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١١].

---

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) يوسف: ١٠١.

(٣) المنافقون: ١٠.

(٤) آل عمران: ١٩٣.

(٥) آل عمران: ١٤٦.

(٦) الأحزاب: ٢١.

(٧) الممتحنة: ٤.

(٨) الأعراف: ١٤٤.

(٩) الحجر: ٩٨.

(١٠) آل عمران: ٧٩.

(١١) النمل: ٩١.

١٠. وأيضًا: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

١١. وقال تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[٢].

١٢. وأيضًا: ﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ﴾[٣].

١٣. وقال عزّ اسمه: ﴿كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾[٤].

١٤. وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾[٥].

١٥. وقال أيضًا: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ﴾[٦].

١٦. وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾[٧]، كناية عن نقض العهد.

١٧. وقال سبحانه: ﴿لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ﴾[٨].

١٨. وقال عزّ وجل: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[٩].

١٩. وقال سبحانه: ﴿فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾[١٠].

٢٠. وقال تعالى: ﴿لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[١١].

---

(١) يونس: ١٠٤.

(٢) النساء: ١٣٥.

(٣) المائدة: ٨.

(٤) الصف: ١٤.

(٥) الأنفال: ٢١.

(٦) الأنفال: ٤٧.

(٧) النحل: ٢٩.

(٨) الأحزاب: ٦٩.

(٩) الحشر: ١٩.

(١٠) الحجر: ٥٥.

(١١) آل عمران: ١٥٦.

٢١ . وحكى الله تعالى قول موسى (عليه السلام) حيث قال: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾(١).

٢٢ . وقال سبحانه: ﴿فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(٢).

٢٣ . وقال: ﴿وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾(٣).

٢٤ . وقال عزّ وجل: ﴿وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾(٤)، وأيضًا ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٥)، وأيضًا: ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٦).

٢٥ . وقال تعالى: ﴿فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ﴾(٧).

٢٦ . وقال سبحانه: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾(٨).

٢٧ . وقال عزّ اسمه: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ﴾(٩).

وصيّة الإمام علي (عليه السلام)

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(١٠).

- قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) في الخطبة ١٨٣ من نهج البلاغة: (فالله الله معشر العباد وأنتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق، فاسعوا

---

(١) القصص: ١٧.

(٢) آل عمران: ٦٠.

(٣) النساء: ١٠٥.

(٤) الأعراف: ٢٠٥.

(٥) الأنعام: ٣٥.

(٦) يونس: ٩٥.

(٧) القصص: ٨٦.

(٨) الشعراء: ١٨١.

(٩) آل عمران: ١٠٥.

(١٠) الحديد: ٢٤.

في فكاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها، أسهروا عيونكم، وأضمروا بطونكم واستعملوا أقدامكم، وأنفقوا أموالكم، وخذوا من أجسادكم وجودوا بها على أنفسكم، ولا تبخلوا بها عنها فقد قال الله سبحانه: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾[٢]، فلم يستنصركم من ذلٍّ، ولم يستقرضكم من قُلٍّ، استنصركم وله جنود السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، واستقرضكم وله خزائن السموات والأرض وهو الغني الحميد، أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملا، فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره)[٣].

الموعظة وأنواعها

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[٤].

- إن الموعظة بمعنى التنبيه والتذكير، وتكون لأجل ترقيق قلب المخاطب، وللموعظة مكانة خاصّة في الإسلام؛ لأن:

١. الله تعالى يعظ الناس، قال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ**﴾[٥].

٢. لقد أُمر النبي (ﷺ) بالموعظة، قال تعالى: ﴿**وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً**﴾[٦].

٣. القرآن موعظة، قال سبحانه: ﴿**وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[٧].

---

(١) محمد: ٧.

(٢) الحديد: ١١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٣.

(٤) المجادلة: ٣.

(٥) النساء: ٥٨.

(٦) النساء: ٦٣.

(٧) آل عمران: ١٣٨.

- **وللموعظة أنواعٌ:**

أ) الموعظة بالكلام، كموعظة لقمان لابنه، **﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾**[١].

ب) الموعظة بالعمل، وهي جاء التركيز في الروايات على أنه ينبغي لنا أن لا نعظ الناس بالقول والكلام فقط بل علينا أن ندعوهم إلى الخير بعملنا أيضًا، فقد ورد عنهم (عليهم السلام): (كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم)[٢].

ج) الموعظة بالتنبيه والجزاء، كما عدّت هذه الآية تحرير الرقبة وسيلة للموعظة، **﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾**.

- وفي مسائل الأسرة أيضًا للقرآن عناية خاصّة بالموعظة:

أ) يقول القرآن للرجال: عظوا نساءكم، كما في قوله تعالى: **﴿فَعِظُوهُنَّ﴾**[٣].

ب) ويقول في مورد الطلاق: **﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾**[٤].

ج) وفي مسألة الظهار يعظ الرجال أيضًا حيث يقول: **﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾**.

د) وينبغي أن يكون تعامل الوالدين مع الأبناء بالموعظة أيضًا حيث يقول سبحانه حكاية عن لقمان: **﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾**.

التولّي والتبرّي

قال تعالى: **﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ**

---

(١) لقمان: ١٣.

(٢) البحار، ج٦٧، ص ٣٠٩.

(٣) النساء: ٣٤.

(٤) الطلاق: ٢.

الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

- لقد طُرحت في سورة المجادلة ولعدّة مرّات مسألة التولّي والتبرّي، وهنا يبيّن أهميّة موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه: **﴿تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾**، **﴿لا تَجِدُ... يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾**، وعن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله: (كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدوّنا).

وروي أنه قيل للإمام الصادق (عليه السلام): إن فلانًا يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم، فقال: (هيهات كذب من ادّعى محبّتنا ولم يتبرأ من عدوّنا)[٢].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضًا أنه قال: (إنّه أوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائه قل للمؤمنين: لا تلبسوا لباس أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تسلكوا مسالك أعدائي فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي)[٣].

وروي عنهم (عليهم السلام) أنهم قالوا: (هل الدين إلاّ الحبّ والبغض)[٤].

المغفرة والاستغفار

قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[٥].

- لقد جاء موضوع المغفرة وألفاظه لأكثر من ٢٠٠ مرّة في القرآن الكريم، وينبغي لنا نحن أن نستغفر لأنفسنا، كما يجب علينا أن نطلب من أولياء الله الاستغفار لنا، كما حكى الله تعالى طلب أخوة يوسف من أبيهم الاستغفار لهم

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٢٧، ص ٥٨.

(٣) وسائل الشيعة، ج٣، ص ٢٧٩.

(٤) بحار الأنوار، ج٦٥، ص ٦٣.

(٥) الحشر: ١٠.

حيث قال: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا﴾[١]، نعم، لا أثر للاستغفار للمشركين والكافرين حيث قال سبحانه: ﴿سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٢]، وقال أيضًا: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[٣]، وحتى الملائكة تستغفر للمؤمنين، حيث قال تعالى في وصفهم: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[٤].

وأما عوامل المغفرة الإلهية فهي عبارة عن التالي:

١. طاعة القادة الإلهيين، ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٥].

٢. التقوى، ﴿إَن تَتَّقُواْ اللّهَ... وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٦].

٣. العفو عن الناس، ﴿وَلْيَعْفُوا... أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[٧].

٤. الكلام المحكم المقرون بالاستدلال، ﴿وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً... وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٨].

٥. القرض الحسَن، ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ... وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٩].

٦. التوبة، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[١٠].

---

(١) يوسف: ٩٧.

(٢) المنافقون: ٦.

(٣) التوبة: ١١٣.

(٤) غافر: ٧.

(٥) آل عمران: ٣١.

(٦) الأنفال: ٢٩.

(٧) النور: ٢٢.

(٨) الأحزاب: ٧٠ – ٧١.

(٩) التغابن: ١٧.

(١٠) النساء: ١١٠.

معرفة العدو

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾[١].

- لقد أخبر القرآن الكريم وفي آيات متعدّدة عن مؤامرات الأعداء، ونبّه المسلمين على وظائف حيال تلك المؤامرات، منها:

أ) أفكار الأعداء وأمانيّهم:

١. قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ...﴾[٢].

٢. وقال أيضًا: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾[٣].

٣. وقال سبحانه: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٤].

٤. وقال عزّ اسمه: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾[٥].

٥. وقال أيضًا: ﴿... وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ...﴾[٦].

---

(١) الممتحنة: ١.

(٢) المائدة: ٨٢.

(٣) البقرة: ١٠٥.

(٤) القلم: ٩.

(٥) آل عمران: ١١٨.

(٦) النساء: ١٠٢.

ب) مؤامرات الأعداء:

١. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً﴾[١].

٢. وقال سبحانه: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾[٢].

ج) سلوك العدو:

١. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾[٣].

٢. وقال أيضًا: ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[٤].

٣. وقال سبحانه: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء﴾[٥].

٤. وقال عزّ اسمه: ﴿... آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٦].

٥. وقال سبحانه وتعالى تنبيهًا لنبيّه (ﷺ) على المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾[٧].

٦. وقال أيضًا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ...﴾[٨].

٧. وقال جلّ وعزّ: ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً...﴾[٩]

---

(١) الطارق: ١٥.

(٢) النساء: ٤٤.

(٣) النساء: ١٠١.

(٤) البقرة: ٩.

(٥) الممتحنة: ٢.

(٦) آل عمران: ٧٢.

(٧) المنافقون: ٤.

(٨) الأنفال: ٦٠.

(٩) آل عمران: ١١٩.

بعض خصال اليهود

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١].

- في هذه الآية شبّه القرآن الكريم حملة التوراة بالحمار، وفي موارد أخرى انتقد القرآن الكريم أفكار اليهود وأعمالهم بشدّة، ومن جملة ذلك:

١. إنّهم طُلاّبُ ترفٍ، ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾[٢].

٢. إنّهم غرقوا في الذنوب، وخرجوا عن طاعة الله، ولم تعد لهم قابلية الطهارة، ﴿لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[٣].

٣. إنّهم يفسدون في الأرض، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً﴾[٤].

٤. إنّهم اتهموا الله سبحانه بأن يده مغلولة، ﴿يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[٥].

٥. إنّهم يحرّفون كتاب الله، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[٦].

٦. إنّهم متى ما كان الوحي على غير ما تهوى أنفسهم تكبّروا عليه، ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾[٧].

٧. إنّهم أشد الناس عداوة للمؤمنين، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ﴾[٨].

---

(١) الجمعة: ٥.

(٢) الجمعة: ٥.

(٣) المائدة: ٤١.

(٤) المائدة: ٦٤.

(٥) المائدة: ٦٤.

(٦) النساء: ٤٦.

(٧) البقرة: ٨٧.

(٨) البقرة: ٨٧.

٨. إنّهم قتلوا بعض الأنبياء وكذّبوا بعضهم، ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً... فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾[١].

٩. إنّهم غضب الله عليهم، ﴿فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾[٢].

١٠. إنّ بعضهم كان مورداً للعنة النبيّين داود وعيسى (عليهما السلام)، ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[٣].

أهمّيّة يوم الجمعة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

- يحضى يوم الجمعة في الإسلام بأهمّية خاصة من بين أيام الأسبوع جميعًا، والروايات في ذلك كثيرة نشير لبعض منها:

١. عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (الجمعة سيّد الأيام وأعظمها عند الله...)[٥].

٢. الجمعة يوم مساعدة الفقراء والمحرومين؛ ففي الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (إذا أردت أن تتصدّق بشيء قبل الجمعة فأخّره إلى يوم الجمعة)[٦].

٣. الجمعة عيد المسلمين[٧].

---

(١) المائدة: ٧٠.

(٢) البقرة: ٩٠.

(٣) المائدة: ٧٨.

(٤) الجمعة: ٩.

(٥) وسائل الشيعة، ج٥، ص ١٧.

(٦) المصدر السابق، ج٥، ص ٦٧.

(٧) المصدر السابق، ج٥، ص ٦٦.

٤. يوم خروج قائم آل محمد (صلى الله عليه وآله)، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (... ويخرج قائمنا أهل البيت يوم الجمعة...)[١].

٥. ويوم الجمعة تفتح أبوب السموات لتُرفع أعمال العباد[٢].

٦. عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (إنّ يوم الجمعة سيّد الأيام، يضاعف الله فيه الحسنات، ويمحو فيه السيّئات، ويرفع فيه الدرجات، ويستجيب فيه الدعوات، وتكشف فيه الكربات، وتُقضى فيه الحوائج العظام....)[٣].

٧. من زار قبر أبيه وأمّه أو أحدهما يوم الجمعة فقد غُفرت له ذنوبه وكتب اسمه مع المحسنين[٤].

٨. لا تترك غسل الجمعة يومها؛ فهو سنّة النبي (صلى الله عليه وآله)، وعليك بالتطيّب بالطيب ولبس أحسن الثياب[٥].

٩. وعن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (ألا أخبركم بأهل الجنّة؟ من لا يشغله عن الجمعة حرّ شديد ولا برد شديد)[٦].

١٠. وعليك في يوم الجمعة بعمل الخير ما استطعت، فقد ورد في الحديث، (وليفعل الخير ما استطاع)[٧].

١١. من اغتسل يوم الجمعة، وقلّم أظفاره، وقص من شعره، وأخذ من شاربه، واستاك وخرج لصلاة الجمعة رافقه سبعون ألف ملَك وهم يستغفرون ويشفعون له[٨].

---

(١) كمال الدين، ص ١٦٤.

(٢) وسائل الشيعة، ج٥، ص ٣٢٥.

(٣) المصدر السابق، ج٥، ص ٦٣.

(٤) صلاة الجمعة، ص ٢٤٥.

(٥) الكافي، ج٣، ص ٤١٧.

(٦) كنز العمال، ح ٢١٠٨٥.

(٧) وسائل الشيعة، ج٥، ص ٧٨.

(٨) مستدرك الوسائل، ج٦، ص ٤٦.

مكانة صلاة الجمعة

إن أول عمل قام به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بعد الهجرة إلى المدينة هو إقامة صلاة الجمعة.

الصلاة التي ابتدأت الدعوة لها بجملة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾.

الصلاة التي رغّب الناس لإقامتها بجملة ﴿فَاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

الصلاة التي نُهي عن التجارة في وقتها.

الصلاة التي عدّتها الروايات بوزان الحج، (عليك بالجمعة فإنها حج المساكين)[١].

الصلاة التي بعد خطبتها الدعاء مستجاب[٢].

الصلاة التي تقام مع اتّكاء إمامها على السلاح.

الصلاة التي يُعدّ الاستخفاف بها علامة النفاق.

الصلاة التي يجب على إمامها أن يَعِظ الناس بالتقوى.

الصلاة التي يطّلع الناس من خلالها على مجريات أحداث العالم.

الصلاة التي يجب أن تقام جماعة، ولا يصحّ إقامتها فرادى.

الصلاة التي أُوصي بلزوم تسهيل حضور السجناء – الماليين (جرائم الأموال) - فيها[٣].

الصلاة التي ينبغي تأخير السفر من أجل حضورها، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه للحارث الهمداني: (... ولا تسافر يوم الجمعة حتى تشهد الصلاة إلا فاصلاً في سبيل الله أو في أمر تُعذر فيه....)[٤].

---

(١) تهذيب الأحكام، ج٣، ص ٢٣٧.

(٢) وسائل الشيعة، ج٥، ص ٤٦.

(٣) المصدر السابق، ج٥، ص ٣٦.

(٤) نهج البلاغة، الكتاب: ٦٩.

الصلاة التي أُوصي بالتهيؤ لحضورها قبل يوم من إقامتها، فقد نهى الإمام علي عن استعمال الدواء يوم الخميس إذا كان يُعيق الإنسان من الاشتراك في صلاة الجمعة[١]، وقد قال الإمام الباقر (عليه السلام) في وصف أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله): الذين كانوا يستعدّون لصلاة الجمعة منذ يوم الخميس[٢].

الصلاة التي يفوق ثواب الاشتراك فيها للمسافر أضعاف ثوابها للمقيم في تلك المدينة[٣].

الصلاة التي أوصي بتلاوة آياتها قبل ليلة من إقامتها؛ فقد جاء التركيز في الروايات على قراءة سورة الجمعة في صلاة المغرب ليلة الخميس، وربما كان هنا نوع تذكير واستعداد لإقامة صلاة الجمعة في اليوم التالي.

وقال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): (ما من مؤمن مشى بقدميه إلى الجمعة، إلا خفّف الله عليه أهوال يوم القيامة)[٤].

وتُعدّ صلاة الجمعة كفّارة للذنوب التي اقترفها الإنسان على طول الأسبوع، بلحاظ ترك الكبائر[٥].

ومن استأجر أحدًا لعمل ما ومنعه من الذهاب لصلاة الجمعة فقد ارتكب ذنبًا بذلك[٦].

((ومن ترك الجمعة ثلاثة متتابعة لغير علّة كُتب منافقًا))[٧].

وفي حديث آخر من ترك الجمعة ثلاثة من دون مرض أو عذر مقبول فقد ختم الله على قلبه[٨].

---

(١) بحار الأنوار، ج٨٩، ص ١٩٧.

(٢) وسائل الشيعة، ج٥، ص ٤٦.

(٣) المصدر السابق، ج٥، ص ٣٦.

(٤) مستدرك وسائل الشيعة، ج٦، ص ٤٢.

(٥) بحار الأنوار، ج٨٩، ص ٢٥٦.

(٦) مستدرك وسائل الشيعة، ج٦، ص ٧.

(٧) المصدر السابق، ج٨، ص ٤٠٧.

(٨) كنز العمال، ح ٢١١٤٧.

ومن لم يستطع الحضور لصلاة الجمعة ينبغي له أن يتصدّق بمبلغ من المال (ليكون له كفّارة عن عدم الحضور)[١].

وقال النبي الأكرم (ﷺ) في الجمعة: (إنّ الله سبحانه فرض عليكم الجمعة ... فريضة مكتوبة، فمن تركها في حياتي وبعد مماتي إلى يوم القيامة، جحوداً لها واستخفافًا بحقّها، فلا جمع الله شمله، ولا بارك الله له في أمره، ألا لا صلاة له، ألا لا حج له، ألا لا صدقة له، ألا لا بركة له، إلاّ أن يتوب، فإن تاب تاب الله عليه)[٢].

ومن اللازم على الناس أن يسكتوا عندما يقف إمام الجمعة لقراءة خطبتها[٣]، وألاّ يقوموا لصلاة[٤]، وأن يجلسوا بتأدّب[٥].

مقارنة بين المؤمنين والمنافقين

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[٦].

- مقارنة بين صفات المؤمنين والمنافقين:

١. المنافقون كاذبون، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[٧]، أمّا المؤمنون فصادقون، ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٨].

---

(١) المصدر السابق، ح ٢١١٣٩.

(٢) مستدرك الوسائل، ج٦، ص ١٠.

(٣) بحار الأنوار، ج٨٩، ص ٢٥٦.

(٤) وسائل الشيعة، ج٥، ص ٣٩.

(٥) كنز العمال، ج٧، ص ٧٤٦.

(٦) المنافقون: ١.

(٧) المنافقون: ١.

(٨) الحجرات: ١٥.

٢. المنافقون لا هدف لهم وهم محتارون، ﴿لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء﴾[1]، وأمّا المؤمنون فهدفهم واضح لهم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[2].

٣. المنافقون لا إدراكَ عميق لهم، ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾[3]، وأمّا المؤمنون فهم أهل العقل والتفكّر، ﴿لآيَاتٍ لأُوْلِي الألْبَابِ﴾[4].

٤. المنافقون جامدون لا مرونة فيهم، ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[5]، وأمّا المؤمنون فهم الخاشية قلوبهم من ذكر الله، ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[6].

٥. المنافقون يقومون للصلاة من دون نشاط، ﴿قَامُواْ كُسَالَى﴾[7]، وأمّا المؤمنون فهم أهل الخشوع في الصلاة، ﴿فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[8]، وهم أيضًا ﴿عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[9]، وأيضًا ﴿عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[10].

٦. المنافقون سليطو اللسان، ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[11]، وأمّا المؤمنون فليّنو اللسان مؤدّبون، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[12].

---

(١) النساء: ١٤٣.

(٢) الحجرات: ١٥.

(٣) المنافقون: ٧.

(٤) آل عمران: ١٩٠.

(٥) المنافقون: ٤.

(٦) آل عمران: ٢.

(٧) النساء: ١٤٢.

(٨) المؤمنون: ٢.

(٩) المعارج: ٢٣.

(١٠) الأنعام: ٩٢.

(١١) الأحزاب: ١٩.

(١٢) الحجرات: ٣.

٧. المنافقون يكذّبون بالأيمان، ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾[١]، وأمّا المؤمنون فصادقون، ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[٢].

٨. المنافقون ينتقدون إدارة القائد المعصوم، ﴿يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾[٣]، وأمّا المؤمنون فمطيعون، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ﴾[٤].

٩. المنافقون كثيرو الاحتجاج ودأبهم إضعاف معنويات المجاهدين، ﴿لا تنفروا في الحرّ﴾[٥]، وأمّا المؤمنون فثابتو القدم في الميدان، ﴿مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾[٦].

١٠. المنافقون يبحثون لهم عن مركز للفتنة حتى ولو باسم المسجد، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً﴾[٧]، وأمّا المؤمنون فهمّهم إيجاد مراكز التقوى وبناء الذات، ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾[٨].

١١. المنافقون ينقضون العهد، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[٩]، وأمّا المؤمنون فأوفياء في كلّ الظروف، ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[١٠].

---

(١) المنافقون: ٢.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

(٣) التوبة: ٥٨.

(٤) التوبة:٥٩.

(٥) التوبة: ٨٠.

(٦) آل عمران: ١٧٢.

(٧) التوبة: ١٠٧.

(٨) التوبة: ١٠٨.

(٩) التوبة: ٧٥ - ٧٦.

(١٠) آل عمران:١٧.

١٢. المنافقون يحقّرون المسلمين، ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾[١]، وأمّا المؤمنون فيحترمون المسلمين، ﴿كزرعٍ أخرج شطأه﴾[٢].

١٣. المنافقون يسعون لخلق المشكلات الاقتصادية للمؤمنين، ﴿لا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا﴾[٣]، وأمّا المؤمنون فيحبّون الآخرين ويساعدونهم، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[٤].

١٤. المنافقون مخادعون ومكّارون، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٥]، وأمّا المؤمنون فصادقون ولا يخادعون، ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾[٦].

١٥. المنافقون بخلاء حين الإنفاق، ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[٧]، وأمّا المؤمنون فيساعدون الآخرين بكل ما يملكون، ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[٨].

١٦. المنافقون يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾[٩]، وأمّا المؤمنون فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، (وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١٠].

---

(١) البقرة: ١٣.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) المنافقون: ٧.

(٤) الحشر: ٩.

(٥) البقرة: ٩.

(٦) آل عمران: ١٧.

(٧) التوبة: ٥٣.

(٨) المؤمنون: ٦٠.

(٩) التوبة: ٦٧.

(١٠) آل عمران: ١٠٤.

١٧. المنافقون فرّارون من الحرب والجهاد، ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا﴾[١]، وأمّا المؤمنون فمشتاقون للجهاد ويحزنون إذا لم يشاركوا فيه، ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾[٢].

١٨. المنافقون يصنعون الشائعة، ويروّجون لها من دون تحقيق، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾[٣]، وأمّا المؤمنون فأهل دقّة وتحقيق، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٤].

١٩. المنافقون قليلاً ما يذكرون الله تعالى، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥]، وأمّا المؤمنون فكثيرو الذكر لله، ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٦].

ولمّا كان خطر المنافقين كبيراً فقد ذُكرت صفاتهم وخصائصهم في سور متعدّدة من القرآن الكريم، وقلّما نزلت سورة في المدينة لم تذكر المنافقين إمّا تصريحًا أو كناية[٧]. إن النفاق أحد أنواع الكذب العملي، ككتمان الكفر وإظهار الإيمان، ولكن ليس كل كتمان سيئًا، (بل بعضه حسن) ككتمان الفقر أو العبادة.

وكان المنافقون على مجموعتين، مجموعة كانوا قد أظهروا الإيمان في الظاهر لمّا وصل الإسلام إلى أوج القوّة والقدرة، ولكنّهم في الباطن لم يكونوا مؤمنين، ومجموعة أخرى كانوا قد آمنوا في بداية الأمر ولكنهم بعد أن أسرتهم الدنيا خرجوا من الإيمان بالتدريج، بيد أنهم بقوا على تظاهرهم بالإيمان، وقد تلقّت الأمّة الإسلامية ضربات قاسية من هاتين المجموعتين كِلتيهما.

---

(١) التوبة: ٨١.

(٢) التوبة: ٩٢.

(٣) النساء: ٨٣.

(٤) النساء: ٨٣.

(٥) النساء: ١٤٢.

(٦) الشعراء: ٢٢٧.

(٧) تفسير في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٥٧٢.

لقد كان ذكر المنافقين شائعًا في زمن النبي (ﷺ)، ولكن بعد أن رحل النبي الأكرم عن هذه الدنيا بقيت هذه المسألة مسكوتًا عنها، وهنا نطرح بعض التساؤلات:

١. هل كانت حياة النبي سببًا لنفاق مجموعة من المسلمين آنذاك، وعند وفاته (ﷺ) صار الكلّ مسلمين؟!

٢. هل كان المنافقون مع الأقلية التي اجتمعت حول الإمام علي (عليه السلام) أمثال أبي ذر، والمقداد، و...؟! - رغم أنه لا يوجد من اتهم هؤلاء الأشخاص بالنفاق - أم إنّ المنافقين كانوا قد وجدوا أهدافهم عند الأكثريّة فسكتوا؟.

إن المنافقين كاذبون في الدنيا، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، وكاذبون في الآخرة أيضًا، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[1].

وقد قال النبي الأكرم (ﷺ): (إني لا أخاف على أمّتي مؤمنًا ولا مشركًا... ولكني أخاف عليكم كل منافق)[2]، وقال أيضًا: (ما أخاف على أمتي الفقر ولكن أخاف عليهم سوء التدبير)[3].

نعم إذا ما اتحدّ المنافقون مع الجهلة فستقع معركة صفّين وواقعة كربلاء.

عوامل الغفلة عن ذكر الله والمنافقين

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[4].

- إن العوامل المانعة عن ذكر الله كثيرة، منها:

---

(١) المجادلة: ١٨.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٧.

(٣) عوالي اللآلي، ج ٤، ص ٣٩.

(٤) المنافقون: ٩.

١. الأموال والأولاد، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾؛ لأنّ هذين الاثنين أقوى عوامل الغفلة.

٢. الخمر والقمار، ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[١].

٣. التجارة؛ لذلك مدح القرآن من لا تُلهيهم التجارة والبيع عن ذكر الله تعالى حيث قال: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٢].

٤. التكاثر وطلب الكثرة، ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[٣].

٥. طول الأمل، ﴿وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ﴾[٤].

٦. طلب الترف ومتاع الدنيا، ﴿مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾[٥].

والمعروف إنّ العلاقة بالدنيا تكون خطيرة عندما لا يرى الإنسان أن الدنيا مقدّمة للآخرة ويكون هدفه وفي كلّ الأمور الدنيا فقط، قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٦].

ولكن إذا لم تمنع العلاقة بالدنيا الإنسان من أداء وظائفه المناطة به، وعمل بتكليفه، فعندئذٍ لا إشكال في هذه العلاقة.

يقول القرآن الكريم في من يُعرض عن ذكر الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٧]، كذلك الإعراض عن ذكر الله يجرّ الإنسان إلى عذاب شديد ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[٨].

---

(١) المائدة: ٩١.

(٢) النور: ٣٧.

(٣) التكاثر: ١.

(٤) الحجر: ٣.

(٥) الفرقان: ١٨.

(٦) النجم: ٢٩.

(٧) الزخرف: ٣٦.

(٨) الجن: ١٧.

المسؤولية عن الأسرة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

- لقد أشير في القرآن الكريم وفي آيات متعدّدة منه إلى رسالة الإنسان لأسرته، ومن جملة ذلك:

١. قوله تعالى: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾[2].

٢. وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[3].

٣. وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[4].

٤. وقوله تعالى حكاية عن لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[5].

٥. وقوله تعالى: ﴿قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6].

٦. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[7].

٧. وقوله تعالى حكاية عن بعض المؤمنين: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾[8].

---

(١) التحريم: ٦.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) طه: ١٣٢.

(٤) الشعراء: ٢١٤.

(٥) لقمان: ١٧.

(٦) الأحزاب: ٥٩.

(٧) الزمر: ١٥.

(٨) الطور: ٢٦.

٨. وقوله تعالى حكاية عن إسماعيل: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾[١].

وقد جاء التركيز في الروايات أيضًا على هذا الموضوع، نذكر هنا أمثلة من ذلك:

١. قال الإمام علي (عليه السلام): (علّموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدّبوهم)[٢].

٢. وقال النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله): (كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيّته... الرجل راعٍ على أهل بيته ... فالمرأة راعيةٌ على أهل بيت بعلها وولده)[٣].

المرأة القدوة

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤].

- نشير هنا إلى جانب من عقائد زوجة فرعون وسلوكها:

١. لم تكن متأثرة بالبيئة التي كانت تعيش فيها، ولم تتأثر بالمجتمع، بل لقد وقفت بالمنطق في وجه النظام الفاسد.

٢. لم تكن متأثّرة بالمظاهر البراقة، وتركت كل المظاهر الدنيوية وراء ظهرها، حتى القصور والبيوت الفارهة وكل المادّيات.

٣. كسرت جدار الصمت والرهبة والخوف.

٤. كانت صبوراً وسلّمت روحها إلى الشهادة تحت سياط التعذيب، ولكنها لم تتخلّ عن دينها وعقائدها.

٥. كانت مُدافعة عن القائد المعصوم لزمانها، وهو النبي موسى (عليه السلام).

٦. كانت عالية الهمّة، فلم تكن لتقنع بالقليل من الجنّة، وإنما كانت تطلب جوار الله تعالى.

---

(١) مريم: ٥٥.

(٢) تفسير المراغي، ج٢٨، ص١٦٢.

(٣) مجموعة ورام، ج١، ص ٦.

(٤) التحريم: ١١.

٧. كانت شجاعة ولم تؤثّر بها تهديدات فرعون.

٨. كانت تقدّم رضا الخالق على رضا المخلوق.

٩. كانت ترجّح المنطق والعقل والوحي على مسائل الأسرة.

١٠. لقد أنجت موسى عندما كان طفلاً من الموت المحتّم عندما نهت عن المنكر بقولها لفرعون: ﴿لا تَقْتُلُوهُ﴾[1].

لقد أثبتت زوجة فرعون خطأ كثير من الشعارات التي أضحت على طول الزمان جزءاً من ثقافة الناس، وأنّه يجب لتلك الشعارات أن تتغير، مثلاً:

١. يقولون: إذا أردت أن لا تُفتضح بين الناس فعليك أن تصير مثلهم، ولكنها قالت: لا أصير مثل الناس ولا أفتضح.

٢. ويقولون: يد واحدة لا تصفّق، ولكنها أثبتت أن باستطاعة شخص واحد إحداث موج عظيم.

٣. ويقولون: ليس للمرأة شخصية مستقلة، ولكنها أثبتت أن للمرأة أن تختار الطريق المستقل.

٤. ويقولون: لا يمكن محاربة لواء كامل بيد منزوعة السلاح، ولكنها أثبتت أن الحقّ باقٍ، وإذا لم يكن لليد أثر في الحديد فلها أثر في أفكار الناس على مدى التاريخ.

٥. ويقولون: لا يمكن أن يحلّ الربيع بوردة واحدة، ولكنها أثبتت أنه إذا أراد الله فإنه سيحل الربيع بوردة واحدة.

٦. ويقولون: إن فلانًا أكل الخبز والملح فهو عارف للجميل، وزوجة فرعون أكلت خبز فرعون وملحه ولكنّها تنفّرت عن عقيدته وقالت في دعائها إلى الله سبحانه: (نجّني من فرعون).

---

(١) القصص: ٩.

الأخلاق في الإسلام

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١].

لقد ركز القرآن الكريم - ومن بين كل صفات النبي الأكرم (ﷺ) وخصائصه - على الأخلاق العالية لذلك النبي العظيم فقال في وصفها: ﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وبهذه المناسبة ننقل مجموعة من كلمات المعصومين الأطهار (عليهم السلام) في خصوص الخُلق من كتاب (ميزان الحكمة):

١. قال الإمام علي (عليه السلام): (رُبّ عزيز أذله خُلقه وذليل أعزّه خلقه).

٢. وقال الإمام الحسين (عليه السلام): (حُسن الخلق رأس كل بر).

٣. وعن النبي (ﷺ) أنه قال: (إنما تفسير حَسَن الخلق إن أصاب الدنيا يرضى وإن لم يصبها لم يسخط).

٤. وعن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: (إن العبد المُسلم يبلغ بحُسن خُلقه درجة الصائم).

٥. وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: مكارم الأخلاق عشرة: اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، وحُسن الخُلق، والسخاوة، والغيرة، والشجاعة، والمروّة.

٦. وقال الإمام علي (عليه السلام): (مِن مكارم الأخلاق أن تصل من قطعك وتُعطي من حرمك وتعفو عمّن ظلمك).

٧. وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضًا أنه قال: (الخُلق الحسن يميت الخطيئة كما تميت الشمس الخبيث).

٨. وقال (عليه السلام) أيضًا: (حُسن الخُلق يثبت المودّة).

٩. وقال النبي الأكرم (ﷺ): (خصلتان لا يجتمعان في المؤمن البخل وسوء الخُلق).

---

(١) القلم: ٤.

١٠. قيل للنبي (صلى الله عليه وآله) ذات يوم: إن فلانة من أهل العبادة ولكنها سيئة الأخلاق وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): (لا خير فيها، هي من أهل النار).

وجاء في الروايات أنه عندما قام النبي (صلى الله عليه وآله) بدفن سعد بن معاذ ضغطه القبر بسبب سوء خُلقه في بيته.

النبيّ (صلى الله عليه وآله) والخُلق العظيم

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

- تُطلق كلمة (خُلق) على الصفات التي عُجنت بفطرة الإنسان وطينته، فهي لا تُطلق على السلوك الموّسمي المؤقّت، وقد فُسّر قوله تعالى: ﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ بتفسيرات كثيرة من جملتها:

أ) قالت عائشة: إن أخلاق النبي (صلى الله عليه وآله) تتضمن الآيات العشرة الأوائل من سورة المؤمنون، ولا يوجد مدح أعلى من هذا.

ب) المراد هو التخلّق بأخلاق الإسلام.

ج) المراد هو الصبر على الحقّ وتدبير الأمور طبق مقتضى العقل.

د) وقد أخذت بعض كتب اللغة كلمة ((خُلق)) بمعنى الدين، كما نقرأ في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام): المراد من الخُلق العظيم دين الإسلام[2].

هـ) المراد هو التعامل الطيّب مع المخالفين، كما أمره الله تعالى بذلك في قوله جلّ وعلا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[3].

و) المراد هو مكارم الأخلاق، كما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: إنما (بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وقوله (صلى الله عليه وآله) (أدّبني ربّي فأحسن تأديبي)[4].

ز) قالت عائشة في وصفها لأخلاق النبي (صلى الله عليه وآله): (كان خُلقه القرآن)[5].

---

(١) القلم: ٤.

(٢) تفسيركنزالدقائق، ج١٣، ص٤١٧.

(٣) الأعراف: ١٩٩.

(٤) تفسير مجمع البيان، ج٥، ص٣٣٣.

(٥) سنن النبي، العلامة الطباطبائي، ص ٥٦.

- ولقد نقل المرحوم العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) في تفسير الميزان[1] وفي ٢٧ صفحة تقريبًا روايات في موضوع أخلاق النبي (صلى الله عليه وآله) وسننه وآدابه تحت عنوان (بحث روائي آخر في سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآدابه خاصة)، ونحن نذكرها هنا على نحو الإشارة والفهرسة:

١. كان النبي (صلى الله عليه وآله) يخصف نعله بيده.

٢. وكان (صلى الله عليه وآله) يرقع ثوبه بيده.

٣. وكان (صلى الله عليه وآله) يحلب شاته بنفسه.

٤. وكان (صلى الله عليه وآله) يأكل مع العبد.

٥. وكان (صلى الله عليه وآله) يجلس على الأرض.

٦. وكان (صلى الله عليه وآله) يركب الحمار.

٧. ولا يمنعه الحياء أن يحمل حاجته من السوق إلى أهله.

٨. كان (صلى الله عليه وآله) يساعد الفقراء والمحتاجين، لم ينزع يده من يد أحد حتى ينزعها هو.

٩. وكان (صلى الله عليه وآله) يسلّم على كل من يمر به سواء كان كبيراً أم صغيراً.

١٠. لم يكن يحقّر شيئًا قُدّم إليه حتى لو كان حشف التمر.

١١. وكان (صلى الله عليه وآله) قليل المصرف كريم الطبع حسن المعاشرة.

١٢. وكان (صلى الله عليه وآله) بسّامًا من غير ضحك.

١٣. محزونًا من غير عبوس.

١٤. وكان (صلى الله عليه وآله) متواضعًا من دون ذلّة.

١٥. سخيًّا من دون إسراف.

١٦. رقيق القلب رحيمًا.

١٧. لم يمدّ يد الطمع لشيء قطّ.

١٨. وكان (صلى الله عليه وآله) ينظر في المرآة فيمشط شعره، وربما نظر إلى الماء.

١٩. ولم يبسط رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجليه بين أصحابه قطّ.

---

(١) تفسير الميزان، ج٦، ص ٣٠٢.

٢٠. وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) يختار من الأمرين أصعبهما.

٢١. وما انتصر لنفسه من مظلمة حتى يُنتهك محارم الله، فيكون حينئذ غضبه لله تبارك وتعالى.

٢٢. لم يأكل الطعام وهو متكئ قطّ.

٢٣. وما سُئل شيئا قط فقال لا، وما ردّ سائل حاجة قط إلا أتى بها أو بميسور من القول.

٢٤. وكان أخف الناس صلاة في تمام، وكان أقصر الناس خطبة.

٢٥. وكان يُعرف بالريح الطيّب إذا أقبل.

٢٦. إذا كان عنده ضيف فهو أول من يشرع بالطعام وآخر من يرفع يده عنه، ليتناول الضيوف طعامهم بكل راحة.

٢٧. كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) يأكل من الطعام الذي أمامه في السفرة.

٢٨. وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) إذا شرب شرب ثلاثة أنفاس.

٢٩. وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) يمينه لطعامه وشرابه وأخذه وعطائه، فكان لا يأخذ إلا بيمينه، ولا يعطي إلا بيمينه.

٣٠. وكان دعاؤه ثلاثًا، ولا يُكرّر الكلام إذا تكلّم.

٣١. وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) يستأذن ثلاثًا للدخول إلى بيوت الآخرين.

٣٢. كان كلامه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) واضحًا بيّنًا يفهمه كل من سمعه.

٣٣. كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى هذا و إلى ذاك بالسوية.

٣٤. وكان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) إذا حدّث بحديث تبسّم في حديثه.

الإنسان مخلوق حريص

قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾[1].

---

(١) المعارج: ١٩.

- لقد وردت روايات كثيرة في الحرص[١] نشير إلى بعضٍ منها:

١. (الحرص لا يزيد في الرزق).

٢. (مَن كثر حرصه ... ذل قدره).

٣. (رُبّ حريص قتله حرصه).

٤. (ليس لحريص غناء).

٥. (الحرص يُزري بالمروّة).

٦. (الحرص مطيّة التعب).

٧. (لا حياء لحريص)؛ لأنه ومن أجل الوصول إلى المال يترك العفّة والحياء جانباً.

٨. (الحريص أسير).

٩. (الحرص علامة الفقر).

١٠. (الحرص يفسد الإيقان).

١١. (الحرص موقع في كثير العيوب).

١٢. (لا يلقى الحريص مستراحا)[٢].

في المسجد

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾[٣].

١. المسجد أول بناء كان على وجه الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾[٤].

---

(١) غرر الحكم، ح١٢٧، ص٧٧٢.

(٢) أي لا يلقى راحة؛ وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: (حرم الحريص خصلتين، ولزمته خصلتان: حرم القناعة فافتقد الراحة ، وحرم الرضا فافتقد اليقين). الخصال: ص ٦٩.

(٣) الجن: ١٨.

(٤) آل عمران: ٩٦.

٢. يجب أن يكون للمسجد قداسة خاصّة، كما قال المؤمنون في قصة أصحاب الكهف: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾[١].

٣. إن أول عمل للنبي (ﷺ) في المدينة كان بناء المسجد. قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[٢][٣].

٤. لقد جاء ذكر المسجد الحرام في القرآن الكريم أكثر من عشر مرّات.

٥. وقد عدّ الله سبحانه المسجد بيته، وجعل أفضل خلقه [في عصره] يعني إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) خادمين له، حيث قال سبحانه: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾[٤].

٦. ولقد أوصي بالزينة عند المسجد، قال تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٥].

٧. إذا لم يكن بناء المسجد على التقوى، وكان المسجد عاملاً للتفرقة فيجب حينئذٍ تخريبه وهدمه، قال تعالى: ﴿مَسْجِداً ضِرَاراً﴾[٦].

٨. إن للمسجد قداسته فلا يحق لأيٍّ كان بناؤه وعِماره؛ قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللّهِ﴾[٧]، بل إن هذا الأمر خاص بالمؤمن، والتّقي، والشجاع الذي لا يخاف إلا الله تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ... وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ﴾[٨].

---

(١) الكهف: ٢١.

(٢) التوبة: ١٠٨.

(٣) وهو مسجد قباء، حيث كان أول مسجد في الإسلام. (الناشر).

(٤) البقرة: ١٢٥.

(٥) الأعراف: ٣١.

(٦) التوبة: ١٠٧.

(٧) التوبة: ١٧.

(٨) التوبة: ١٨.

٩. إن للمسجد وسائر معابد اليهود والنصارى (الأديرة والصوامع والمعابد) قدراً وقيمة بحيث يجب بذل الدم لحفظها، قال تعالى: ﴿... **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً**﴾[1].

١٠. للمسجد آداب من جملتها خفض الصوت عند الكلام، وأن لا يُطرح فيه الكلام الباطل، ولا يُتكلّم فيه بالبيع والشراء، والابتعاد فيه عن اللغو في الكلام.

١١. لكل خطوة تخطى إلى المسجد أجر وثواب.

١٢. للجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة أجرٌ وثواب.

١٣. المسجد الذي لا تُقام فيه الصلاة يشتكي إلى الله تعالى.

١٤. لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد.

١٥. إن الله يرفع العذاب عن الناس ببركة المسجد.

(الموارد ١٠ - ١٥ جاءت على وفق الروايات الواردة في المسجد والمنقولة في باب المسجد من كتاب (ميزان الحكمة)).

أهمّية صلاة الليل

قال تعالى: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً**﴾[2].

- قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): (خيركم من أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى والناس نيام)[3].

قال (صلى الله عليه وآله) للإمام علي (عليه السلام) ثلاث مرّات: (وعليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل)[4].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (شرف المؤمن صلاته بالليل).

---

(١) الحج: ٤٠.

(٢) المزمل: ٦.

(٣) بحار الأنوار، ج٨٧، ص ١٤٢.

(٤) وسائل الشيعة، ج٥، ص ٢٦٨.

وقال في رواية أخرى: زينة المؤمن وافتخاره بصلاة الليل[١].

وقد شكا شخص للإمام علي (عليه السلام) عدم توفقه للقيام لصلاة الليل، فقال له الإمام:(قيّدتك ذنوبك)[٢].

وقد خاطب الله تعالى النبي موسى (عليه السلام) قائلاً:(يا موسى كذب من زعم إنه يحبّني فإذا جنّه الليل نام عنّي)[٣].

وقال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): (لرُكعتان في جوف الليل أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها)[٤].

وقد ورد في الروايات أن صلاة الليل عامل لزيادة الرزق، وأداء الدين، ورفع الهم والغم، وجلاء للعين[٥].

وورد في الروايات أيضًا أن صلاة الليل سبب لغفران ذنوب النهار[٦].

كذلك صلاة الليل سبب لسلامة البدن ونزول الرحمة الإلهية[٧].

ولقد بيّن الله سبحانه وتعالى في قرآنه ثواب بعض الأعمال، ولكنه قال في صلاة الليل: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ...﴾[٨].

عقوبة الإعراض عن الحقّ

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾[٩].

---

(١) بحار الأنوار، ج٨٧، ص ١٤٠.

(٢) المصدر السابق، ج٨٠، ص ١٢٨.

(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ٢٦٣.

(٤) علل الشرائع، ص ٣٦٣.

(٥) سفينة البحار، ج٢، ص ٤٦.

(٦) فروع الكافي، ج٣، ص ٣٦٦.

(٧) بحار الأنوار، ج٨٤، ص ١٤٤.

(٨) السجدة: ١٧.

(٩) المدّثر: ٢٣.

لقد توعّد القرآن الحكيم منكري وجود الحقّ والمعرضين عنه بعذابٍ متنوّعٍ، ومنه:

١. التيه في الحياة، قال تعالى: ﴿... اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ...﴾[١].

٢. ضيق الصدر، قال تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[٢].

٣. الابتلاء بمعيشة صعبة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[٣].

٤. تتسلّط عليه النكبة وسوء الحظ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٤].

٥. الحرمان من الاستفادة الصحيحة من أنعم الله، قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[٥].

٦. تكون أعمالهم كسراب بصحراء قاحلة، قال تعالى: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾[٦]، أو تكون كرماد اشتدّت به الريح، قال تعالى: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[٧].

٧. تزداد خسارتهم في كل لحظة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَاراً﴾[٨].

٨. الابتعاد الدائم عن صراط الله، قال تعالى: ﴿ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾[٩].

---

(١) الأنعام: ٧١.

(٢) الأنعام: ١٢٥.

(٣) طه: ١٢٣.

(٤) النحل: ٢٧.

(٥) البقرة: ٧.

(٦) النور: ٣٩.

(٧) إبراهيم: ١٨.

(٨) فاطر: ٣٩.

(٩) النساء: ١٦٧.

٩. لا طريق لهم إلاّ طريق جهنّم، قال تعالى: ﴿وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً، إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾[١].

ليلة القدر عن الحقّ

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٢].

إن الله تعالى يقدّر في ليلة القدر أمور عام كامل، كما يقول القرآن: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٣]؛ وعليه فإن ليلة القدر غير منحصرة بليلة نزول القرآن وعصر النبي (ﷺ)، بل في كل شهر رمضان هناك ليلة قدر يقدّر فيها أمور السنة القادمة إلى ليلة القدر التالية.

ولقد جاء التركيز من النبي (ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام) على إحياء ليلة القدر بالدعاء، والصلاة، وقراءة القرآن، وكان التركيز من بين ثلاث ليالٍ على الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان، كما روي أن شخصًا جاء النبي (ﷺ) فقال له: بيتي بعيد عن المدينة فعيّن لي ليلة لآتي بها إلى المدينة، فقال له النبي (ﷺ): ادخل المدينة ليلة الثالث والعشرين[٤].

وروي أنّ الصّادق (عليه السلام) كان مريضًا فأمر فأُخرج إلى المسجد فكان فيه حتّى أصبح ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان[٥].

وكانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) لا تدع أحدًا من أهلها ينام تلك الليلة، وتداويهم[٦]

(١) النساء: ١٦٩.

(٢) القدر: ١.

(٣) الدخان: ٤.

(٤) وسائل الشيعة، ج٣، ص ٣٠٧.

(٥) بحار الأنوار، ج٩٥، ص ١٦٩.

(٦) هكذا ورد في الخبر، والمراد من التداوي هو المعالجة، أي: تُعالج نعاسهم بقلة الطعام. (الناشر).

بقلة الطعام، وتتأهّب لها من النهار، وكان (صلى الله عليه وآله) يرش وجوه النيام بالماء[١].

وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يطوى فراشه، ويشدّ مئزره في العشر الأواخر من شهر رمضان[٢].

وروي في حديث طويل عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أن موسى (عليه السلام) خاطب الله تعالى قائلاً: (إلهي أريد قربك، قال: قربي لمن استيقظ ليلة القدر، قال: إلهي أريد رحمتك، قال: رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر، قال: إلهي أريد الجواز على الصراط، قال: ذلك لمن تصدّق بصدقة في ليلة القدر، قال: إلهي أريد من أشجار الجنّة وثمارها، قال: ذلك لمن سبّح تسبيحةً في ليلة القدر، قال: إلهي أريد النجاة من النار، قال: ذلك لمن استغفر في ليلة القدر، قال: إلهي أريد رضاك، قال: رضاي لمن صلّى ركعتين في ليلة القدر)[٣].

وفي هذه الليلة ضُرب الإمام علي (عليه السلام) في محراب العبادة وقت الصلاة، نعم، استُشهد أشرف خلق الله في أشرف مكان وزمان وفي أشرف الحالات.

إن طول ليلة القدر يساوي ليلة كاملة من ليالي الكرة الأرضية أي ٢٤ ساعة، فلا يكون مخصوصاً بالمكان الخاص كمكّة مثلاً، وذلك أيضًا بثمانِ ساعاتٍ من ليل تلك المنطقة، كما إن المراد من يوم عيد الفطر هو يوم كامل من أيام الكرة الأرضية والذي يكون شاملاً لكل نقاط الأرض ومناطقها.

وربما كان اقتران ليلة القدر مع ليلة نزول القرآن رمزًا لارتباط مصير البشر بالقرآن الكريم، فإذا اتبعوا القرآن فقد نالوا السعادة والفلاح وإذا ابتعدوا عن القرآن فمصيرهم إلى الشقاوة والهلاك.

وقال أبو ذر (رضوان الله عليه): سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) هل كانت ليلة القدر على عهد الأنبياء ونزل الأمر عليهم، وعُطِّل بعد أن ارتحلوا عن الدنيا؟ فقال (صلى الله عليه وآله): ليلة القدر إلى يوم القيامة[٤].

---

(١) المصدر السابق، ج٩٤، ص ١٠.

(٢) تفسير مجمع البيان، ج١٠، ص٣١٢.

(٣) وسائل الشيعة، ج٨، ص ٢٠.

(٤) تفسير البرهان، ج١٠، ص٢٣٠.

وربما كان الرمز في خفاء ليلة القدر وعدم تعيّنها بدقة في ليلة واحدة باعثًا لتعبّد الناس في ليالٍ متعدّدة، وأن لا يغترّ من أدرك تلك الليلة، ولا ييأس من لم يدركها.

وقد جاء في الروايات: (العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر)[1].

أنواع التكاثر

قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[2].

- ينبغي الالتفات إلى بعض أنواع التكاثر:

١. التكاثر في الشرك وتعدّد الأرباب، قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[3].

٢. التكاثر في الغذاء، فقد قال بنو إسرائيل كما حكى عنهم القرآن: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا...﴾[4].

٣. التكاثر في العمر، كما إن بعضهم يَوَدُّ لو يُعَمَّر ألف سنة، قال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[5].

٤. التكاثر في المال، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾[6].

٥. التكاثر في المسكن، قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾[7].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص ١٥٨.

(٢) التكاثر: ١.

(٣) يوسف: ٢٩.

(٤) البقرة: ٦١.

(٥) البقرة: ٩٦.

(٦) الهمزة: ٢.

(٧) الشعراء:١٢٨.

٦. التكاثر في الشهوة، لقد أجاز الإسلام الزواج في المسألة الجنسية وإتيان الزوج، حيث قال: ﴿إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[1]، وقدّ عدّ إرضاء الشهوة بآخر غير الزواج الشرعي تجاوزاً غير مشروع، حيث قال: (فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[2].

ليس التكاثر بعدد السكان والمجتمع فحسب، بل أحيانًا يكون التكاثر بالثروة والأولاد كما أخبر القرآن بقوله تعالى: ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾[3]؛ ولذا قد أوصى القرآن بألاّ تُلْهِكُم أموالكم وأولادكم عن ذكر الله[4].

وروي أن النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) قال حينما تلا هذه السورة: ((تكاثر الأموال جمعها من غير حقّها ومنعها من حقّها وسدّها في الأوعية))[5].

وجاء في شعر منسوب للإمام أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

يا من بدنياه اشتغل قد غَرّه طول الأمـــل
الموت يـــأتي بَغتة والقبر صندوق العمل

سوق الدنيا

قال تعالى: ﴿إِنَّ الانسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[6].

إن النظرة الإجمالية لآيات القرآن من شأنها أن توصلنا إلى هذه النكتة الأساسية وهي أن الدنيا سوق، والناس يعرضون عمرهم وقوّتهم واستعدادهم في ذلك السوق، وإن البيع في هذا السوق إجباري، قال الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (نَفَس المرء

---

(١) المؤمنون: ٦.

(٢) المؤمنون: ٧.

(٣) الحديد: ٢٠.

(٤) المنافقون: ٩.

(٥) تفسير كنز الدقاق، ج١٤، ص٤٧٢.

(٦) العصر: ٢.

خطاه إلى أجله)[١]، إذن الإنسان ينفق من رأس مال عمره في كل لحظة، ونحن لسنا قادرين على أن نمنع عمرنا من النفاد، وسواء شئنا أم أبينا فإن قدرتنا ووقتنا في نفاد عنّا، وعليه فالمهمّ في هذا السوق هو اختيار المشتري والزبون.

إن الذين تعاملوا مع الله وتركوا كل ما عندهم على أساس الإخلاص ومشوا في طريق الله طلبًا لرضاه أولئك قد خلّدوا العمر الفاني وشروا الدنيا بجنّة رضوان الله، وهؤلاء هم العباد الواقعيون؛

أولاً: لأن المشتري الحقيقي لهم هو الله تعالى الذي كلّ الوجود منه.

وثانيًا: إنه سبحانه يشتري القليل بالكثير، قال سبحانه: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ**﴾[٢][٣].

وثالثًا: إنه سبحانه يشتري بثمنٍ غالٍ، وأجره الجنّة الأبدية ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾[٤].

رابعًا: إذا كنّا نبحث عن أداء العمل الحسَن ولكنّا لم نوفّق لذلك، فإنه سبحانه - ورغم ذلك - يثيبنا على ما لم نوفّق له؛ لأنّا سعينا، وهو يثيب على أساس السعي أيضًا، لا على وقوع العمل والنتيجة فحسب، قال (عزّ وجل): ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾[٥].

خامسًا: إنه سبحانه يضاعف الأجر أضعافًا مضاعفة[٦]، إلى سبع مئة ضعف، وإن ثواب الإنفاق الحسن كالحبّة التي أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبّة.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ٧٤.

(٢) الزلزال: ٧.

(٣) لعلّ مراد المصنف هو أنه تعالى يُجزي على عمل الخير ولو كان قليلاً؛ لقوله تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ**﴾، كما أنه تعالى يشتري القليل بالكثير؛ لقوله تعالى: ﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا...**﴾ (الأنعام: ١٦٠). (الناشر).

(٤) آل عمران: ١٥.

(٥) النجم: ٣٩.

(٦) آل عمران: ١٣٠.

وأما الذين باعوا عمرهم - في هذا السوق - لأهوائهم أو أهواء الآخرين ولم يكونوا يتبعون رضوان الله تعالى فقد خسروا خسرانًا كبيراً، وقد عبّر القرآن عنهم بهذه التعبيرات:

١. ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾[١].

٢. ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[٢].

٣. ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾[٣].

٤. ﴿خُسْرَانًا مُبِينًا﴾[٤].

٥. ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾[٥].

إن الذكيَّ والموفّق - في نظر هؤلاء - هو الذي يستطيع بكل عمل أو كلام وأسلوب - سواء كان حقًّا أم باطلاً - أن يهيّئ لنفسه حياةً مرفّهةً، وأن يكتسب الشهرة والمحبّة والمقام في المجتمع، وفي غير هذه الصورة سيقولون عنه إنه: متخلّف، بائس، لا يعرف شيئًا، وغيرها من التعبيرات.

وأما في الثقافة الإسلامية فالذكيُّ هو الذي يحاسب نفسه ولا يتركها تسرح وتمرح، وهو الذي يعمل للحياة الأبدية ويكون يومه خيراً من أمسه، هو الذي لا يغفل عن الموت ويلوذ بالتقوى والقناعة والعدالة من الفسق والحرص والظلم.

وقد ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) أنه قال: (الدنيا سوقٌ ربح فيها قومٌ وخسر آخرون)[٦].

---

(١) البقرة: ٩٠.

(٢) البقرة: ١٦.

(٣) الأعراف: ٥٣.

(٤) النساء: ١١٩.

(٥) العصر: ٢.

(٦) تحف العقول، كلمات الإمام الهادي (عليه السلام)، ص٣٨٧.

ما هو الكوثر؟

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[١].

يُستفاد من الآية الأخيرة من سورة الكوثر ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ أن المراد من (الكوثر) شيء ضد (الأبتر)، ولمّا كان العرب يطلقون على من لا عقب له ولا نسل - أي لا ولد له فتمحى آثاره بموته – (أبتر)؛ فيكون أفضل مصداق للكوثر هو ذرية الرسول الأكرم (ﷺ)، وهم الأئمة المعصومون من نسل فاطمة الزهراء (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، نعم للكوثر معنىً عام وهو شامل لكل خير.

وإذا كان المراد من الكوثر العلم، فهو ذلك الذي أُمر النبي (ﷺ) بطلبه في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّي زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وإذا كان المراد من الكوثر الأخلاق الحسنة فإن النبي (ﷺ) كان على خُلق عظيم، حيث قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

وإذا كان المراد من الكوثر العبادة، فقد عَبَد (ﷺ) حتى نزل قوله تعالى: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[٣].

وإذا كان المراد من الكوثر النسل الكثير فما أكثر نسل الرسول (ﷺ) اليوم.

وإذا كان المراد من الكوثر الأمّة الكبيرة، فطبق الوعد الإلهي سيعمّ الإسلام العالم بأسره؛ حيث قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[٤].

---

(١) الكوثر: ١.

(٢) القلم: ٤.

(٣) طه: ١ - ٢.

(٤) التوبة: ٣٣.

وإذا كان المراد من الكوثر الشفاعة، فسوف يشفّع الله نبيه الكريم (ﷺ) حتى يرضى؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[(١)].

وليس الكوثر أمراً دنيويًا، وهو أمر أرفع من الخبز، والشهرة، والمقام، وبريق الدنيا؛ ذلك لأن القرآن عدّ الدنيا شيئًا قليلاً[(٢)] زائلاً[(٣)].

وليس كل كثير كوثر؛ فالقرآن يقول: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[(٤)].

وفي القرآن سورة باسم الكوثر وسورة أخرى باسم التكاثر، أما الكوثر فله قيمه، وأما التكاثر فهو ضدّه - أي لا قيمه له - ذلك أن الأول عطيّة إلهية تبعها ذكر الله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ﴾، وأما الثاني فمنافسة سلبية يتبعها غفلة عن ذكر الله ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

الكوثر يأخذنا إلى المسجد للصلاة ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، والتكاثر يأخذنا للمقبرة لعدّ الأموات (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

في إعطاء الكوثر بشارة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، وفي التكاثر تهديد يتبع تهديداً ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

الكوثر عامل للارتباط بالخالق ﴿أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ﴾، والتكاثر وسيلة للّهو مع المخلوق ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

طُرح الكوثر الذي هو أكبر هدية إلهية في أصغر سورة من سور القرآن الكريم.

ولا يمكن أن تكون هدية أشرف معبود لأشرف مخلوق شيئًا غير الكوثر ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.

---

(١) الضحى: ٥.

(٢) آل عمران: ١٩٧.

(٣) الأنفال: ٦٧.

(٤) التوبة: ٥٥.

لقد أمر الله تعالى في واقعة فتح مكّة - التي دخل فيها المشركون أفواجًا أفواجًا في الإسلام -بالتسبيح فقط، حيث قال سبحانه: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ...﴾، ولكنه أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بالصلاة لإعطائه الكوثر فقال له: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، وكأن الأمر في الكوثر أهم من دخول المشركين في الإسلام.

الحسد

قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[١].

إن للسعي من أجل اكتساب الكمالات قيمة وكمالاً، ولكن تمني زوال كمالات الآخرين أو السعي من أجل زوالها حسد، وهو علامة على قلّة السعة وضيق النظر.

ونحن نقرأ في الحديث: (الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب)[٢].

ويقول القرآن الكريم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[٣].

والحسد أكثر السيئات شراً؛ ذلك لأن الحسود يخطط ويحتال ويرتكب أنواع الشرور ليصل إلى هدفه.

يقول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): (الحسد داء عياء لا يزول إلا بهلك الحاسد أو بموت المحسود)[٤].

والحسود في الواقع يرفض إرادة الله وحكمته معترضًا: لماذا أعطى لذاك ولم يعطني؟

والحسود لا يرجو الخير للآخرين ولا ينصح لهم أبدًا.

---

(١) الفلق: ٥.

(٢) الكافي، ج٢، ص ٣٠٦.

(٣) النساء: ٥٤.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ص ٥٦.

لقد عدّ القرآن الكريم البغي ـ بمعنى الحسد[١] ـ أصل كثير من المعاصي، وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): إن الكفر أصله الحسد، كما إن بعضهم كان يقول أمام النبي (صلى الله عليه وآله): (أبشر يهدوننا)[٢]؟

ولا يكون الحسود من أهل التواضع والشكر أبدًا، وهو لا يشهد لكمالات الآخرين أبدًا، وهو يرتكب - مجبرًا - معصية كتمان الحقّ.

وعادة ما يكون الحسود منافقًا أيضًا، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (الحاسد يُظهر ودّه في أقواله ويخفي بُغضه في أفعاله)[٣].

منشأ الحسد

١. أحيانًا يكون التمييز بين الأشخاص مصدرًا للتحاسد بينهم، مثلًا تعاطف الأب أو الأم أكثر مع أحد الأبناء من دون إخوته، فهذا يكون باعثًا لحسد الإخوة لهذا الابن.

٢. وأحيانًا لا يكون الناس من أهل الانتباه والدقّة فيظنون أن جميع الناس يجب أن يتساووا في النعم، فإذا رأوا منعّمًا أكثر منهم حسدوه، لكنهم لو عرفوا الحكمة في توزيع الأرزاق لما وقعوا في الحسد.

والحسد موجود في بيت النبوّة أيضًا، كما كان في بيت النبي يعقوب (عليه السلام)، فقد ابتُلي الأبناء بالحسد لأخيهم لذلك ألقوه في البئر.

ولا ينال الحسد النعم المادّية فحسب، بل يتعدّاه - أحيانًا - إلى إيمان المحسود فيشمله وتتولد الرغبة - حينذاك - في رجوعه إلى الكفر، قال تعالى حكاية عن

---

(١) من قبيل ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: ١٩)، أي: حسداً بينهم. (الناشر).

(٢) التغابن: ٦.

(٣) غرر الحكم، ح٢١٢٧، ص١٢٠.

بعض المشركين: ﴿يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾[1].

وواضح أن الحسد هو الرغبة في زوال نعمة الغير، وطلب النعمة من الله ليس من الحسد في شيء، كما طلب سليمان من الله تعالى أن يهب له ملكًا لا يكون لأحد من بعده حيث قال: ﴿مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ﴾[2]، وقد طلب الإمام علي (عليه السلام) من الله سبحانه - في دعاء كميل - أن يكون نصيبه أكثر وقربه من الله أكبر حيث يقول (عليه السلام): (واجعلني من أحسن عبيدك نصيبًا عندك، وأقربهم منزلة منك).

ومن أجل معالجة الحسد يجب التفكير بهذا الشكل:

الدنيا صغيرة وحقيرة، ولا تستحقّ التأثّر بها.

نحن أيضًا عندنا نِعم لا يمتلكها غيرنا.

قُسّمت النعم على أساس الحكمة، رغم أننا لا نعلم تلك الحكمة.

من كانت نعمه أكثر تكون مسؤوليته أكبر.

وعلينا أن نعلم أن حسدنا لا نتيجة له، وأن الله تعالى لا يقطع ألطافه عنّا إذا لم تكن لدينا عيون ننظر بها لنعمه، ونحن بذلك نعذّب أنفسنا لا أكثر.

---

(١) البقرة: ١٠٩.

(٢) ص: ٣٥.

مباحث

في دقيقة واحدة





خصائص القلب السليم

قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾[١].

من خصائص القلب السليم[٢]:

أ) (ليس فيه أحد سواه)[٣].

ب) قلب يتبع هُدى الحقّ، وتائب من الذنوب ومسلّم لله تعالى[٤].

ج) سالم من حبّ الدنيا[٥].

د) مطمئن بذكر الله تعالى[٦].

هـ) خاشع لله تعالى[٧].

---

(١) البقرة: ٧.

(٢) الكلام بشأن القلب السليم الوارد ذكره في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٩)، وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الصافات: ٨٤). (الناشر).

(٣) نور الثقلين، ج ٤، ص ٥٧.

(٤) كما جاء في خطبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام، يقول فيها:(فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه، وتجنب من يرديه، وأصاب سبيل السلامة ببصر من بصره وطاعة هاد أمره، وبادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه وتقطع أسبابه، واستفتح التوبة وأماط الحوبة فقد أقيم على الطريق وهدى نهج السبيل). نهج البلاغة: ج ٢ ص ١٩٦، الخطبة: ٢١٤. (الناشر).

(٥) كما ورد عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٩)، قال عليه السلام: (هو القلب الذي سلم من حب الدنيا). التفسير الصافي: ج ٤ ص ٤١.

(٦) كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (الفتح: ٤).

(٧) كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ...﴾ (لحديد: ١٦).

نعم، قلب المؤمن ورغم أنه مطمئن بذكر الله إلا أنه وجِلٌ من غضبه أيضا، قال تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(١)، كالطفل الذي يشعر بالأمن بين أبويه ولكنه يحسب لهم حسابهم.

خصائص القلب المريض

أ) قلب غافل عن ذكر الله وغير لائق للاتّباع، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾(٢).

ب) قلب يسعى للفتنة وإلقاء الشبهات، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ...﴾(٣).

ج) قلب قاس، قال تعالى: ﴿جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾(٤).

د) قلب غطّاه الرين، قال تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٥).

هـ) قلب مطبوع عليه، قال تعالى: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾(٦).

لماذا نعبّد الله تعالى؟

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٧).

سؤال: لِمَ يجب علينا عبادة الله تعالى؟

---

(١) الأنفال: ٢.

(٢) الكهف: ٢٨.

(٣) آل عمران: ٧.

(٤) المائدة: ١٣.

(٥) المطففين: ١٤.

(٦) النساء: ١٥٥.

(٧) البقرة: ٢١.

الجواب: جاء الجواب على هذا السؤال في غير موضع من القرآن الكريم:

١. لأن الله خالقنا وربّنا، قال تعالى: ﴿**اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾، ولمّا كان المشركون يعتقدون بالخالقية ولكنهم كانوا ينكرون الربوبية فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية كلمتين مع بعض هما (ربّكم) (خلقكم) للدلالة على أن خالقكم هو ربّكم.

٢. لأن الله هو الذي يؤمّن رزقكم وأمانكم، قال تعالى: ﴿**فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوْعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾[١].

٣. لأن العالم بأجمعه يسبّح بحمده، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾[٢].

٤. لأنه لا معبود إلاّ هو، قال سبحانه: ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾[٣].

كيف نعبد؟

- لقد بيّنت الآيات والروايات أساليب وشروطًا للعبادة - وهي ستبحث في محلّها - ولكن لمّا كانت هذه الآية أول خطاب للإنسان في القرآن، نبيّن هنا محاور أساسية ليكون واضحًا ومشخّصًا كيف تكون العبادة:

١. عبادة عن طاعة، يعني طبق الأمر الإلهي من دون زيادة أو نقصان أو خرافات.

٢. عبادة عن وعي، لنعلم من هو مخاطبنا ومعبودنا، قال تعالى: ﴿**حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ**﴾[٤].

٣. عبادة خالصة، قال تعالى: ﴿**وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[٥].

٤. عبادة خاشعة، قال تعالى: ﴿**فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾[٦].

---

(١) قريش: ٣ – ٤.

(٢) الإسراء: ٤٤.

(٣) طه: ١٤.

(٤) النساء: ٤٣.

(٥) الكهف: ١١٠.

(٦) المؤمنون: ٢.

٥. عبادة في خفاء، قال النبي الأكرم (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه): (أعظم العبادة أجراً أخفاها)[١].

٦. عبادة عن عشق، يقول النبي الأعظم (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه): (أفضل الناس من عَشِقَ العبادة)[٢].

وخلاصة المطلب هي إن للعبادة ثلاثةَ أنواع من الشروط:

أ) شرط الصحة، كالطهارة والقبلة للصلاة.

ب) شرط القبول، كالتقوى.

ج) شرط الكمال، كأن تكون: عن وعي، وخشوع، ومخفية، وعن عشق[٣].

موانع ذكر الله تعالى وآثاره:

قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾[٤].

- موانع ذكر الله تعالى:

أ) الشيطان، قال تعالى: ﴿**أَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ**﴾[٥].

ب) التكاثر والتنافس، قال تعالى: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾[٦].

ج) الآمال والأماني، قال تعالى: ﴿**وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ**﴾[٧].

- آثار ذكر الله تعالى:

١. ذكر نِعَم الله، أساسٌ لمعرفته وشكره سبحانه.

٢. ذكر قدرته غير المتناهية، أساسُ التوكّل عليه سبحانه.

٣. ذكر علمه واطّلاعه، أساسُ الحياء والتقوى.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٠، ص ٢٥١.

(٢) المصدر السابق، ج٧٠، ص ٢٥٣.

(٣) للتفصيل أكثر يمكن الرجوع إلى كتاب (قبس من أسرار الصلاة)، وكتاب (تفسير الصلاة) للمؤلف.

(٤) البقرة: ١٥٢.

(٥) المجادلة: ١٩.

(٦) التكاثر: ١.

(٧) الحجر: ٣.

٤. ذكر ألطافه، أساسُ محبّته سبحانه.

٥. ذكر عدالته، أساسُ الخوف منه سبحانه.

٦. ذكر إغاثته، أساسُ رجاءه سبحانه.

ألطاف الله تعالى بالصابرين

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[١].

- إن لله تعالى عنايةً خاصّة بالصابرين، وقد جاء مدحهم في كثير من الآيات الكريمة، كما قد حظوا بكثير من الامتيازات لصبرهم، ومن جملتها:

١. إنهم أحباب الله تعالى، قال عزّ وجل: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٢].

٢. إنهم في حماية الله تعالى، قال عزّ وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٣].

٣. هم الناجون وهم المبشّرون، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٤].

٤. لهم مقامهم في الجنّة، قال سبحانه: ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾[٥].

٥. لهم أجرهم بغير حساب، قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٦].

كيفية التغلّب على المشكلات

- أهم مقدمات النجاح في الامتحان الإلهي:

أ) الصبر والمقاومة.

---

(١) البقرة: ١٥٥.

(٢) آل عمران: ١٤٦.

(٣) البقرة: ١٥٣.

(٤) الفرقان: ٧٥.

(٥) الحجر: ٣.

(٦) الزمر: ١٠.

ب) الالتفات إلى أن الحوادث والمشكلات زائلة.

ج) الالتفات إلى تاريخ الماضين، وكيفية اجتيازهم للمشكلات التي عانوا منها.

د) الالتفات إلى أن الحوادث التي تمرّ بنا بعين الله سبحانه، وأن لكل شيء حسابًا.

قال الإمام الحسين (عليه السلام) عندما أُصيب طفله بالسهم وهو بين يديه الكريمتين: (هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله)[1].

الناس والمشكلات

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[2].

- ينقسم الناس بلحاظ مواجهتهم للمشكلات والمصائب على عدّة أقسام:

أ) مجموعة جزعة عند المصائب، ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾[3].

ب) مجموعة صابرة ثابتة، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[4].

ج) مجموعة شاكرة، وفضلاً عن الصبر فهم شاكرون أيضًا، ونحن نقرأ في سجدة آخر زيارة عاشوراء: (اللهم لك الحمد حمد الشاكرين لك على مصابهم).

إن طريقة التعامل مع المصائب علامة على حدود معرفة كل شخص لفلسفة المصائب والصعاب، فالطفل يبكي من حرارة البصل، والشاب يتحمّل حرارته، والكبير يعطي المال ليشتري البصل ويأكله.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص ٤٦.

(٢) البقرة: ١٥٦.

(٣) المعارج: ٢٠.

(٤) البقرة: ١٥٥.

كثرة الأكل ممنوعة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١].

- عادة ما ينكر القرآن الكريم إلى جانب إباحته الأكل شرطًا آخر، مثلاً:

١. ﴿كُلُواْ... حَلالاً طَيِّباً﴾.

٢. ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ... وَلا تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٢].

٣. ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ... وَلا تُسْرِفُواْ﴾[٣].

٤. ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ﴾[٤].

شروط الدعاء في القرآن

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٥].

- لقد ركز القرآن الكريم على مجموعة شروط في الدعاء، من جملة ذلك:

١. ينبغي أن يكون الدعاء خالصًا، قال تعالى: ﴿فَادْعُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٦].

٢. ينبغي أن يكون الدعاء مرافقًا للخوف والطمع، قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[٧].

---

(١) البقرة: ١٦٨.

(٢) البقرة: ٦٠.

(٣) الأعراف: ٣١.

(٤) الحج: ٢٨.

(٥) البقرة: ١٨٦.

(٦) غافر: ١٤.

(٧) الأعراف: ٥٦.

٣. ينبغي أن يكون الدعاء مع العشق والرغبة والخوف، قال تعالى: ﴿يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[(١)].

٤. ينبغي أن يكون الدعاء مع التضرّع والخفاء، قال تعالى: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[(٢)].

٥. ينبغي أن يكون الدعاء نداءً رقيقًا خفيًا، قال تعالى حكاية عن زكريا (عليه السلام): ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا﴾[(٣)].

المصالحة بين الناس

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[(٤)].

- لقد طُرح في القرآن الحكيم منهج التصالح والتسالم بين فئات المجتمع، من جملة ذلك:

١. مع المسلمين، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾.

٢. مع أهل الكتاب، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ...﴾[(٥)].

٣. مع المشركين الذين لم يؤذوا المسلمين، ﴿... لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ...﴾[(٦)].

---

(١) الأنبياء: ٩٠.

(٢) الأعراف: ٥٥.

(٣) مريم: ٣.

(٤) البقرة: ٢٠٨.

(٥) آل عمران: ٦٤.

(٦) الممتحنة: ٨.

الأمل بألطاف الله تعالى

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

- لقد ذكر الإسلام مقدمة الأمل بألطاف الله تعالى والابتعاد عن اليأس، من جملة ذلك:

١. اعتباره اليأس من الذنوب الكبيرة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٢).

٢. عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: (أحسن الظن بالله فإن الله (عزّ وجل) يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً)(٣).

٣. الأنبياء والملائكة (عليهم السلام) يدعون للمؤمنين ويستغفرون لهم ويطلبون لهم المغفرة، قال تعالى حكاية عن بعض الأنبياء: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾(٤)، وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾(٥).

٤. ثواب الله مضاعف أضعافاً كثيرة، قال تعالى: ﴿... كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾(٦).

---

(١) البقرة: ٢١٨.

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) الكافي، ج٢، ص ٧٢.

(٤) إبراهيم: ٤١.

(٥) غافر: ٧.

(٦) البقرة: ٢٦١.

٥. طريق التوبة مفتوح[١].

٦. ابتلاءات المؤمن كفّارة لذنوبه[٢].

٧. الله تعالى يقبل التوبة عن عباده ويبدّل السيئات حسنات، قال تعالى: ﴿... فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[٣].

حالات الإنسان القلبية

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ ما فِي السَّمَاوات وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

- يقول العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) في تفسير الميزان: إن الحالات القلبية للإنسان على نوعين: أحيانًا خطرات، فيحضر إلى الذهن شيء من دون اختيار، ولا يصمم الإنسان عليه شيئًا، وذلك الخطور ليس بذنب؛ لأنها ـ أي: الخطرت ـ خارجة عن سلطة إرادتنا، وأحيانًا تكون حالات روحية تنبع من العمل السيّئ للإنسان وتستقر في أعماق نفسه، فيكون مؤاخذًا عليها ومحاسبًا.

- ومن الممكن أن يكون مراد الآية - من العقوبة على الحالات الباطنية للإنسان - هو إنه إذا كانت ذنوبًا لها جنبة باطنية ومرتبطة بالقلب كالكفر وكتمان الحقّ، لا الموارد التي تعدّ مقدّمة للذنب الخارجي.

المسؤولية عن الفكر

- إن الإنسان مسؤول عن أفكاره ونواياه، وقد جاء هذا الأمر كراراً في القرآن الكريم، ومن ذلك:

---

(١) النساء: ١٨.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ج٨١، ص ١٧٦.

(٣) الفرقان: ٧٠.

(٤) البقرة: ٢٨٤.

١. ﴿يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[١].
٢. ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[٢].
٣. ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[٣].
٤. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[٤].

- يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (... وبما في الصدور تُجازَى العباد)[٥].

زينة الحياة الدنيا

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٦].

أسباب الاغترار بمظاهر الدنيا:

١. أحيانًا تكون بسبب الخيالات والأوهام الشخصية، قال تعالى: ﴿...وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٧]، وقال سبحانه: ﴿فَرَآهُ حَسَنًا﴾[٨].

٢. وأحيانًا تكون بوسوسة الشيطان، قال تعالى: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[٩].

---

(١) البقرة: ٢٢٥.
(٢) البقرة: ٢٨٣.
(٣) الإسراء: ٣٦.
(٤) الإسراء: ٣٦.
(٥) نهج البلاغة، الكلام: ٧٥.
(٦) آل عمران: ١٤.
(٧) الكهف: ١٠٤.
(٨) فاطر: ٨.
(٩) الأنعام: ٤٣.

٣. وأحيانًا أخرى تكون بتشجيع الرفاق، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ﴾[(١)].

ولقد ذُكرت في هذه الآية مصاديق لمظاهر الدنيا وتلألؤها في عيون ناظريها، ولكن بالالتفات إلى زمان نزول الآية يمكن أن تكون لها مصاديق أخرى جديدة، فيكون الذهب والفضة كناية عن الثروة ، والخيل كناية عن المركب ووسيلة النقل.

سؤال: إذا كان الله تعالى قد عدّ المال والبنين زينة؛ حيث قال: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فلماذا ذمّهما في هذه الآية؟

الجواب: كون الشيء هو زينة غير الارتباط والتعلّق به، وهذه الآية تذم التعلّق الشديد الذي جاء التعبير عنه بـ ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾.

صفات المتّقين

قال تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[(٢)].

- إن للمتّقين صفات وخصائص، منها:

١. الصبر على الابتلاءات، والصبر على ترك الذنوب، والصبر على أداء الواجبات.

٢. الصدق في القول والعمل.

٣. الخضوع والتواضع للأوامر الإلهية، ومن دون غرور وتكبّر.

٤. الإنفاق من كل ما رزقهم الله تعالى.

٥. المناجاة في السحر وطلب المغفرة من الله تعالى، نعم، فالسحر أفضل زمان للدعاء.

---

(١) غافر: ٣٧.

(٢) آل عمران: ١٧.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: الاستغفار في السحر الصلاة فيه[١].

وجاء في بعض الروايات: من داوم سنة على الاستغفار في قنوت صلاة الليل كان مشمولاً بهذه الآية[٢].

وقد سأل أبو بصير الإمام الصادق في قوله تعالى: ﴿الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾، فقال الصادق (عليه السلام): كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يستغفر في صلاة الوتر سبعين مرّة[٣].

وعن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك، تفوتني صلاة الليل فأصلّي الفجر، فلي أن أصلي بعد صلاة الفجر ما فاتني من صلاة وأنا في مصلاي قبل طلوع الشمس؟ فقال الإمام (عليه السلام): نعم، ولكن لا تُعلم به أهلك فتتّخذه سُنّة، فيبطل قول الله جل وعزّ: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[٤].

العوامل المؤثّرة في التربية

قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥].

إن من يخطو خطوة في طريق الله تعالى، تتهيأ له الدنيا أيضاً، فقد نَذَرت أم مريم ما في بطنها لله سبحانه، يقول الله في هذ الآية: ﴿وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾، يعني، هيأ لها التربية الجسمية، وكفّلها شخصاً كزكريا وأنزل عليها مائدة من السماء.

---

(١) تفسير مجمع البيان، ج٢، ص٢٠٧

(٢) تفسير أطيب البيان؛ من لا يحضره الفقيه، ج١، ص ٣٠٩.

(٣) تهذيب الأحكام، ج٢، ص ١٢٠.

(٤) مستدرك وسائل الشيعة، ج٣، باب استحباب قضاء صلاة الليل بعد الصبح، أو بعد العصر، ح٢.

(٥) آل عمران: ٣٧.

وليس معنى الرزق بغير حساب أن يكون الرزق من دون حدود ولا مقادير، بل معناه الخروج عن الأطر المعروفة لتقدير الحدود، قال تعالى: (**يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**).

وإن أمًّا مثل مريم (عليها السلام)، ومحل تربية مثل المسجد، ومربّيًا مثل زكريا النبي (عليه السلام)، وغذاءً نازلًا من الجنّة، لا بد أن يثمر مولودًا مثل عيسى (عليه السلام).

من أهمّ العوامل المؤثرة على التربية:

١. الروح الطاهرة للأم، ﴿**تَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ**﴾.

٢. الجسم السالم، ﴿**نَبَاتًا حَسَنًا**﴾.

٣. التعليم والتربية الإلهية، ﴿**كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**﴾.

٤. التغذية الطاهرة، ﴿**وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا**﴾.

وجوب الوفاء بالعهد

قال تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾[١].

- إن الوفاء بالعهد لازم في كلّ الموارد التالية:

أ) العهد الذي أبرمه الله تعالى مع الإنسان بالفطرة أو بالأنبياء (عليهم السلام)، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ...**﴾[٢].

ب) العهد الذي يبرمه الإنسان مع الله سبحانه، قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ...**﴾[٣].

ج) العهد الذي يبرمه الإنسان مع غيره، قال تعالى: ﴿**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا...**﴾[٤].

---

(١) آل عمران: ٧٦.

(٢) يس: ٦٠.

(٣) التوبة: ٧٥.

(٤) البقرة: ١٧٧.

د) عهد القائد مع الأمّة وبالعكس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾[١].

معاصي العلماء

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

- إن ذنوب العلماء ومعاصيهم تُضاعف أضعافا مضاعفة؛ وذلك لأنهم:

أ) يوقعون الناس بالاشتباه، ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾.

ب) يكذبون على الله سبحانه، ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾.

ج) يفعلون ذلك على علم منهم، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

الغلو في أولياء الدين

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[٣].

- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): هلَك فيّ اثنان:

١. الأتباع المفرطون، الذين يرفعوني فوق حدّ البشر.

٢. العدوّ غير المنصف، الذي لا يعتقد بنبّوتي، وأنا بريء منهما[٤].

---

(١) الأنفال: ٥٦.

(٢) آل عمران: ٧٨.

(٣) آل عمران: ٧٩.

(٤) لم نعثر على هكذا حديث، وإنما المشهور هو ما جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (هلك في رجلان محبٌّ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ). نهج البلاغة: ج ٤ ص ٢٨ رقم: ١١٧. (الناشر).

كذلك قال أيضًا: (لا ترفعوني فوق حقّي فإن الله تعالى اتّخذني عبدًا قبل أن يتّخذني نبيًّا) ثم تلا هذه الآية[١].

وقد نبّه النبي عيسى (عليه السلام) أتباعه على ذلك أيضًا، وقد ورد مثل ذلك عن الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة.

عوامل رفع الروح المعنوية

قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

- نظرًا إلى ما يأتي ينبغي أن يكون للمسلمين روح معنوية عالية:

أ) قوله تعالى: ﴿أَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾.

ب) وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾.

ج) وقوله أيضًا: ﴿تِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾.

د) وقوله سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾.

هـ) وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾.

و) وقوله عزّ من قائل: (وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

وعن زرارة عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله: ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، قال: (ما زال مذ خلق الله آدم دولة لله ودولة لإبليس، فأين دولة الله، أما هو إلاّ قائمٌ واحدٌ؟)[٣].

---

(١) تفسير كنز الدقائق، ج٣، ص١٣٦.

(٢) آل عمران: ١٤٠.

(٣) تفسير العياشي، ج١، ح٧٨٤.

الإمهال الإلهي نعمة أم نقمة؟

قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في شأن هذه الآية: (كم من مستدرَج بالإحسان إليه، وكم من مغرور بالستر عليه، وكم من مفتون بحُسن القول فيه، وما ابتلى الله عبداً بمثل الإملاء له...)[2].

انتظار الشكر

قال تعالى: ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

- يمكن أن نقسّم الناس على ثلاث مجموعات، هي:

١. مجموعة يعملون ولا ينتظرون الأجر أو الشكر من أحد، ﴿لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾[4].

٢. مجموعة يعملون ويريدون أن يطّلع الناس على عملهم ليشكروهم، ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾[5].

٣. ومجموعة لم يعملوا ويريدون أن يحمدهم الناس، ﴿يُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ...﴾[6].

---

(١) آل عمران: ١٧٨.

(٢) تحف العقول، ص ٢٠٣.

(٣) آل عمران: ١٨٨.

(٤) الإنسان: ٩.

(٥) النساء: ٣٨.

(٦) آل عمران: ١٧٨.

وهذا من موارد جواز الغيبة، وهو ادّعاء المناقب والمآثر والكمالات كذبًا، ﴿يُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾؛ لذلك فقد منع الإسلام كل أنواع التملّق والتصنّع وحرّمها.

أقسام الصبر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

- توصي هذه الآية بالصبر على المشكلات والابتلاءات وفي عِدّة مراحل:

أ) أمام الشهوات والأهواء، ﴿اصْبِرُواْ﴾.

ب) مقاومة ضغوط الكفّار والصبر عليها، ﴿صَابِرُواْ﴾.

ج) اسعوا إلى حفظ الحدود الجغرافية من هجوم الأعداء، وحفظ الحدود العقدية والفكرية بالمباحث العلمية، وحفظ حدود القلب من هجوم الوساوس، ﴿رَابِطُواْ﴾.

- قال الإمام الصادق (عليه السلام):

((اصبروا على الفرائض)).

((صابروا على المصائب)).

((ورابطوا على الأئمة))[٢].

- وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((اصبروا على الصلوات الخمس، وصابروا على قِتال عدوّكم بالسيف، ورابطوا في سبيل الله لعلّكم تفلحون))[٣].

---

(١) آل عمران: ٢٠٠.

(٢) الكافي، ج٢، ص ٨١.

(٣) الدر المنثور، ج٢، ص ٤١٨.

إفشاء الأسرار

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1].

إن نشر الأخبار السرّية والشائعات بين المسلمين من أشد الأخطار عليهم.

وعادة ما يكون نشر الأخبار السرّية جرّاء البساطة والسطحية، والانتقام، وتوجيه الضربة للآخر، والطمع الماديّ، والتظاهر بامتلاك المعلومات.

ولمّا كان الإسلام دينًا جامعًا، فقد ذكر هذه المسألة، وقد وبّخ في هذه الآية على إفشاء الأسرار العسكرية، وعَدّ نقل أخبار الغَلَبَة والانتصار أو الخسارة قبل أن تُعرض على القادة نتيجة للغرور أو الخوف من الأعداء، ولولا التنبّيهات والألطاف الإلهية، لقعد المسلمون أكثر في هذا المسير الشيطاني، أي إفشاء السرّ.

كيف يخدعنا الشيطان؟

قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[2].

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه لما نزلت الآية ١٣٥ من سورة آل عمران صعد إبليس جبلًا فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيّدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر فقال: مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخناس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكّله بها إلى يوم القيامة[3].

---

(١) النساء: ٨٣.

(٢) النساء: ١٢٠.

(٣) تفسير الصافي، ج١، ص٣٤٩.

إذن وعد الله تعالى ووعد الشيطان الرجيم، ولكن وعد الله حقّ ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾[(١)]، ووعود الشيطان ليست إلا الكذب والخداع ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾.

قيمة الإيمان مع العمل

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾[(٢)].

إن سبب دخول الجنّة ما هو إلا الإيمان والعمل الصالح، لا الادعاء، والأمل، والنسب؛ لأن جميع الناس متساوون في الانتفاع من لطف الله سبحانه، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾.

يكون الأمل بدخول الجنّة عند أداء بعض الأعمال الصالحة؛ ذلك لأن الكمال لا نهاية له، وقدرة كسب الإنسان محدودة، ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾.

المرأة والرجل متساويان في الوصول إلى الكمالات المعنوية، ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾، على خلاف اعتقاد بعض النصارى واليهود[(٣)].

إن الإيمان شرط قبول الأعمال، وإن الأعمال الصالحة لغير المؤمنين تُجازى في هذه الدنيا، وهي لا قيمة لها في الآخرة[(٤)]، وجزاء المؤمن الذي عمل حسنًا الجنّة.

كلمة ((نقير)) تُطلق على ثقب التمر بعد أن ينزع نواه فيضحى وكأنه منقور؛ ولذا الأعمال الصالحة لها قيمتها حتى لو كانت قليلة، ﴿وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾.

---

(١) الحج: ٤٧.

(٢) النساء: ١٢٤.

(٣) تفسير الميزان، ج٥، ص٩٠.

(٤) ينظر تفسير الميزان، ج٥، ص٨٩.

فلسفة الوضوء

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١].

- يقول الإمام الرضا (عليه السلام) عن فلسفة الوضوء:
- ((يكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبّار))
- ((مطيعًا له في ما أمره))
- ((نقيًا من الأدناس والنجاسة))
- ((ذهاب الكسل وطرد النعاس))
- ((وتزكية الفؤاد للقيام))[٢].

الله تعالى أفضل مشرّع

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٣].

- إنّ أفضل قانون ما كان مقننه واجداً للشروط الآتية:

١. أنّ يكون مطّلعًا على كلّ أسرار الوجود في الحاضر والمستقبل.

٢. ليس له أي مصلحة أو هدف انتفاعي.

٣. لا يخطئ ولا يزول أبداً.

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) وسائل الشيعة، ج١، ص ٣٦٧.

(٣) المائدة: ٥٠.

٤. لا يخاف من أي قدرة.

٥. يريد الخير للكلّ.

ولا تتحقق هذه الشرائط إلا عند الله المتعالي؛ لذا يقول القرآن: ﴿... وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾، وكل قانون بشري على خلاف حكم الله، فهو قانون جاهلي ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ... ﴾؛ لأن مثل هذه القوانين توضع - دائمًا - على أساس هوى النفس، والخوف، والطمع، والجهل، والخطأ والخيال، والنقص العلمي.

الأكل في القرآن

قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[1].

- عادة ما جاء الأمر بالأكل ((كلوا)) إلى جانب أوامر أخرى، مثلًا:

١. ﴿كُلُواْ ... وَاشْكُرُواْ﴾[2].

٢. ﴿كُلُواْ ... وَلا تَطْغَوْاْ﴾[3].

٣. ﴿كُلُواْ ... وَاعْمَلُواْ﴾[4].

٤. ﴿كُلُواْ ... وَأَطْعِمُواْ﴾[5].

٥. ﴿كُلُواْ ... وَلا تُسْرِفُواْ﴾[6].

٦. ﴿كُلُواْ ... وَلا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[7].

---

(١) المائدة: ٨٨.

(٢) البقرة: ١٧٢.

(٣) طه: ٨١.

(٤) المؤمنون: ٥١.

(٥) الحج: ٢٨.

(٦) الأعراف: ٣١.

(٧) الأنعام: ١٤٢.

وجاء في الحديث: لقد ضمن الله رزق الناس من الحلال، فمن أقبل على الحرام، فقد نقص سهمه من الحلال[١].

خصائص الحج

قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

إن الاجتماع المليوني للمسلمين في مكّة ومن غير تشريفات وامتيازات ومن دون جدال لفظي ونزاع علمي في مكان مقدّس لهو من خصائص الإسلام، حتى مع حصول بعض المنافع المختلفة على هامش مراسم الحج، من قبيل:

طلب العفو والتحلل من الآخرين عند الذهاب للحج، والتفقّد والزيارة، والتجارة، ودفع الخمس والزكاة، والاطّلاع على المعارف وتعرّف الأمم، والكينونة في أقدم مركز توحيدي، والمناداة مع الأنبياء (عليهم السلام)، ووضع القدم في ما كانوا قد وضعوا أقدامهم فيه، والتوبة في صحراء عرفات والمشعر الحرام، وتذكّر يوم القيامة، المظاهرة السياسية والبراءة من الكفّار، ولو أخذنا ذلك بنظر الاهتمام لعلمنا أن برامج الحج هذه إنما انطلقت من العلم غير المتناهي لله تعالى، المطّلع على كل شيء في نظام الوجود، ولا يمكن لأي علم محدود أن يُصدر قانونًا بمثل هذه الجامعية والجاذبية.

(١) تفسير أطيب البيان.

(٢) المائدة: ٩٧.

الأسئلة التي ينبغي أن لا يُجاب عنها

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[١].

- على المسؤولين أن يُطلعوا عموم الناس على بعض المسائل الحسّاسة التي يعلمونها، كالمسائل الاقتصادية مثل قلة الحنطة أو ... مثلاً.

- الصدق حسنٌ ولكن الصراحة ليست مناسبة دائمًا[٢].

- يجب أن تصنّف الأخبار وتبّوب، (كان جابر الجُعفي يعلم آلاف الأحاديث من الإمام الباقر (عليه السلام)، ولكنه لم يكن له الحقّ في إخبار الناس بها)[٣].

- لا ينبغي أن تُذاع بعض الأخبار في وسائل الإعلام والصحف؛ لأنها في ضرر الناس، (فأحيانًا يكون من اللازم السكوت وعدم البيان ولكن بشكل معقول)، ﴿إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

- يجب على المعلّمين والخطباء - حين الكلام - أن يُراعوا عدد السامعين ومستوياتهم المعرفية.

- ويجب في بعض الموارد - بسبب التقيّة - كتمان بعض العقائد، ولا يُجاب عن بعض الأسئلة، ﴿إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

- وليس للإنسان الحقّ في أن يُفشي أسرار الناس أو أسرار العمل.

---

(١) المائدة: ١٠١.

(٢) بمعنى أنك إذا قلت فقل الصدق لا غير، ولكن ليس كل ما يُعرف يُقال، فعليك بمداراة الناس فلا تذكر لهم كل شيء وإن كان يُسيئهم بحجة قول الصدق، كما لا يصح أن تكذب عليهم بحجة عدم الإساءة لهم، وإنما مقتضى الحكمة الجمع بين الصدق وقول ما هو نافع لهم. (الناشر).

(٣) معجم رجال الحديث، ج ٤، ص ٢٢.

أنواع الأجل والموت في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[1].

لقد حدّد الله تعالى لعمر الإنسان نوعين من الزمان: الأول: حتمي، وحتى لو حافظ الإنسان على نفسه من كل شيء لما منع ذلك من عدم مجيء أجله هنا (كنفط الفانوس)، والآخر: غير حتمي، وهو مرتبط بسلوكنا نحن، كالفانوس الذي فيه نفط ولكنا نضعه في معرض العاصفة.

يقول الإمام الباقر (عليه السلام): ((أجلاً وأجلٌ))[2]، أي إن الأجل أجلان واحد محتوم وقطعي والآخر موقوف أي مشروط ومتعلّق.

وعن ابن عباس أن الله تعالى جعل للإنسان أجلين: الأول من الولادة إلى حين الموت، والآخر من الموت إلى القيامة، فالإنسان وبأعماله ينقص - أحيانًا - من أحدهما ويزيد في الآخر، وعلى هذا فإن نهاية أجل الإنسان لا يمكن تغييرها، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاَّ فِي كِتَابٍ﴾[3].

مصاديق الرحمة في القرآن

قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[4].

- يؤكد القرآن الحكيم على أن رحمة الله سبحانه تشمل كل شيء، قال تعالى: ﴿رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[5]، ولهذه الرحمة مصاديق كثيرة، منها:

---

(١) الأنعام: ٢.

(٢) الكافي، ج١، ص ١٤٧.

(٣) فاطر: ١١.

(٤) الأنعام: ١٢.

(٥) الأعراف: ١٥٦.

١. المطر، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾[١].

٢. الرياح، قال تعالى: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[٢].

٣. الليل والنهار، قال سبحانه: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[٣].

٤. النبي، قال عزّ من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٤].

٥. القرآن، قال (عزّ وجل): ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾[٥].

٦. التوراة، قال تعالى: ﴿كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾[٦].

٧. الحريّة، قال سبحانه: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾[٧].

٨. العلاقة الزوجية، قال جل ذكره: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[٨].

٩. النباتات والفاكهة، قال عزّ من قائل: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا...﴾[٩].

١٠. قبول التوبة، قال سبحانه: ﴿لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[١٠].

مصير الإنسان مقرون بعمله

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[١١].

---

(١) الشورى: ٢٨.

(٢) الأعراف: ٥٧.

(٣) القصص: ٧٣.

(٤) الأنبياء: ١٠٧.

(٥) الجاثية: ٢٠.

(٦) الجاثية: ٢٠.

(٧) الأعراف: ٧٢.

(٨) الروم: ٢١.

(٩) الروم: ٥٠.

(١٠) الزمر: ٥٣.

(١١) الأنعام: ١٠٤.

لهذه الآية مشابهات كثيرة في القرآن الكريم، فنتيجة الإيمان والكفر، والصالحات والسيئات، والبصيرة وعمى القلب تعود للإنسان نفسه، ومن جملة ذلك:

١. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[١].

٢. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[٢].

٣. ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[٣].

آداب الدعاء وشروطه

قال تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤].

- جاء بين أمري ((ادعوا)) في الآية السابقة: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٥][٦]، وهذه الآية: ﴿وَادْعُوهُ﴾ جاءت جملة: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾، للإشارة إلى أنه يجب أن يكون الدعاء اللساني مرافقًا للسعي لطلب الإصلاح في المجتمع، لا أن يكون باللسان الدعاء وبالعمل الإفساد.

- لقد طُرح في هذه الآية والتي قبلها شروط كمال الدعاء وآدابه وظروف استجابته، وهي عبارة عن:

أ) ينبغي أن يكون الدعاء مصحوباً بالتضرّع، ﴿تَضَرُّعًا﴾.

ب) ينبغي أن يكون الدعاء مخفيًا وخالصًا من الرياء، ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

ج) ينبغي أن يكون الدعاء من دون تجاوز حدود الحقّ، ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

د) ينبغي أن يكون الدعاء مقترنًا بالخوف والأمل، ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) فصّلت: ٤٦.

(٣) الإسراء: ٧.

(٤) الأعراف: ٥٦.

(٥) الأعراف: ٥٥.

(٦) تضرّعاً، أي: تذللاً، وخفية، أي: سراً؛ تحصيلاً للخشوع وابتعادا عن الرياء. (الناشر).

و) ينبغي أن يكون الدعاء مصحوبًا بالعمل الصالح، ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾.

أسرار الأربعين

قال تعالى: **﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾**[1].

- يكمن في ((الأربعين)) والعدد أربعين أسرار كثيرة، كما أن لهذا العدد موقعًا خاصًا في ثقافة الأديان والروايات الإسلامية، حيث إنه:

١. في زمان النبي نوح (عليه السلام) استمر المطر أربعين يومًا عذابًا على الكفار.

٢. تيه قوم موسى (عليه السلام) كان أربعين سنة في الصحراء.

٣. خلوة النبي (صلى الله عليه وآله) عن السيدة خديجة أربعين يومًا للاعتكاف، إلى أن نزل الطعام من السماء فكان مقدّمة لولادة الزهراء عليها السلام.

٤. بعثة نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) كانت في سن الأربعين.

٥. للإنسان قابلية الكمال الروحي والمعنوي حتى سن الأربعين، وأما بعدها فيكون طلب الكمال صعبًا عليه.

٦. إخلاص الإنسان العمل لأربعين صباحًا سبب لجريان الحكمة من القلب على اللسان.

٧. جاء التركيز على قراءة بعض سور القرآن والدعاء ببعض الأدعية أربعين مرّة للفرج ورفع البلاء.

٨. عدم قبول بعض الأعمال - كالصلاة مثلاً - لأربعين يومًا بسبب بعض الذنوب.

٩. شهادة أربعين مؤمنًا للمرء سبب للغفران الإلهي[2].

---

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) سفينة البحار، ج١، ص٥٠٤ - ٥٠٥.

كذلك كتبت بعض الكتب استناداً إلى محورية العدد أربعين، ككتاب الأربعين حديثًا[١].

أسباب الانحراف

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ﴾[٢].

- أهم أسباب الانحراف:

١. انتقاء القائد أو غيابه.

٢. الجهل وعدم وعي الناس.

٣. العلماء والفنّانون المنحرفون، والاستفادة السيئة من العلم والفن.

٤. الجَمال والبهرجة الظاهرية.

٥. الإعلام والتطبيل الكاذب.

أنواع التحريف

قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾[٣].

- يطرح القرآن الكريم ثلاثة أنواع من التحريف للقانون الإلهي:

١. تغيير الألفاظ، مثل ما فعله بنو إسرائيل، فبدل أن يقولوا كلمة ((حطّة)) يعني طلب المغفرة والعفو، كانوا يقولون ((حنطة)).

٢. تغيير الزمان، كما فعل بنو إسرائيل في بنائهم الأحواض في البحر واجتماع السمك فيها يوم السبت - وحيث كان محرّمًا عليهم الصيد في السبت كانوا

---

(١) تفسير الفرقان،ج٩، ص٢٧٦، والأربعين في الثقافة الإسلامية للسيد رضا نقوي.

(٢) الأعراف: ١٤٨.

(٣) الأعراف: ١٦٢.

يصطادونها يوم الأحد - وكانوا يقولون: نحن لم نكن نصطاد يوم السبت، فأخبر عنهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾[١].

٣. التغيير المستحدث للتقويم الطبيعي، مثل تأخير الأشهر الحرم في الجاهلية لمواصلة الحرب؛ لأنهم لم يكونوا يريدون أن ينهوا الحرب بسبب حلول الأشهر الأربعة الحرم، فكانوا يؤخّرونها فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[٢].

أشكال وسوسة الشيطان

قال تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ﴾[٣].

أحيانًا تكون وسوسة الشيطان من بعيد ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾[٤]، وأحيانًا أخرى تكون بالنفوذ في النفس ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[٥]، وأحيانًا ثالثة تكون بالرفيق ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٦]، ورابعة تكون بالمس ﴿مَسَّهُمْ﴾.

أنواع قرّاء القرآن الكريم

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٧].

قال الإمام الباقر (عليه السلام): ((قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتّخذه بضاعة، واستدرّ به الملوك، واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه، وضيّع حدوده، وأقامه إقامة القدح، فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن، ورجل قرأ القرآن

---

(١) البقرة: ٦٥.

(٢) البقرة: ٦٥.

(٣) الأعراف: ٢٠٢.

(٤) طه: ١٢٠.

(٥) الناس: ٥.

(٦) الزخرف: ٣٦.

(٧) الأعراف: ٢٠٤.

فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله، وأظمأ به نهاره، وقام به في مساجده، وتجافى به عن فراشه، فبأولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلاء، وبأولئك يديل الله (عزّ وجل) من الأعداء، وبأولئك ينزل الله (عزّ وجل) الغيث من السماء، فوالله لَهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر))[١].

تشبيهات القرآن لمن لا يقبل الحقّ

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٢].

لقد شبّه القرآن من لم يقبل تربية الأنبياء الإلهية، ومن لم يسلّموا قلوبهم للحقّ تشبيهات مختلفة، منها:

١. تشبيههم بالأموات، كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾[٣].

٢. تشبيههم بالأنعام، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ﴾[٤]، وقوله: ﴿يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾[٥].

٣. تشبيههم بأضل من الأنعام، كما في قوله سبحانه: ﴿كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[٦].

٤. تشبيههم بشرّ الدواب، كما في قوله سبحانه: ﴿شَرَّ الدَّوَابِّ﴾[٧].

---

(١) الكافي، ج٢، ص ٦٢٧.

(٢) الأنفال: ٢٢.

(٣) الروم: ٥٢.

(٤) الأعراف: ١٧٩.

(٥) محمّد: ١٢.

(٦) الأعراف: ١٧٩.

(٧) الأنفال: ٢٢.

معيار معرفة الحقّ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[١].

- متعدّدة هي وسائل معرفة الحقّ من الباطل، ومن جملتها:

أ) الأنبياء والأولياء، كما أطُلق على نبينا الأكرم لقب ((الفاروق))[٢]، أو ما جاء في الحديث: ((مَن فارق عليًا فقد فارق الله))[٣].

ب) الكتاب السماوي، حيث يمكن تشخيص الحقّ عن الباطل بعرض الأمور عليه.

ج) التقوى؛ إذ إن عاصفة الغرائز والحبّ والبغض إن رافقت عدم التقوى فسيكون ذلك مانعًا من درك الحقائق.

د) العقل؛ حيث لا يمكن من دونه اتباع الوحي.

بركات وجود أولياء الله تعالى

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٤].

جاء في الأحاديث أن الله تعالى يرفع العذاب عن الناس لوجود بعض الأشخاص الطاهرين والعلماء الربّانيين، كما جاء في قصة عذاب قوم لوط وقول إبراهيم (عليه السلام) للملائكة: ((إن فيها لوطًا))، يعني، هل مع وجود هذا الرجل الربّاني في تلك

---

(١) الأنفال: ٢٩.

(٢) تفسير الفرقان، ج١٢، ص١٩٠.

(٣) محلقات إحقاق الحقّ، ج٤، ص ٢٦.

(٤) الأنفال: ٣٣.

المنطقة تُهلكونها؟ فقال له الملائكة: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[١].

أو قول أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله): ((كان في الأرض أمانان من عذاب الله، وقد رُفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسّكوا به، أمّا الأمان الذي رُفع فهو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأما الأمان الباقي فالاستغفار...))[٢].

ومثل ذلك قول الإمام الرضا (عليه السلام) لزكريا بن آدم القمي حين قال عنده: يا سيدي إني أريد الخروج عن أهل بيتي، فقد كثرت السفهاء، فقال: ((لا تفعل، فإن البلاء يدفع بك عن أهل قم، كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم (عليه السلام)))[٣].

وقول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): ((إن لكم في حياتي خيراً، وفي مماتي خيرا، قال الراوي: فقيل: يا رسول الله أمّا حياتك فقد علمنا فما لنا في وفاتك؟ فقال: أمّا في حياتي فإن الله (عزّ وجل) يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾، وأمّا في مماتي فتعرض عليّ أعمالكم فأستغفر لكم))[٤].

أسلوب التعامل مع أصحاب الفتنة

قال تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[٥].

- سئل الإمام علي (عليه السلام): لماذا تعقّبت من فرّ من حرب صفين، ولم تتعقّب من فرّ من الجمل؟

---

(١) العنكبوت: ٣٢.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة: ٨٨.

(٣) بحار الأنوار، ج٥٧، ص٢١٧.

(٤) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص١٥١.

(٥) التوبة: ١٢.

فقال (عليه السلام): كان قائد الكفر حيًّا في صفين، وسيجتمع الفارّون حوله، ويعيدون تشكيل صفوفهم ويهجمون علينا مجدّداً، ولكن في الجمل لم يكن لهم قائد بعد مقتله وبالتالي فلن يعيدوا تشكيل صفوفهم.

- وعن الإمام الصادق (عليه السلام): من تعدّى على دينكم فهو كافر، ثم تلا هذه الآية[١].

نعم، يجب التعامل بشدّة مع من يهين المقدّسات الدينية، ويجب أن يكون استئصال رأس الفتنة ومركز تشكيلات العدو على رأس الأولويات حين محاربتهم.

مراحل السير والسلوك

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ**﴾[٢].

- لقد طُرحت في هذه الآية أربع مراحل للسير والسلوك، هي:

١. الرضى والتسليم بالتقدير الإلهي، ﴿**رَضُوا۟ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ**﴾.

٢. إظهار الرضى باللسان، ﴿**قَالُوا۟ حَسْبُنَا اللَّهُ**﴾.

٣. الأمل بالفضل والكرم الإلهي، ﴿**سَيُؤْتِينَا...**﴾.

٤. عدم الالتفات إلى الدنيا رغبة في الله تعالى، ﴿**إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ...**﴾.

أذى النبي (صلى الله عليه وآله)

قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا۟ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[٣].

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص١٩٠.

(٢) التوبة: ٥٩.

(٣) التوبة: ٦١.

- قال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه): ((من آذاني في عترتي فعليه لعنة الله)).

وقال في حقّ فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام): ((من آذاها فقد آذاني))[١].

إن من صفات القائد البصير سعة الصدر، والإنصات لكلام كل الفئات، والتعامل معهم برأفة، وستر العيوب، والعفو عن زلات الناس.

نعم ليس السكوت على ما يسمع علامة على الرضى دائمًا.

هذا فضلاً عن وجوب حماية المظلوم، فلقد بيّن الله تعالى أربع فضائل للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه) في موقفه ممن آذاه لما قالوا عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه) أنه ((أذن))، فقال تعالى: ﴿**أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ**﴾، وقال: ﴿**يُؤْمِنُ بِاللهِ**﴾، وقال سبحانه: ﴿**يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾، وقال أيضًا: ﴿**رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُواْ**﴾.

نسيان النفس

قال تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[٢].

سؤال: لمّا كان الله لا ينسى لقوله سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾[٣]، إذن فما معنى ما جاء في هذه الآية حيث قال تعالى: (فَنَسِيَهُمْ)؟

الجواب: إن نسبة النسيان إلى الله تعالى نسبة مجازية، يعني إن الله يتعامل مع أولئك كما لو كان قد نسيهم لا أنه نسيهم فعلًا.

وقد قال الإمام الرضا (عَلَيهِ السَّلَام): ((... إنما يُجازي [الله] من نسيه ونسي لقاء يومه بأن يُنسيهم أنفسهم...))[٤].

---

(١) ملحقات إحقاق الحقّ، ج١٨، ص ٤٥٨ و ١٣٩.

(٢) التوبة: ٦٧.

(٣) مريم: ٦٤.

(٤) معاني الأخبار: ص ١٤ ح ٥؛ تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٢٣٩.

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (يعني نسوا الله في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة، أي: لم يجعل لهم من ثوابه شيئا ، فصاروا منسيين من الخير)[1].

وإن إشاعة الفاحشة والدعوة إلى المنكرات والنهي عن الصالحات لعلامة على النفاق.

وإن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإنفاق في سبيل الله لعلامة على نسيان الله.

أهل الإيمان وأهل النفاق

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

بالالتفات إلى المقارنة بين الآيات ٦٧ و ٦٨ والآيات ٧١ و ٧٢ فإنه يضحى مشخّصًا حالات المؤمنين عند مقارنتها بحالات المنافقين، ومنها:

١. أهل النفاق ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، وأما أهل الإيمان فـ ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

٢. أهل النفاق ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾، وأما أهل الإيمان فـ ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

٣. أهل النفاق ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾، وأما أهل الإيمان فـ ﴿يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾.

٤. أهل النفاق (يقبضون أيديهم﴾، وأما أهل الإيمان فـ ﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.

٥. أهل النفاق ﴿فَاسِقُونَ﴾، وأما أهل الإيمان فـ ﴿يُطِيعُونَ اللَّهَ﴾.

---

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ٣٥٩ ؛ تفسير البرهان، ج٤، ص٣٠١.

(٢) التوبة: ٧٢.

٦. وعد الله أهل النفاق ﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾، وأما أهل الإيمان فوعدهم ﴿جَنَّاتٍ، مَسَاكِنَ﴾.

٧. أهل النفاق ﴿لَعَنَهُمُ اللّهُ﴾، وأما لأهل الإيمان ففي ﴿رِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ﴾.

٨. لأهل النفاق ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، وأما لأهل الإيمان فـ ﴿فَوْزٌ عَظِيمٌ﴾.

آفة طلب الزيادة

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[١].

- قيل: نزلت في ثعلبة بن حاطب وكان من الأنصار، قال للنبي صلى الله عليه وآله: ادع الله أن يرزقني مالا، فقال (ﷺ): يا ثعلبة قليل تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه، أمالك في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ، والذي نفسي بيده لو أردتُ أن تسير الجبال معي ذهبًا وفضه لسارت.

ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالًا، والذي بعثك بالحقّ لئن رزقني مالًا لأعطين كل ذي حقّ حقّه، فقال (ﷺ): اللهم ارزق ثعلبة مالا.

قال: فاتخذ غنمًا فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة، فتنحى منها فنزل واديًا من أوديتها، ثم كثرت حتى تباعد عن المدينة، فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله المصدق ليأخذ الصدقة فأبى وبخل، وقال: ما هذه إلا أخت الجزية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة، فأنزل الله (عزّ وجل) الآيات[٢].

يقول الفخر الرازي: إن ثعلبة ندم على فعله وجاء بزكاته إلى النبي (ﷺ) ولكن النبي لم يقبلها.

---

(١) التوبة: ٧٥ - ٧٦.

(٢) تفسير نور الثقلين،ج٢، ص٢٤٦.

نعم، إن الإنسان لا يعلم في أي شيء يكمن صلاحه وخيره؛ لذا فأحيانًا يريد شيئًا بإصرار ولكن ذلك بضرره. إذن يجب القبول بما يقسم الله سبحانه وتعالى.

يد الفقير يد الله

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[1].

- كان النبي (ﷺ) يأخذ الزكاة بأمر الله تعالى، ولكن في الحقيقة فإن الله هو الآخذ، وذلك نظير ما في آية المبايعة، وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ**﴾[2].

- كان بعضهم قد تخلّف عن الاشتراك في غزوة تبوك وبعد الحرب جاء إلى النبي (ﷺ) وطلب منه العفو والتوبة، فتقول هذه الآية: إن من يقبل التوبة هو الله لا غيره، وإن قابل الصدقات والزكاة التي تُعطى للنبي أو الإمام في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى.

إن رسول الله (ﷺ) لا حقّ له في قبول التوبة فما بالك بقساوسة الكنيسة وأربابها؟

- قال الإمام الصادق (عليه السلام) في الصدقة: ((... إن الله (عزّ وجل) يأخذها قبل أن تقع في يد السائل، كما قال الله (عزّ وجل): ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ**﴾))[3].

إذن علينا أن نعطي أفضل ما عندنا بشوق وبأفضل أسلوب.

---

(١) التوبة: ١٠٤.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) الخصال: ٦١٩؛ تفسير البرهان،ج٤، ص٣٢٢.

لا ضرر ولا ضرار

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(١).

- إن كل ضرر - وبمختلف أنواعه - ممنوع في الإسلام، ((لا ضرر ولا ضرار في الإسلام))(٢)، ومن جملة ذلك:

أ) الأضرار الروحية، ﴿لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(٣).

ب) الإضرار بالناس، ﴿وَلا تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(٤).

ج) الإضرار بالزوج، ﴿لا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾(٥).

د) الإضرار بالولد، ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾(٦).

هـ) الإضرار بالورثة، ﴿... مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ...﴾(٧).

و) التعاليم المضرّة، ﴿يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ﴾(٨).

ز) الضرر في المعاملات، ﴿وَلا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾(٩).

ح) الضرر بالدين والوحدة، ﴿اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾.

---

(١) التوبة: ١٠٧.

(٢) وسائل الشيعة، ج٢٦، ص ١٤.

(٣) البقرة: ١٨٥.

(٤) المائدة: ٢.

(٥) الطلاق: ٦.

(٦) البقرة: ٢٣٣.

(٧) النساء: ١٢.

(٨) البقرة: ١٠٢.

(٩) البقرة: ٢٨٢.

التقوى مِلاك القيمة

قال تعالى: ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[١].

- إن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد ((قبا))، وكان قد بُني بعد الهجرة إلى المدينة[٢].

- ونقل الفخر الرازي قولًا يربط الآية بإمامة الإمام علي، وهو: (بيَّن الله تعالى أن المسجد الذي بني من أول الأمر على التقوى أحق بالقيام فيه من المسجد الذي لا يكون كذلك، وثبت أنَّ عليًا ما كفر بالله طرفة عين، فوجب أن يكون أولى بالقيام بالإمامة ممن كفر بالله في أول أمره)[٣].

- ليست العبادة منعزلة عن سياسة الله، فلا ينبغي تقوية الباطل حتى ولو كان ذلك بالصلاة نفسها؛ وعليه فلا ينبغي لنا أن نقوم للصلاة بمسجد اتخذ منه المخالفون للنظام الإسلامي مقراً لهم.

- إن قيمة أي شيء مرتبطة بأهداف مؤسّسه وباعثه على العمل ونيّته لذلك.

وإن قيمة الأمكنة مرتبطة بالأشخاص الذين يتردّدون عليها، كما وإن قيمة المسجد بمن يقوم ويُصلي فيه.

رسول الرحمة

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

---

(١) التوبة: ١٠٨.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٢٦٧.

(٣) تفسير الفخر الرازي، ج١٦، ص١٥٥.

(٤) التوبة: ١٢٨.

لم يُطلق الله تعالى على أي أحد من أنبيائه (عليهم السلام) اسمين من أسمائه سبحانه إلا على نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث أشار له (عليه وآله الصلاة والسلام) بـ ((رَؤُوفٌ، رَّحِيم)).

- إن الالتفات إلى صفات القادة الإلهيين التي طُرحت في هذه الآية ومقارنة ذلك بصفات القادة البشر، من شأنه أن يُبيّن لطف الله تعالى بالبشر ولزوم الطاعة المطلقة لهؤلاء القادة.

١. رسول الله بُعث من الناس أنفسهم، ﴿مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

٢. رسول الله مغموم بسبب قلّة إيمان أُمّته، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.

٣. على القادة الإسلاميين أن يشاركوا الناس في صعابهم ومشكلاتهم، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.

٤. كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) متفانيًا في هداية الأمة وإرشادها، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾.

٥. إن من عوامل التأثير في الآخرين: النصيحة، والشفقة، والرحمة، وعدم انتظار الشكر منهم، والتواضع، (عَزِيزٌ عَلَيْهِ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ، رَؤُوفٌ رَحِيمٌ).

٦. إن القائد الإسلامي رؤوف رحيم بالمؤمنين فقط، لا بالكلّ، وهو على الأعداء شديد غليظ، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

أسباب الدخول في جهنّم

قال تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1].

- من أسباب الدخول في جهنّم:

أ) إنكار المعاد والثواب الأخروي، قال تعالى: ﴿لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾.

ب) الرضى بالدنيا الفانية، قال تعالى: ﴿رَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

ج) الغفلة عن الآيات الإلهية، قال عزّ وجل: ﴿هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾.

(١) يونس: ٨.

د) العمل غير الصالح، قال تعالى: (بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

درسان عظيمان

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[١].

- يقول الإمام الصادق (عليه السلام): نتعلّم من آيتين من القرآن الكريم درسين عظيمين:

أ) لا نتكلّم حتى نعلم، ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾[٢].

ب) لا نردّ كلامًا حتى نعلم[٣]، ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ﴾.

أتباع النبي والأئمة (عليهم السلام)

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٤].

- لقد وصلتنا الكثير من الروايات عن النبي والأئمة (عليهم السلام) كان فيها هذه العبارة ((ليس منّا))، نشير لبعضٍ منها[٥]:

١. عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: ((مَن غشّ مسلمًا فليس منّا)).

٢. وعنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: ((مَن أكرمه الناس اتّقاء شرّه فليس منّي)).

٣. وفي حديث آخر قوله: ((مَن أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)).

---

(١) يونس: ٣٨.

(٢) الأعراف: ١٦٩.

(٣) تفسير مجمع البيان، ج٥، ص١٤٥.

(٤) هود: ٤٦.

(٥) وقد جاءت أغلب هذه الروايات في كتاب سفينة البحار، ج٢، ص ٣١٨ – ٦٩١.

سؤال: جاء في الآية ١٠ من سورة التحريم قوله تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا**...)، فامرأة نوح كانت خائنة، وجاء هنا قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ**﴾، أفلا يُستفاد من هاتين الآيتين أن ابن نوح كان ابن زنا؟

الجواب: أولاً: إن المراد من خيانة امرأة نوح إفشاء الأسرار وإعانة الكفّار، لا أمر آخر[1].

ثانيًا: إن سبب عدم كون ابن نوح من أهله - في هذه الآية - هو عمل ابن نوح غير الصالح، لا شيء آخر.

بقية الله في القرآن

قال تعالى: ﴿**بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**﴾[2].

جاءت كلمة ((بقية الله)) في هذه الآية بمعنى الربح المتبقّي للإنسان الناتج من مشروع أو استثمار حلال استشهاداً كاملاً ومرضيًا عند الله سبحانه.

ولكن معناه على حسب ما جاءت به الروايات هو كل وجود مبارك يبقى للبشرية بإرادة الله تعالى، ويُطلق ((بقية الله)) أيضًا على كل جندي مؤمن رجع من الحرب منتصراً؛ لأنه يعدّ باقيًا بإرادة الله سبحانه، وأيضًا يُقال للإمام صاحب العصر والزمان (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، بقية الله؛ لأنه تعالى حفظ هذا الوجود الشريف وادّخره لهداية البشرية جمعاء.

---

(١) روي عن ابن عباس أنه قال: (ما زنت أمرأة نبي قط، وكانت الخيانة من امرأة نوح أنها كانت تنسبه إلى الجنون). بحار الأنوار، ج ١١ ص ٣١٤. وفي خبر آخر عن ابن عباس أيضًا، أنه قال: (ما بغت امرأة نبي قط)، قال الطبري: (كانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها). تفسير الطبري: ج ٢٨ ص ٢١٧ رقم: (٢٦٧١١). والقرآن يدفع هذه التهمة بقوله تعالى: ﴿... **وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ**...﴾ (هود: ٤٢)، فسماه ابنه لكونه ولدًا شرعيًا. (الناشر).

(٢) هود: ٨٦ .

وجاء في الروايات أن أحد الألقاب المباركة التي تُطلق على الإمام الحجّة (عليه السلام) هو بقية الله[١]، ونحن نسلّم عليه بهذا الاسم حيث نقول: ((السلام عليك يا بقية الله في أرضه)).

وعندما يخرج (عجل الله فرجه) في مكّة، سيتلو هذه الآية ويقول: ((أنا هو بقية الله)).

كذلك يُطلق على سائر المعصومين (عليهم السلام) بقية الله[٢].

وصية للآمرين والناهين

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٣].

- لقد أوصت هذه الآية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بهذه الأمور:

١. أن يكون من أهل العمل، ﴿مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾.

٢. أن يكون هدفه إصلاح المجتمع، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ﴾.

٣. أن يؤمن بأن توفيقه من الله تعالى، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ﴾.

٤. أن يتوكّل على الله دائمًا، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾.

٥. ويلجأ إليه تعالى في كل مشكلاته، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

فلسفة الخَلق

قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٤].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص ٢٥٩.

(٢) تفسير كنز الدقائق، ج٦، ٢٢٥.

(٣) هود: ٨٨.

(٤) هود: ١١٩.

- لقد طُرحت فلسفة خلق الإنسان في الآيات القرآنية بعنوانات مختلفة، فنحن نقرأ في أحدها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، وفي موضع آخر: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[٢]، وجاء في الآية محل البحث: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، أي، وخلقنا الإنسان لنرحمه.

وربما يتراءى حسب الظاهر أن فلسفة خلق الإنسان ثلاثة أمور مختلفة، يعني: العبادة، والابتلاء، والرحمة، ولكن بتدقيق النظر قليلًا نفهم أن هذه الأمور الثلاثة تعود إلى نقطة مشتركة واحدة هي التكامل الروحي والمعنوي للإنسان.

- لقد جاء في الآية السابقة أن الإنسان حر، ويقول تعالى في آخر هذه الآية: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ويُفهم من الجمع بين هاتين الآيتين أن الإنسان حرٌّ في اختيار الطريق، ولكنه بسبب اختياره لطريق الباطل يكون من أهل جهنّم.

- يقول الإمام الصادق (عليه السلام): ((خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمة الله فيرحمهم))[٣].

أنواع البكاء

قال تعالى: ﴿وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ﴾[٤].

- عندنا في القرآن أربعة أنواع من البكاء والدموع:

١. دموع الشوق، وهو ما جاء في قوله تعالى حكاية عن بعض النصارى: ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾[٥].

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الملك: ٢.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٤٠٤، توحيد الصدوق، ص ٤٠٣.

(٤) يوسف: ١٦.

(٥) المائدة: ٨٣.

٢. دموع الحزن والحسرة، وهو ما حكاه الله تعالى عن بعض المسلمين في قوله (عزّ وجل): ﴿تَفِيضُ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[1].

٣. دموع الخوف، وهو ما حكاه الله سبحانه عن بعض أولياءه في قوله: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[3].

٤. الدموع الكاذبة والمصطنعة، وهو ما حكاه الله تعالى في هذه الآية عن أخوة يوسف لما جاؤوا عند أبيهم يعقوب (عليه السلام) وهم يبكون لزعمهم أن الذئب قد أكل يوسف (عليه السلام) حيث قال: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾.

أعمال كبيرة ومأمورون صغار

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[4].

- أحيانًا يُتم الله تعالى بعض الأعمال الكبيرة ببعض الأمور الصغيرة، مثلًا:

١. تحطيم الله تعالى جيش إبرهة بطير أبابيل.

٢. حفظ حياة نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) ببيت العنكبوت.

٣. تعليم دفن الميّت بعمل الغراب.

٤. إثبات عفّة مريم (عليها السلام) بكلام المولود.

٥. إثبات طهارة يوسف (عليه السلام) بشَق قميصه.

٦. إيمان دولة كاملة بسبب الهدهد.

٧. كشف أصحاب الكهف بقطعة نقود.

---

(١) التوبة: ٩٢.

(٢) مريم: ٥٨.

(٣) الإسراء: ١٠٩.

(٤) يوسف: ٢٨.

شروط المدير الكفوء

قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[١].

- شروط المدير الكفوء في المجتمع:

١. اعتماد الناس، ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

٢. الصدق، ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾.

٣. العلم، ﴿عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

٤. البصيرة، أو التوقّع الصحيح، ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾.

٥. طاعة الناس؛ لأن الناس نفّذوا اقتراح يوسف (عليه السلام).

ملاك الاختيار

قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

- لقد بيّن القرآن الكريم معايير لاختيار الأشخاص، منها:

١. الإيمان، قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ﴾[٣].

٢. السابقة، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٤].

٣. الهجرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[٥].

---

(١) يوسف: ٤٨ - ٤٩.

(٢) يوسف: ٥٥.

(٣) السجدة: ١٨.

(٤) الواقعة: ١٠ - ١١.

(٥) الأنفال: ٧٢.

٤. القدرة الجسمية والعلمية، قال تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[١].

٥. أصالة النسب، قال تعالى حكاية عن قول بني إسرائيل لمريم (عليها السلام): ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾[٢].

٦. الجهاد، قال تعالى: ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣].

القرآن ذكر إلهي

قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[٤].

- إن القرآن ذكر؛ لأنه:

١. تذكّر للآيات والنعم والصفات الإلهية.

٢. تذكّر ماضي الإنسان ومستقبله.

٣. تذكّر أسباب سقوط الأمم وعزّتها.

٤. تذكّر عرصة القيامة.

٥. تذكّر عظمة الوجود.

٦. تذكّر تاريخ الأشخاص الذين صنعوا التاريخ وتذكر حياتهم.

الزوجية في نظام الخليقة

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥].

- لقد أسّس نظام الخليقة على أساس الزوجية:

---

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) مريم: ٢٨.

(٣) النساء: ٩٥.

(٤) يوسف: ١٠٤.

(٥) الرعد: ٣.

أ) فالزوجية موجودة في النباتات، قال تعالى: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[١].

ب) والزوجية في الحيوانات، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾[٢].

ج) والزوجية في الإنسان، قال سبحانه: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾[٣].

د) والزوجية في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا أَزْوَاجًا﴾[٤].

الباطل كالزَّبَد

قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾[٥].

- لقد ذُكر في هذه الآية مثالان لبيان الباطل، الأول مثال الزَبَد الذي يطفو على سطح الماء، والثاني الزَبَد الذي يغطّي المعادن حين ذوبانها.

- إن الباطل كالزَبَد الذي يطفو على سطح الماء؛ لأنه:

١. زائل.

٢. يظهر في ظل الحقّ.

٣. يغطّي الحقّ.

٤. له بريق، ولكنه لا قيمة له، لا يروي العطشان ولا يُنبت النباتات.

٥. يذهب بمجرّد هدوء الماء.

---

(١) الحج: ٥.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) الشورى: ١١.

(٤) الذاريات: ٤٩.

(٥) الرعد: ١٧.

٦. له الكثير من الضوضاء ولكنه فارغ ومن دون محتوى.

كما إنه جاء التأكيد في آيات أخرى على هذا الأمر:

١. قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾[1].

٢. وقال سبحانه: ﴿يَمْحُو اللهُ الْبَاطِلَ﴾[2].

٣. وقال عزّ من قائل: ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[3].

٤. وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[4].

٥. وقال تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾[5].

درجات الإنفاق

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[6].

- للإنفاق درجات:

١. الخطوة الأولى، الإنفاق من الفضل والنعم الإلهية، قال تعالى: ﴿أَنْفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾[7].

٢. الخطوة الثانية، الإنفاق من الكسب الحلال، قال تعالى: ﴿أَنْفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[8].

---

(١) الأنبياء: ١٨.

(٢) الشورى: ٢٤.

(٣) سبأ: ٤٩.

(٤) الإسراء: ٨١.

(٥) الإسراء: ٨١.

(٦) الرعد: ٢٢.

(٧) البقرة: ٢٥٤.

(٨) البقرة: ٢٦٧.

٣. الخطوة الثالثة، الإنفاق مما يُحب الشخص، قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(١).

٤. الخطوة الرابعة، الإيثار، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(٢).

آثار ذكر الله تعالى وبركاته

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(٣).

- لذكر الله تعالى بركات كثيرة، منها:

١. ذكر نعمه سبحانه سبب لشكره تعالى.

٢. ذكر قدرته سبب للتوكّل عليه تعالى.

٣. ذكر ألطافه سبب لمحبّته تعالى.

٤. ذكر قهره وغضبه سبب للخشية والخوف منه تعالى.

٥. ذكر عظمته سبب لخشيته تعالى.

٦. ذكر علمه بما خفي وما ظهر سبب للحياء منه تعالى.

٧. ذكر عفوه وكرمه سبب للأمل والتوبة.

٨. ذكر عدله سبب للتقوى.

أقسام الناس

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾(٤).

- إن الناس على أربعة أقسام:

---

(١) آل عمران: ٩٢.

(٢) الحشر: ٩.

(٣) الرعد: ٢٨.

(٤) الرعد: ٢٨.

١. المؤمنون، الذين يؤمنون وأعمالهم صالحة.

٢. الكافرون، الذين لا إيمان ولا عمل صالح لهم.

٣. الفاسقون، الذين يؤمنون ولكن أعمالهم غير صالحة.

٤. المنافقون، الذين لا إيمان لهم ولكنهم يتظاهرون بالصلاح.

عذاب الآخرة

قال تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ﴾[1].

- عذاب الآخرة أشقّ؛ ذلك للأسباب الآتية:

أ) في القيامة تنقطع الأسباب والوسائل، ﴿تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[2].

ب) لا أنساب هناك، ﴿فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾[3].

ج) لا تقبل الفدية، ﴿... يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلاَّ...﴾[4].

د) لا فائدة للاعتذار، ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾[5].

هـ) هناك يتفرّق الأصحاب، ﴿لا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾[6].

و) ذلك اليوم خالد وأبدي، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾[7].

ز) لا يُخفف فيه العذاب، ﴿لا يُخَفَّفُ﴾[8].

---

(١) الرعد: ٣٤.

(٢) البقرة: ١٦٦.

(٣) المؤمنون: ١٠١.

(٤) المعارج: ١١ - ١٦.

(٥) غافر: ٥٢.

(٦) المعارج: ١٠.

(٧) البقرة: ١٦٢.

(٨) البقرة: ١٦٢.

ح) عذاب ذلك اليوم روحي وجسمي أيضًا، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[١].

مراحل انحراف الكفّار

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾[٢].

إن الكفّار يطوون ثلاث مراحل: الأولى، هي أنهم ينحرفون بطلبهم للدنيا ولهاثهم وراءها، ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾، والثانية، يحرفون الآخرين عن الطريق بأعمالهم، ﴿يَصُدُّونَ﴾، وفي الثالثة، يحرفون - وبكل قدرتهم - طريق الحقّ، ﴿يَبْغُونَهَا﴾.

مراحل الشكر

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٣].

- لشكر النعمة مراحل:

١. الشكر القلبي، وفيه يعتقد الإنسان أن كل النعم من الله تعالى.

٢. الشكر اللساني، كقول: ((الحمد لله)).

٣. الشكر العملي، وهو الذي يحصل بأداء العبادات وتسخير العمر والأموال في طريق رضى الله تعالى وخدمة الناس.

---

(١) المعارج: ٤٩.

(٢) إبراهيم: ٣.

(٣) إبراهيم: ٧.

البشارة بدولة المؤمنين العالمية

قال تعالى: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[(١)].

- لقد وعد القرآن الكريم مراراً بأن المؤمنين سيحكمون الأرض ويهلك أعداؤهم، وهنا نذكر ثلاثة موارد من ذلك:

١. في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[(٢)].

٢. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ أَنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾[(٣)].

٣. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[(٤)].

ولأنه لم يتحقّق هذا الوعد بشكله الواسع في ما سبق، فإنه سيتحقّق في زمان ظهور الإمام صاحب الزمان (عليه السلام) بشكل عملي.

تبريرات المجرم وملامة الشيطان

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٥)].

---

(١) إبراهيم: ١٤.

(٢) إبراهيم: ١٤.

(٣) الصافات: ١٧١ – ١٧٢.

(٤) الأنبياء: ١٠٥.

(٥) إبراهيم: ٢٢.

- يسعى المجرم جاهداً يوم القيامة كي يجد له شريكاً في الجرم، أو يُلقي بجرمه في أعناق الآخرين:

فأحيانًا يقول: أضلني رفيقي، ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾[١].

وأحيانًا يقول: أفسدنا القادة الفاسدون، ﴿لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[٢].

وأحيانًا يلوم الشيطان ويعدّه سبب ضلالته وانحرافه، ولكن الشيطان يقول: ﴿لا تَلُومُونِي﴾ أنا لم أفعل لكم شيئًا غير الوسوسة.

تبديل النعمة بالنقمة

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[٣].

- يبدّل الكفّار والمشركون النعم الإلهية الكبيرة بالكفر:

أ) فبدل نعمة التوحيد اختاروا الشرك.

ب) ضيّعوا نعمة الفطرة النقية، وراحوا يقلّدون السابقين المنحرفين.

ج) رجّحوا الخرافات على الوحي الإلهي.

د) وقفوا بوجه القادة الإلهيين وأطاعوا الطاغوت، ﴿بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾.

- وكثيراً ما جاء في الروايات قول الأئمة (عليهم السلام): ((نحن والله نعمة الله التي أنعمها على عباده))[٤]، ﴿بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾.

الأماني الحسنة والسيئة

قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٥].

---

(١) الفرقان: ٢٩.

(٢) سبأ: ٣١.

(٣) إبراهيم: ٢٨.

(٤) مجمع البيان، ج٦، ص٥٩.

(٥) الحجر: ٣.

- إن الإنسان يحيى بالأمل، ولو سُلب منه ذلك الأمل ليوم واحد لرفع يده عن كل سعي وعمل.

ولكن الأمل الذي كان موضع ذم الإسلام هو:

١. طول الأمل. ٢. الأمل أكثر من العمل. ٣. الأمل من دون عمل. ٤. الأمل الذي يُلهي الإنسان. ٥. تأمّل الخير من الطالحين.

الإسراف والتبذير

قال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾[١].

- ((التبذير)) مأخوذة من الأصل ((بَذر)) بمعنى الإسراف، كما لو أحضرت لضيفين طعام عشرة أشخاص.

- عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: ((من أنفق شيئًا في غير طاعة الله فهو مبذّر))[٢]، وقد أجاب الصادق (عليه السلام) عمن سأله: أيكون تبذير في الحلال؟ فقال (عليه السلام): نعم؛ ذلك إن من يُنفق ماله هكذا ولا يبقى له شيء فقد أسرف[٣].

- ورغم أن أكثر التبذير إنما يتحقّق في المسائل المالية، بيد أنه يكون أيضًا في النعم الأخرى، كهدر العمر والشباب، واستهلاك: الفكر، والعين، والأذن، واللسان، في الطريق غير الصحيح، كذلك أعطاء المسؤولية لغير الصالحين، وقبول المسؤولية مع عدم اللياقة لها أو القصور عن أدائها، وتعلّم المطالب غير الضرورية وغير المفيدة وتعليمها، وأمثال ذلك[٤].

---

(١) الإسراء: ٢٦ – ٢٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص ٣٠٢.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص١٥٦.

(٤) تفسير أطيب البيان.

آداب الكلام

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[١].

- لقد أمر القرآن الكريم بآداب الكلام مع الناس، ومنها:

١. ﴿قَوْلاً مَيْسُوراً﴾.

٢. ﴿قَوْلاً لَيِّنًا﴾[٢].

٣. ﴿قَوْلاً كَرِيمًا﴾[٣].

٤. ﴿قَوْلاً سَدِيداً﴾[٤].

٥. ﴿قَوْلاً مَعْرُوفًا﴾[٥].

٦. ﴿قَوْلاً بَلِيغًا﴾[٦].

الرزق في القرآن

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾[٧].

- لقد جاء الكلام في القرآن الكريم - بتوسع في آيات كثيرة - حول الرزق، نذكر بعضًا من نكات تلك الآيات:

---

(١) الإسراء: ٢٨.

(٢) طه: ٤٤.

(٣) الإسراء: ٢٣.

(٤) النساء: ٩.

(٥) النساء: ٨.

(٦) النساء: ٦٣.

(٧) الإسراء: ٣٠.

أ) رزق كل دابّة على الله تعالى، ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاَ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾[١].

ب) منبع الرزق في السماء، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾[٢].

ج) لو كان لكلّ الناس رزق كثير لانتشر الفساد في الأرض، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْاْ فِي الأَرْضِ﴾[٣].

د) على الناس أن يسعوا وراء رزقهم، ﴿فَابْتَغُواْ عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ﴾[٤].

هـ) التقوى من عوامل بسط الرزق، ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ...﴾[٥].

معصية قتل النفس

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾[٦].

- إن قتل النفس من الكبائر، فمن قتل نفسًا - في غير مورد القصاص - أو للفساد فكأنما قتل الناس جميعًا، كما قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٧]، وإن جزاء مثل هذا القتل الخلود في جهنّم، قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾[٨]، كذلك مثل هذا الجزاء ثابت لمن يهدّد الآخرين بالقتل أو يرفع السلاح بوجههم لغرض الفساد والمحاربة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ

---

(١) هود: ٦.

(٢) الذاريات: ٢٢.

(٣) الشورى: ٢٧.

(٤) العنكبوت: ١٧.

(٥) الطلاق: ٢.

(٦) الإسراء: ٣٣.

(٧) المائدة: ٣٢.

(٨) النساء: ٩٣.

فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

آداب المشي

قال تعالى: **﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيٍّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾**[٢].

- إن من جوانب جامعية الإسلام - فضلاً عن المسائل العقيدية، والعسكرية، والاقتصادية - القوانين التي تشمل الجزئيات، من قبيل آداب المشي خارج المنزل، ومن ذلك:

أ) **﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾**[٣].

ب) **﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾**.

ج) **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾**[٤].

د) وقد ذم القرآن قارون الذي كان يتكبّر في مشيته بين الناس، حيث أخبر عنه القرآن قائلا: **﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾**[٥].

إبليس في القرآن

قال تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾**[٦].

---

(١) المائدة: ٣٣.

(٢) الإسراء: ٣٧ - ٣٨.

(٣) لقمان: ١٩.

(٤) الفرقان: ٦٣.

(٥) القصص: ٧٩.

(٦) الإسراء: ٦١.

- سمات إبليس في القرآن:

١. إن إبليس من الجن، ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[١].

٢. له جنود، ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾[٢].

٣. له رجال راكبون وماشون، ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[٣].

٤. عدم سجوده كان على أساس قياسه بين التراب والنار، ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[٤].

- وقد أشار القرآن الكريم مراراً لمسألة سجود الملائكة وتمرّد إبليس.

فطرية معرفة الله

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً﴾[٥].

- إن أحد أدلة فطرية التوحيد هو أن الإنسان وفي خضم اليأس وفقدان الأمل بكل الوسائل المادّية ينقطع إلى نقطة غيبية فيطلب منها النجاة.

- فقد روي أن شخصاً منكراً لوجود الله سأل الإمام الصادق (عليه السلام) عن دليل لإثبات وجود الله، فسأله الإمام (عليه السلام): يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم، قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك ؟ قال: نعم، قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئًا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال الصادق (عليه السلام): فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث[٦].

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) الشعراء: ٩٥.

(٣) الإسراء: ٦٤.

(٤) الأعراف: ١٢.

(٥) الإسراء: ٦٧.

(٦) بحار الأنوار، ج٣، ص ٤١.

خصائص القرآن

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[١].

- إن خصائص القرآن الفريدة عبارة عن: الإعجاز، والتنوع والسهولة، والإخبار عن المستقبل، وهو يقص أفضل القصص، ويستخدم أفضل أسلوب للدعوة، وفيه بيان لكل شيء، ويبين الاحتياجات الشخصية والاجتماعية الدنيوية والأخروية في كلّ المناسبات والأزمنة.

قول: إن شاء الله

قال تعالى: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾[٢].

- إن قول ((إن شاء الله)) الذي ينم عن الاعتقاد بقدرة الله ومشيئته، محور كلام الأولياء الإلهيين، كما نقل في القرآن عن لسان الأنبياء، كقول النبي يوسف (عليه السلام) لأهله: ﴿ادْخُلُواْ مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[٣].

أو كقول النبي موسى (عليه السلام) للخضر: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً﴾[٤].

أو كقول شعيب لموسى (عليه السلام): ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٥].

أو قول إسماعيل لأبيه إبراهيم (عليه السلام): ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[٦].

---

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) الكهف: ٢٣ - ٢٤.

(٣) يوسف: ٩٩.

(٤) الكهف: ٦٩.

(٥) القصص: ٢٧.

(٦) الصافات: ١٠٢.

طبعًا ليس المراد من قول ((إن شاء الله))، و((أعوذ بالله))، وأمثال ذلك أن تكون لقلقة لسان فقط، بل يجب أن تكون عن اعتقاد الإنسان العقلي والقلبي بها وفي كلّ مناحي الحياة.

أنواع السجود

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا﴾[1].

- إن السجود على ثلاثة أنواع، هي:

١. سجود العبادة والتي تكون خاصة لله تعالى، كما في الصلاة.

٢. سجود الطاعة، مثل سجود الملائكة لآدم (عليه السلام) الذي كان امتثالاً لأمر الله سبحانه.

٣. سجود التحية، وهي لشكر الله تعالى مثلاً، كسجود يعقوب ليوسف.

آية جامعة كاملة

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2].

- لقد جاء في هذه الآية التوحيد، ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، والنبوّة، (يُوحَى إِلَيَّ﴾، والمعاد، ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾، والأمل برحمة الله، ﴿يَرْجُو﴾، والسعي لها، ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾، والإخلاص في العمل، ﴿لا يُشْرِكْ﴾.

ولذلك قال النبي (صلى الله عليه وآله): ((لو لم ينزل على أمتي إلا خاتمة سورة الكهف لكفتهم))[3].

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) الكهف: ١١٠.

(٣) تفسير الدر المنثور، ج٥، ص٤٧٥.

رمزية سجود الصلاة

قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[١].

- لقد عدّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أسرار السجود في الصلاة إشارة إلى هذه الآية حيث قال في جواب من سأله عن معنى السجود في الصلاة؟ فقال: ((... تأويلها: اللهم إنك منها خلقتني يعني من الأرض، ورفع رأسك: ومنها أخرجتنا، والسجدة الثانية: وإليها تعيدنا، ورفع رأسك من الثانية: ومنها تخرجنا تارةً أخرى...))[٢].

طلب الأنبياء (عليهم السلام) المغفرة

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٣].

- إن الأنبياء (عليهم السلام) كانوا قد طلبوا المغفرة من الله تعالى أيضًا:

النبي آدم (عليه السلام)، ﴿إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾[٤].

النبي نوح (عليه السلام)، ﴿إِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي﴾[٥].

النبي إبراهيم (عليه السلام)، ﴿أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾[٦].

النبي موسى (عليه السلام)، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾[٧].

النبي عيسى (عليه السلام)، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٨].

---

(١) طه: ٥٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٨٥، ص ١٣٢.

(٣) طه: ٨٢.

(٤) الأعراف: ٢٣.

(٥) هود: ٤٧.

(٦) الشعراء: ٨٢.

(٧) الأعراف: ١٥١.

(٨) المائدة: ١١٨.

النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، ﴿واسْتَغْفِرْهُ﴾[١].

مشاهد من يوم القيامة

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾[٢].

- لقد جاءت إشارة إجمالية لبعض مشاهد يوم القيامة:

أ) يُنفخ في الصور فيقوم الأموات من قبورهم، ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.

ب) حشر المجرمين، ﴿نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

ج) تتلاشى الجبال، ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾.

د) الكل ينصت لداعي الله، ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾.

هـ) لا تنفع الشفاعة إلا بإذن الله، ﴿لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾.

و) يحاسب الله تعالى الكلّ لعلمه بكل صغيرة وكبيرة، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ...﴾.

ز) الكل يسلّم للحكم الإلهي، ﴿عَنَتِ الْوُجُوهُ﴾.

ط) المؤمنون في راحة واطمئنان، ﴿لا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾[٣].

بعض خصائص الموت

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٤].

- لقد بُيِّنت بعض خصائص الموت في الآيات والروايات بهذا الشكل:

---

(١) النصر: ٤.

(٢) طه: ١١٢.

(٣) تفسير الأمثل، ج٨، ص١٩٩.

(٤) الأنبياء: ٣٤ - ٣٥.

١. إن الاستعداد للموت من علامات أولياء الله تعالى، (﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾[١].

٢. ((خُط الموتُ على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة))[٢].

٣. ليس الموت نهاية الطريق، بل هو بمنزلة انتقال من دار إلى أخرى، وإن الموت للمؤمن كنزع ثياب وارتداء أخرى، وفك قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطأ المراكب، وآنس المنازل، وهو للكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل عن منازل أنيسة، واستبدال أوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل وأعظم العذاب[٣].

٤. إن خوف الإنسان من الموت إما كخوف السائق الذي لا وقود معه، ((آه من قلّة الزاد وطول الطريق))[٤]، وإما كالمهرّب الذي يحمل مواد ممنوعة، (المذنب)، وإما كالسائق غير المستعد للسفر، وإلا فلِم الخوف منه؟.

الاستهلاك الهادف

قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥].

- متى ما طرح الإسلام مسألة الأكل طرح إلى جانبها وظيفة أخرى، من قبيل:

١. ﴿كُلُوا ... وَلَا تُسْرِفُوا﴾[٦].

٢. ﴿كُلُوا ... وَأَطْعِمُوا﴾[٧].

---

(١) الجمعة: ٦.

(٢) جاء هنا التشبيه على لسان الإمام الحسين (عليه السلام) في سفره إلى كربلاء.

(٣) بحار الأنوار، ج٦، ص ١٥٤.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة: ٧٧.

(٥) الحج: ٣٦.

(٦) الأعراف: ٣١.

(٧) الحج: ٣٦.

٣. ﴿كُلُواْ ... وَاعْمَلُواْ﴾[(١)].

٤. ﴿كُلُواْ ... وَاشْكُرُواْ﴾[(٢)].

مراحل التكامل المعنوي

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[(٣)].

- إنما يتحقّق التكامل المعنوي للإنسان في عِدّة مراحل جاء بيانها في هذه الآيات:

المرحلة الأولى: العلم والمعرفة التي تكون سبب الخشية، ﴿مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾.

المرحلة الثانية: الإيمان العميق والدائم بما عُرف، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

المرحلة الثالثة: النقاء من أنواع الشرك الخفي والظاهر، ﴿لا يُشْرِكُونَ﴾.

المرحلة الرابعة: الإنفاق مما أعطا الله تعالى، ﴿يُؤْتُونَ﴾.

المرحلة الخامسة: عدم الغرور بل مساءلة النفس بأن عملي ناقص أو مردود، أو بأن وظيفتي شيء آخر ولا أستطيع أن أجيب يوم القيامة، ﴿قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾.

بعض شروط الإدارة

قال تعالى: ﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[(٤)].

- ذُكرت في هذه الآية بعض شروط الإدارة، ومنها:

أ) معرفة قدرة الأشخاص وتكليفهم بالعمل على قدر وسعهم، ﴿وُسْعَهَا﴾.

---

(١) المؤمنون: ٥١.

(٢) سبأ: ١٥.

(٣) المؤمنون: ٦٠.

(٤) المؤمنون: ٦٢.

ب) الإشراف الدقيق على العمل والعمّال، ﴿كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾.

ج) العدالة في تنبيه العمّال أو تشجيعهم، ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

زينة الطغيان

قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١].

- الطغيان يختلف من فرد لآخر:

فطغيان العلماء في العلم، حيث يبرز بالتفاخر والتباهي بالعلم.

وطغيان الأغنياء في المال، ويبرز بالبخل.

وطغيان الصالحين في العمل الصالح، حيث يبرز بالرياء والسمعة وطلب الشُهرة.

وطغيان عبّاد الهوى ويبرز في اتّباع الشهوات[٢].

أسباب تأخير العذاب

قال تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَى أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾[٣].

- إن الله تعالى في هذه الآية يُسلّي نبيه الأكرم (ﷺ) بأنه قادر على عذاب الكافرين والمشركين، ولكنه سبحانه يؤخّر عنهم العذاب لأسباب منها:

أ) يُمهلهم علّهم يتوبون.

ب) يُتم عليهم الحجّة.

ج) يُخرج منهم نسلاً مؤمنًا في المستقبل.

د) وجود النبي (ﷺ) فيهم وهو سبب للرحمة والبركة الإلهية.

---

(١) المؤمنون: ٧٥.

(٢) تفسير روح البيان، ج١٨، ص٩٧.

(٣) المؤمنون: ٩٥.

الخاسرون

قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[١].

- لقد ذكرنا في ذيل الآية الأولى من هذه السورة مجموعة من المفلحين، ونذكر - هنا - في نهاية هذه السورة مجموعة من الخاسرين ب بالالتفات إلى جملة ((لا يُفلح)).

- الظالمون، ﴿لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢].
- المجرمون، ﴿لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٣].
- الساحرون، ﴿لا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾[٤].
- الكافرون، ﴿لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[٥].
- الكاذبون على الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾[٦].

فوائد اللسان وآفاته

قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[٧].

- إن اللسان هو العضو الوحيد من أعضاء الإنسان الذي لا يتعب ولا يكل عن الكلام وعلى امتداد عمر الإنسان، حجمه صغير ولكن جرمه وذنبه كبير، فكم

---

(١) المؤمنون: ١١٧.
(٢) الأنعام: ١٣٥.
(٣) يونس: ١٧.
(٤) يونس: ٧٧.
(٥) المؤمنون: ١١٧.
(٦) المؤمنون: ١١٧.
(٧) النور: ١٥.

من كافر بنطق جملة واحدة - الشهادتين - أصبح مسلمًا طاهراً، وكم من مسلم بنطق كلمة الكفر بالله أو إنكار ضرورة من ضروريات الدين صار كافراً نجسًا.

مع العلم أنه يمكن للّسان أن ينشر الصفاء والمحبّة بالصدق والذكر والدعاء والنصيحة، وهو من جانب آخر قادر على نفث السموم على هنا وذاك فينشر الكدورة والبغضاء.

إن اللسان مفتاح العقل، ومصباح العلم، وهو أيسر وسيلة لانتقال العلوم والتجارب وأرخصها.

أسباب النسيان والغفلة

قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾[١].

- إن بعض أسباب نسيان الإنسان وغفلته التي جاء ذكرها في القرآن الكريم هي:

أ) المال والثروة، والتي جاء ذكرها في هذه الآية.

ب) الأولاد والأهل، ﴿لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٢].

ج) التجارة، ﴿لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٣].

د) الشيطان، والتفرقة، والقمار والخمر، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٤].

---

(١) الفرقان: ١٧.

(٢) المنافقون: ٩.

(٣) النور: ٣٧.

(٤) المائدة: ٩١.

ترتيل القرآن

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾[١].

- روي أن النبي (ﷺ) قال: يا ابن عباس إذا قرأت القرآن فرتّله ترتيلا.

قال: وما الترتيل؟

قال: بيّنه تبييناً ولا تنثره نثر الدقل[٢]، ولا تهذّه هذّ الشعر[٣]، قفوا عند عجائبه وحرّكوا به القلوب، ولا يكونن هم أحدكم آخر السورة[٤].

وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن المراد من الترتيل رعاية موارد الوقف وأداء الحروف[٥].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: ((الترتيل أن تتمكث به وتحسن به صوتك، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فتعوّذ باللّه من النار، وإذا مررت بآية فيها ذكر الجنّة فاسأل اللّه الجنّة))[٦].

أسرار السعادة

قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٧].

---

(١) الفرقان: ٣٢.

(٢) الدقل: رديء التمر ويابسه وما ليس له اسم خاصّ فتراه ليبسه، ورداءته. (الوافي، ج٢، ص ٢٦٦).

(٣) الهذّ: سرعة القراءة، أي لا تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر ولا تفرّق كلماته بحيث لا يكاد يجتمع كنزّات الرّمل. (الوافي، ج٢، ص ٢٦٦).

(٤) تفسير مجمع البيان، ج٧، ص٢١٥.

(٥) تفسير كنز الدقائق، ج٩،ص٢٧٧. وتفسير منهج الصادقين.

(٦) تفسير الأمثل، ج٩، ص٢٠١.

(٧) الشعراء: ٨٣.

- تكمن أسرار سعادة الإنسان بعدّة جمل وهي التي جاءت في دعاء النبي إبراهيم (عليه السلام):

أ) معرفة الله تعالى، ﴿هَبْ لِي حُكْمًا﴾.

ب) الحضور في المجتمع الصالح، ﴿أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

ج) الذكر الحسن في التاريخ، ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾.

د) الوصول إلى الجنّة الأبدية، ﴿وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾.

امتيازات القرآن

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الامِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الاوَّلِينَ﴾[1].

- ينبغي علينا أن لا نستهين بالقرآن الكريم؛ لما يلي:

أ) منبعه وأصله: ربّ العالمين.

ب) واسطته: الروح الأمين.

ج) محطّه ومستودعه، قلب النبي (صلى الله عليه وآله): ﴿قَلْبِكَ﴾.

د) الهدف من إنزاله هو يقظة الناس، ﴿الْمُنذِرِينَ﴾.

هـ) لغته الفصيحة والبليغة، ﴿عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾.

و) جاءت بشارته في كتب الأولين، ﴿زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾.

موانع استجابة الدعاء

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الارْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

- أنى كان الدعاء غير مستجاب فهناك سبب لذلك، من مثل:

---

(١) الشعراء: ١٩٢- ١٩٦.

(٢) النمل: ٦٢.

١. لم يكن دعاؤنا لطلب الخير، ونحن ظننا أنه خير؛ ذلك أن الدعاء معناه طلب الخير.

٢. لم يكن أسلوب الطلب جدّيًا وبتضرّع.

٣. لم يكن دعاؤنا عن إخلاص، يعني أننا أقبلنا بالدعاء على الله ولكن عيوننا على الآخرين.

وبالطبع ربما أعطانا الله الحكيم استجابة لدعائنا شيئًا مشابهًا لما كنّا قد طلبنا، وتارةً بدل طلبنا - الذي لم تكن فيه مصلحة لنا كما يعلمه سبحانه - يدفع الله تعالى عنّا بلاءً من البلايا، وأحيانًا يعُطينا شيئًا في الآخرة بدل طلبنا الذي لم يُستجب في الدنيا، وأحيانًا بدل أن يستجيب لنا الدعاء يلطف بنسلنا، وجميع هذه الحالات وردت في الروايات.

وسائل الراحة

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

- لقد بيّن القرآن الكريم بعض الأمور وعدّها من وسائل الراحة، ومن تلك الأمور:

١. ذكر الله تعالى، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2].

٢. الإمداد الغيبي، ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

٣. الآثار والأشياء المقدّسة، ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4].

---

(١) النمل: ٨٦.

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) الفتح: ٤.

(٤) البقرة: ٢٤٨.

٤. ترغيب أولياء الله، ﴿إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[١].

٥. البيت، ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾[٢].

٦. الزوج، ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا﴾[٣].

٧. الليل، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا﴾[٤].

النعم مع المنّة

قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٥].

- رغم أن كل النعم التي يتنعّم بها الإنسان هي من الله سبحانه، والعباد مرهونون بالمنّة في كل نعمة، بيد أن الله تعالى عبّر في خصوص بعض النعم بالمنّة، وذلك إنما ينم عن أهمّيتها الفائقة، ومن تلك النعم:

أ) نعمة الإسلام، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾[٦].

ب) نعمة النبوّة، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً﴾[٧].

ج) نعمة الهداية، قال عزّ وجل: ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ﴾[٨].

د) نعمة الحكومة الإلهية، قال سبحانه: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ...﴾[٩].

---

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢) النحل: ٨٠.

(٣) الروم: ٢١.

(٤) النمل: ٨٦.

(٥) القصص: ٥.

(٦) النساء: ٩٤.

(٧) آل عمران: ١٦٤.

(٨) الحجرات: ١٧.

(٩) القصص: ٥.

العدوّ المعنوي

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١].

- يمكن أن يُعدّ للإنسان ثلاثة أعداء معنويين: الأول هو زينة الدنيا، الثاني هو هوى النفس، والثالث هو وسوسة الشيطان.

كما ويمكن تمثيل الدنيا وزينتها بمفتاحٍ إذا تحرّك باتجاه ما ينفتح الباب وأما إذا تحرّك بالاتجاه الآخر فإن الباب سيُغلق، يعني: يمكن الاستفادة من الدنيا بشكل حسن، كما يمكن الانتفاع منها في طريق الفساد.

كذلك وسوسة الشيطان - رغم أن لها جانبًا من الإبداع - فهي لا تجبر الإنسان على فعل المعصية، فضلاً عن أن الشيطان ليس له طريق أو نفوذ إلى قلوب أولياء الله تعالى.

ولكن العدو الآخر - هوى النفس - هو من أكثر الأمور التي تدفع الإنسان إلى اقتراف الذنب كما إنه يُعدّ أخطر عدو للإنسان[٢].

أسئلة يوم القيامة

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٣].

سؤال: لمّا كنّا نقرأ في كثير من آيات القرآن الكريم أن سؤال يوم القيامة سيكون لكل الناس ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[٤].

---

(١) القصص: ٥٠.

(٢) تفسير أطيب البيان.

(٣) القصص: ٧٨.

(٤) الأعراف: ٦.

وعن كل شيء ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١).

وعن كل الأحوال ﴿إِنْ تُبْدُواْ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾(٢).

وعن كل مكان ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾(٣).

إذن كيف جاء في هذه الآية قوله تعالى: ﴿... وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾؟.

الجواب: إن الآيات الدالة على السؤال هي الآيات المرتبطة بيوم القيامة نفسه، ولكن الآية الأخيرة إشارة إلى زمان نزول الغضب الإلهي في الدنيا، حيث لا إمهال هناك للسؤال والجواب.

أنواع الطاعة

قال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٤).

- عندنا في القرآن ثلاثة أنواع للطاعة:

١ . الطاعة المطلقة لله تعالى، قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٥).

---

(١) النحل: ٩٣.

(٢) البقرة: ٢٨٤.

(٣) لقمان: ١٦.

(٤) لقمان: ١٥.

(٥) النساء: ٥٩.

٢. عدم الطاعة المطلقة للكافرين، والمنافقين، والمفسدين، والمذنبين، والظالمين، و...، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[١]، وقال: ﴿لَا تُطِعْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿لَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣].

٣. الطاعة المشروطة للوالدين، يعني إذا أمروا بما هو مفيد أو مباح فمن اللازم الطاعة، ولكن إذا سعوا في ضلال الابن ودعوته إلى غير الله فينبغي أن لا يُطاعا.

الباعث على السؤال

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[٤].

- إن البواعث على السؤال متعدّدة:

١. فأحيانًا يكون الباعث هو الاختبار، كأسئلة الامتحان.

٢. وأحيانًا يكون الباعث قصد الاستهزاء، كسؤال القوي المتكبر الإنسان الضعيف.

٣. وأحيانًا أخرى يكون الباعث التعجّب، كسؤال الجبان الشجاع[٥].

٤. وأحيانًا يكون الباعث الجر إلى طريق مسدود لغرض الاعتراف، كسؤال المحقّق المجرم.

٥. وأحيانًا يكون الباعث الانحراف، كسؤال الأستاذ المنحرف التلميذ.

٦. واحيانًا يكون الباعث إيجاد الشك عند الآخرين، كسؤال المنحرفين.

٧. وأحيانًا يكون الباعث رفع القلق، كسؤال الأم ولدها.

٨. وأحيانًا أخرى يكون الباعث العلم، كسؤال الجاهل العالم.

---

(١) الأحزاب: ١.

(٢) الإنسان: ٢٤.

(٣) ص: ٢٦.

(٤) الأحزاب: ٦٣.

(٥) تعجّبا من شجاعته اللافتة للنظر. (الناشر).

٩. وأحيانًا يكون الباعث هو التوبيخ، كسؤال المعلّم عن سبب كسل التلميذ.

الطيرة والفأل السيّئ

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

إن الطيرة من الاعتقادات التي كانت سائدة في العصور القديمة، وفي الوقت الراهن أيضًا لها وجود في الشرق والغرب، وإن كل منطقة وقوم لهم طيرة بشيء من الأشياء، وقد عدّ الإسلام ذلك من الشرك، وقد خط على مثل هذه الاعتقادات بخط البطلان بما جاء من النهي عنها، كما في قوله (صلى الله عليه وآله) ((الطيرة شرك))[٢]، كما إنه حثّ الناس على الاعتماد على الله تعالى بدلاً من ذلك، وتوجد كفارة للطيرة، فقد جاء عن المعصوم (عليه السلام) قوله: ((كفّارة الطيرة التوكل))[٣].

- وإن للطيرة آثارًا سيّئة، منها:

سوء الظن بالآخرين، وركود الأعمال، والإيحاء بالخسارة والإحساس بالحقارة.

وإن أسوأ أنواعها هو الطيرة من مقدّسات أولياء الله تعالى.

صفات القرآن في آية واحدة

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٤].

- لقد رُسمت صفات القرآن في هذه الآية:

أ) مكتوب المتن، ﴿كِتَابٌ﴾.

---

(١) يس: ١٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٥، ص ٣٢٢.

(٣) الكافي، ج٨، ص ١٩٨.

(٤) ص: ٢٩.

ب) أصله الوحي والعلم الإلهي غير المتناهي، ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾.

ج) مُتلقيه شخص معصوم، ﴿إِلَيْكَ﴾.

د) محتواه مليء بالبركة، ﴿مُبَارَكٌ﴾.

هـ) الهدف من نزوله هو التدبّر فيه، ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾.

و) العلم بنكاته ومعارفه مقدّمة الحركة المعنوية والقرب من الله تعالى، ﴿لِيَتَذَكَّرَ﴾.

ز) من يكون عنده هذا التوفيق هم أولو الألباب، ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

الحكومة المثاليّة

قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[1].

- يُشير الله تعالى في هذه الآيات إلى الألطاف التي أنعم بها على النبي سليمان (عليه السلام)، التي كان من جملتها تسخير الرياح، والانتفاع من قوى الجن، ولجم القوى المخرّبة، وتفويض الاختيار، ومقام القرب الإلهي، والخاتمة الحسنة.

إن هذه النعم جُزء صغير من الحكومة النموذجية التي كان قد طلبها النبي سليمان (عليه السلام).

نعم، إن الحكومة المثالية يجب أن تكون هكذا:

١. في أمان من القوى المخربة، ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾.

٢. تحل مشكلة الاتصالات والحمل والنقل السريعين، ﴿سَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ بِأَمْرِهِ﴾.

٣. الاستفادة من التخصّصات المختلفة، ﴿بَنَّاء وَغَوَّاصٍ﴾.

٤. لها قدرة الإرادة، ﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾.

---

(١) ص: ٣٦ - ٤٠.

٥. مبسوطة اليد، ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

٦. مؤمّنة في مستقبلها المعنوي، ﴿عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

الأحسن، وابتغاء الأحسن

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[١].

- لقد تمّت جميع أعمال الله تعالى على أحسن وجه، وبأفضل أسلوب:

- خلق كل شيء على أحسن وجه، ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[٢]، ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٣]، (في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٤].

- قصصه أحسن القصص، ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[٥].

- حكمه أحسن الأحكام، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا﴾[٦].

وقد أمرنا أن يكون عملنا على أحسن وجه:

- ففي اتّباع الكلام، قال سبحانه: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[٧].

- وفي القول، قال تعالى: ﴿يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٨].

- وفي دفع السوء، قال سبحانه: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[٩].

- وفي ردّ السلام، قال عزّ من قائل: ﴿فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾[١٠].

---

(١) الزمر: ٥٥.

(٢) السجدة: ٧.

(٣) المؤمنون: ١٤.

(٤) التين: ٤.

(٥) يوسف: ٣.

(٦) المائدة: ٥٠.

(٧) الزمر: ١٨.

(٨) الإسراء: ٥٣.

(٩) فصّلت: ٣٤.

(١٠) النساء: ٨٤.

- وفي كيفية التعامل مع مال اليتيم، قال (عزّ وجل): ﴿لا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١].

- وفي الجدال، قال سبحانه: ﴿جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢].

موجبات المغفرة في القرآن

قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٣].

- لقد بُيّنت في القرآن موجبات عديدة للمغفرة، من جملتها:

١. الإيمان، فقد حكى القرآن قول الذين قالوا: ﴿آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا﴾[٤].

٢. التقوى، قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُواْ اللّهَ... يَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٥].

٣. متابعة الأنبياء (عليهم السلام)، قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي... يَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٦].

٤. العفو عن الناس، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ... أَن يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ﴾[٧].

٥. إقراض الله تعالى والناس، قال تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُواْ اللّهَ... يَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٨].

٦. الجهاد، قال تعالى: ﴿تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ... يَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٩].

---

(١) الإسراء: ٣٤.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) غافر: ٣.

(٤) طه: ٧٣.

(٥) الأنفال: ٢٩.

(٦) آل عمران: ٣١.

(٧) النور: ٢٢.

(٨) التغابن: ١٧.

(٩) الصف: ١١ - ١٢.

٧. العبادة، قال تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ... يَغْفِرْ لَكُمْ﴾[١].

٨. اجتناب المعاصي، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[٢].

٩. دعاء الإنسان واستغفاره وإنابته، جاء في القرآن حكاية على لسان موسى (عليه السلام): ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي... فَغَفَرَ لَهُ﴾[٣].

١٠. دعاء أولياء الله للإنسان، قال تعالى حكاية عن أخوة يوسف (عليه السلام): ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا...﴾[٤].

الإسلام والفرح

قال تعالى: ﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[٥].

- الإسلام دين الفطرة، وهو لا يخالف الفرح والسرور الذي هو رغبة فطرية وغريزية لدى الإنسان، وما ذمه الإسلام إنما هو الفرح غير المبرَر والذي بيّنه القرآن في موارد من آياته الكريمة، ومن جملة ذلك:

١. الفرح بالقعود عن الجهاد، قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ﴾[٦].

٢. الفرح بالدنيا ونسيان الآخرة، قال تعالى: ﴿فَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٧].

---

(١) نوح: ٣ - ٤.

(٢) النساء: ٣١.

(٣) القصص: ١٦.

(٤) يوسف: ٩٧.

(٥) غافر: ٧٥.

(٦) التوبة: ٨١.

(٧) الرعد: ٢٦.

٣. الفرح بالثروة، فقد قيل لقارون على ما حكاه الله سبحانه: ﴿لا تَفْرَحْ﴾[(١)].

٤. الفرح لوقوع المؤمنين في البلاء، قال تعالى حكاية عن حال الكافرين: ﴿إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ فَرِحُواْ بِهَا﴾[(٢)].

٥. الفرح والغرور بالعلم، قال تعالى: ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾[(٣)].

وأما إذا كان الفرح على أساس الحقّ واللطف الإلهي وخدمة الناس والوصول إلى الكمالات المعنوية فهو ممدوح ولا إشكال فيه، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[(٤)].

معنى الإضلال الإلهي

قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾[(٥)].

- رغم أن بعض الآيات القرآنية كانت قد نسبت الإضلال إلى الله تعالى، لكن هناك آيات أخرى كانت قد فسّرت معنى ذلك الإضلال، فهي تقول:

١. ﴿يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾[(٦)].

٢. ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾[(٧)].

٣. ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾[(٨)].

---

(١) القصص: ٧٦.

(٢) آل عمران: ١٢٠.

(٣) غافر: ٨٣.

(٤) يونس: ٥٨.

(٥) الشورى: ٤٤.

(٦) غافر: ٣٤.

(٧) البقرة: ٢٦.

(٨) إبراهيم: ٢٧.

٤. ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾[١].

وبعبارة أخرى: لا يضل الله الناس ابتداءً بل جزاءً، فعندنا ضلال جزائي، حيث إن الله تعالى يسوق المسرفين والفاسقين والظالمين والكافرين إلى وادي الضلال جزاءً لهم بما كانوا يعملون.

مراحل تسلّط الشيطان

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٢].

- إن سياسة الشيطان هي سياسة الخطوة تلو الخطوة، ﴿خَطَوَاتِ﴾[٣].
- المرحلة الأولى هي: إلقاء الوسوسة، ﴿وَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾[٤].
- المرحلة الثانية هي: المسّ، ﴿مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾[٥].
- المرحلة الثالثة هي: النفوذ في القلب، ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[٦].
- المرحلة الرابعة هي: البقاء في الروح، ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٧].
- المرحلة الخامسة هي: جعل الإنسان المسلط عليه عضواً في حزبه، ﴿حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾[٨].
- المرحلة السادسة هي: يصير الشيطان وليه، ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾[٩].

---

(١) غافر: ٧٤.

(٢) الزخرف: ٣٦ - ٣٧.

(٣) البقرة: ١٦٨.

(٤) طه: ١٢٠.

(٥) الأعراف: ٢٠١.

(٦) الناس: ٥.

(٧) الزخرف: ٣٦.

(٨) المجادلة: ١٩.

(٩) الإنسان: ١١٩.

-المرحلة السابعة هي: أن يصير الإنسان نفسه شيطانا، ﴿**شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ**﴾[(١)].

قال الإمام علي (عليه السلام) في كيفية قعود الشيطان في أرواح المؤمنين: ((فباض وفرّخ في صدورهم))[(٢)].

آثار الإعراض عن ذكر الله تعالى

- إن آثار الإعراض عن ذكر الله هي:

١. الصدّ عن سبيل الخير، ﴿**لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ**﴾.

٢. الانحراف الفكري والظن أنه من المهتدين، ﴿**يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾.

٣. عدم قبول الموعظة، ﴿**وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ**﴾[(٣)].

٤. لا يتوب لأنه يرى نفسه من المهتدين وعندها لا حاجة له للتوبة.

٥. له معيشة صعبة، ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾[(٤)].

٦. من كان في الدنيا أعمى عن الحقّ ((يعشُ)) فإنه في الآخرة أعمى أيضًا، (**مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى**﴾[(٥)].

القرآن وأعضاء بدن النبي (صلى الله عليه وآله)

قال تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[(٦)].

---

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٧.

(٣) الصافات: ١٣.

(٤) طه: ١٢٤.

(٥) الإسراء: ٧٢.

(٦) الدخان: ٥٨.

- إن تربية الله تعالى للنبي (ﷺ) والاهتمام به بلغت حدّ ذكر بعض أعضاء بدنه الشريف في القرآن:

١. الوجه، في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾[1].

٢. العينان، في قوله تعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾[2].

٣. اللسان، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾[3].

٤. الظهر، في قوله تعالى: ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾[4].

٥. اليد، في قوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾[5].

٦. العنق، في قوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾[6].

٧. الفؤاد، في قوله تعالى: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[7].

٨. الصدر، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[8].

٩. القلب، في قوله تعالى: ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[9].

عبادة الهوى

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[10].

---

(١) البقرة: ١٤٤.

(٢) الحجر: ٨٨.

(٣) مريم: ٩٧.

(٤) الانشراح: ٣.

(٥) الإسراء: ٢٩.

(٦) الإسراء: ٢٩.

(٧) الفرقان: ٣٢.

(٨) الانشراح: ١.

(٩) الشعراء: ١٩٤.

(١٠) الجاثية: ٢٣.

- إن هوى النفس يُعطّل وسائل المعرفة عن العمل، فعندما تهوى النفس لن ترى العين الحقيقة، ولن تسمع الأذن صوت الحقّ، ولن يُدرك القلب إدراكًا صحيحًا.

- إنّ سبب عبادة الهوى هو الميل إلى الماديّات، كما جاء في القرآن: ﴿**أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾[1].

- وجاء عن المعصوم (عليه السلام) قوله: ((الهوى أسّ الفتنة))[2]، وقوله: ((إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع))[3].

- والهوى مانع عن العدالة، قال تعالى: ﴿... **فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا**...﴾[4].

- وهو سبب الانحراف عن الله تعالى، قال سبحانه: ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[5].

- وهو سبب سقوط الإنسان، قال تعالى: ﴿**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى**﴾[6].

ونقرأ في هذه الآية أن عبادة الهوى سبب للختم على السمع والقلب ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ... وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ**﴾.

فلسفة الجهاد

قال تعالى: ﴿**فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾[7].

---

(١) الأعراف: ١٧٦.

(٢) غرر الحكم، ص٥٦

(٣) الكافي، ج١، ص ٥٤.

(٤) النساء: ١٣٥.

(٥) ص: ٢٦.

(٦) طه: ١٦.

(٧) محمد: ٤.

- إن فلسفة الجهاد في الإسلام عِدّة أمور:

أ) الدفاع عن النفس وعن المظلومين، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾[١]، وقال أيضًا: ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾[٢].

ب) دفع الفساد والفتنة، قال سبحانه: ﴿قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[٣].

ج) حفظ مراكز التوحيد، قال عزّ وجل: ﴿... لَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ...﴾[٤].

د) الدفاع عن الأحكام والحدود الإلهية، قال تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ...﴾[٥].

عِدّةُ أمور مرتبطة بعِدّةِ أمورٍ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٦].

- لقد ربط الله تعالى بعض الأمور ببعضٍ فصارت الأولى لازمة للثانية:

١. ذكر الذاكر بذكره تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٧].

٢. النُصرة بنصر الله تعالى ﴿إِنْ تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾.

٣. البركة والزيادة في الرزق ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٨].

---

(١) الحج: ٣٩.

(٢) التوبة: ٣٦.

(٣) البقرة: ١٩٣.

(٤) الحج: ٤٠.

(٥) التوبة: ٢٩.

(٦) محمد: ٧.

(٧) البقرة: ١٥٢.

(٨) إبراهيم: ٧.

٤. وفاء الله بعهده بوفائنا بعهده سبحانه[١] ﴿أَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[٢].

استغفار الأنبياء (عليهم السلام)

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[٣].

- لقد جاءت هذه الجملة ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ في سورة غافر الآية ٥٥ أيضًا، وبالالتفات إلى أن جميع الأنبياء (عليهم السلام) معصومون وأنقياء من المعصية يتبيّن أن هذا الاستغفار لعِدّة أمور:

أ) إن الاستغفار عبادة بحدّ ذاته حتى لو لم يكن هناك أي ذنب أو معصية.

ب) كان ذلك الاستغفار لترك الأولى، يعني لم يكن ما فعله الأنبياء ذنبًا يستحقّون العقوبة عليه فاستغفروا له، بل كان عملهم تركًا لما هو أفضل.

ج) ليكون الاستغفار من الذنب منهجًا وأسلوبًا يتعلّمه الناس فيعملون به.

د) الاستغفار سبب لعلو درجات الأنبياء (عليهم السلام).

هـ) الاستغفار لذنوب الناس التي ارتكبت بحقّ الأنبياء (عليهم السلام).

و) ليس الاستغفار من التقصير دائمًا، بل أحيانًا يكون من القصور، فعندما يرى العبد عزّة الله تعالى وعظمته ويرى ذلة نفسه وحقارتها أمام تلك العظمة فإنه يستغفر الله ويطلب العفو منه[٤].

---

(١) تفسير كشف الأسرار.

(٢) البقرة: ٤٠.

(٣) محمد: ١٩.

(٤) انظر: تفاسير: مجمع البيان، ج٩، ص١٣١، الفخر الرازي، ج٢٨، ص٥٤، الميزان، ج١٨، ص٢٤١.

مراحل التربية

قال تعالى: ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[١].

- ينبغي - في التربية - طي بعض المراحل:

أ) تنبيه المخاطب، ﴿هَا أَنتُمْ﴾.

ب) الدعوة، ﴿تُدْعَوْنَ﴾.

ج) الاستدلال، ﴿مَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾.

د) التكرار والقطع، ﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾.

هـ) إتمام الحجّة والتهديد، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ...﴾.

أسباب وضوح الهداية

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[٢].

- لا مكان للإبهام في نظام الهداية الإلهية، بل كله بيّن ومبيّن، ومن ذلك:

١. رسوله، ﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾[٣].

٢. قرآنه، ﴿قُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[٤].

٣. اللغة، ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[٥].

---

(١) محمد: ٣٨.

(٢) الفتح: ١.

(٣) الدخان: ١٣.

(٤) الحجر: ١.

(٥) النحل: ١٠٣.

٤. تنبيهاته أيضًا من دون إبهام، ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[(١)].

٥. وحتى حربه وصلحه بيّنان أيضًا، ﴿فَتْحًا مُبِينًا﴾.

إذن من يخالف أمام هذا الوضوح والشفافية، يكون ضلاله في غاية الوضوح أيضًا، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا﴾[(٢)].

علاقات المؤمن الفردية والاجتماعية

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الانجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[(٣)].

- لقد رُسّم في هذه الآية أسلوب علاقات المؤمن وصلاته: علاقاته بالكفّار ((أشدّاء))، بأقرانه ((رُحماء))، بالله تعالى ((ركّعًا سجّدا))، بنفسه ((يبتغون)).

عصمة الأنبياء المطلقة

قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[(٤)].

- إن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) معصوم من كلّ الجهات:

١. في الفكر والعمل، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾.

٢. في اللسان والقول، ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾.

---

(١) الأعراف: ١٨٤.

(٢) الأحزاب: ٢٦.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) النجم: ١٦ - ١٨.

٣. في العلم، ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾.
٤. في القلب والفؤاد، ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾.
٥. في العين والبصر، ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾.

الكبائر

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الاثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الارْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[١].

- لقد بيّن الإمام الرضا (عليه السلام) الكبائر في حديثٍ له حيث قال: ((... وهي قتل النفس التي حرم الله (عزّ وجل)، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلمًا، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به من غير ضرورة، وأكل الربا بعد البيّنة، والسحت، والميسر وهو القمار، والبخس في المكيال والميزان، وقذف المحصنات، واللواط، وشهادة الزور، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله تعالى، والقنوط من رحمة الله تعالى، ومعونة الظالمين والركون إليهم، واليمين الغموس، وحبس الحقوق من غير عسر، والكذب، والكبر، والإسراف، والتبذير، والخيانة، والاستخفاف بالحج، والمحاربة لأولياء الله، والاشتغال بالمناهي، والإصرار على الذنوب))[٢].

آداب البيان

قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٣].

---

(١) النجم: ٣٢.
(٢) تفسير كنز الدقائق، ج١٢، ص٤٩٥.
(٣) الرحمن: ٤.

- إن قدرة البيان والكلام هديّة إلهية تفضّل بها الله تعالى على الإنسان، وقد بيّن القرآن بعض الآداب لتلك الفضيلة الإلهية، ومن جملة ذلك:

١. أن يكون مُستَدَلاً عليه ومحكمًا، ﴿قَوْلاً سَدِيداً﴾[١].

٢. أن يكون مقبولاً معروفًا، ﴿قَوْلاً مَعْرُوفًا﴾[٢].

٣. أن يكون ليّنا، ﴿قَوْلاً لَيِّنًا﴾[٣].

٤. أن يكون واضحًا وبليغا، ﴿قَوْلاً بَلِيغًا﴾[٤].

٥. أن يكون كريما، ﴿قَوْلاً كَرِيمًا﴾[٥].

٦. أن يكون حسنا، ﴿قُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٦].

٧. أن يكون أحسن، ﴿يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٧].

وحتى المجادلات والانتقادات يجب أن تكون بأفضل أسلوب وعلى أحسن وجه، قال تعالى تعليمًا لنبيه (ﷺ): ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٨].

أنواع التجارة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ

---

(١) النساء: ٩.

(٢) البقرة: ٢٣٥.

(٣) طه: ٤٤.

(٤) النساء: ٦٣.

(٥) الإسراء: ٢٣.

(٦) البقرة: ٨٣.

(٧) الإسراء: ٥٣.

(٨) النحل: ١٢٥.

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

- احتمالات التجارة:

١. التجارة البائسة، ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾[2].

٢. تجارة من دون ربح، ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾[3].

٣. تجارة قليلة الربح، ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[4].

٤. التجارة الخاسرة، ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾[5].

٥. التجارة شديدة الخسارة، ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[6].

٦. التجارة المُخزية، ﴿الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[7].

٧. التجارة الراكدة، ﴿تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾[8].

٨. التجارة المستمرّة، ﴿تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[9].

٩. التجارة المُنجية، ﴿تِجَارَةٍ تُنجِيكُم﴾[10].

١٠. التجارة المُربحة، ((تجارة مُربحة يسَّرها لهم ربّهم))[11].

---

(١) الصف: ١٠ - ١٢.

(٢) البقرة: ٩٠.

(٣) بقرة: ١٦.

(٤) النساء: ٧٧.

(٥) الزمر: ١٥.

(٦) العصر: ٢.

(٧) الحج: ١١.

(٨) التوبة: ٤٢.

(٩) فاطر: ٢٩.

(١٠) الصف: ١٠.

(١١) مقطع من خطبة المتقين لأمير المؤمنين علي عليه السلام. (نهج البلاغة: ج ٢ ص ١٦ خطبة المتقين، رقم الخطبة: ١٩٣).

العالِم بلا عمل

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١).

- لقد طُرح في هذه الآية تمثيل منبّه وشديد للعلماء غير العاملين، والأنبياء وأهل البيت (عليهم السلام) من جانبهم قد مثّلوا لذلك كثيراً أيضًا، ونحن نشير لجانب من ذلك:

١. ((مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج يضئ للناس ويحرق نفسه))(٢).

٢. ((مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه))(٣).

٣. مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا تشرب ولا تترك الماء يخلص إلى الزرع(٤).

٤. مثل علماء السوء... مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن(٥).

٥. و مثل علماء السوء... مثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى(٦).

أنواع الأسر

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٧).

---

(١) الجمعة: ٥.

(٢) ميزان الحكمة: ج ٤ ص ٢٨٤١ ح ٣٦٢٨ ، باب (مثل العالم بلا عمل).

(٣) ميزان الحكمة: ج ٤ ص ٢٨٤٢ ح ٣٦٢٩ ، باب (مثل العالم الذي لا يحدث بعلمه).

(٤) المحجة البيضاء، ج١، ص ١٣٠.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) التحريم: ١١.

١. المرأة والرجل اللذان أفكارهما وأعمالهما في طريق الخير، كالإمام علي والزهراء (عليهما السلام) اللذين جاء ذكرهما ومدحهما في عدّة آيات من سورة الدهر فذكرت تصدّقهما بطعامهما لثلاثة أيام عند الإفطار على المسكين واليتيم والأسير، ﴿يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾[(١)].

٢. من كان هو وزوجه خبيثين فكراً وعملًا، (كأبي لهب وزوجه)، ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ... حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[(٢)]، فرغم أن أبا لهبٍ كان عمّ النبي (صلى الله عليه وآله) إلا أنه وزوجته كانا يؤذيان النبي بجمع الحطب وحرقه في طريقه (صلى الله عليه وآله).

٣. وأما الأسرة التي يكون فيها الرجل صالحًا ولكن المرأة سيّئة فمثلها امرأتا لوط ونوح، ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾[(٣)].

٤. وأما الأسرة التي يكون فيها الرجل سيّئًا ولكن المرأة صالحة فمثلها فرعون وامرأته ﴿امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ﴾[(٤)].

الإصابة بالعين

قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[(٥)].

قال النبي (صلى الله عليه وآله): ((إن العين حقّ وإنها تُدخل الجمل والثور التنّور))[(٦)].

لا يلزم أن يكون الإصابة بالعين من العدو، فأحيانًا يصيب صديق من خلال تعجّبٍ صديقًا له من كمال ما؛ ولذا جاء في الحديث عن أبي عبد الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: ((لو نبش لكم من القبور رأيتم أن أكثر موتاكم بالعين؛ لان العين حقّ ألا

---

(١) الإنسان: ٨.

(٢) المسد: ١ – ٣.

(٣) التحريم: ١٠.

(٤) التحريم: ١١.

(٥) القلم: ٥١ - ٥٢.

(٦) بحار الأنوار، ج ص ١٧ ح ٣.

إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: العين حقّ فمن أعجبه من أخيه شئ فليذكر الله في ذلك، فإنه إذا ذكر الله لم يضرّه))[١].

هنا وليس معنى ((أن العين حقّ)) هو أن نُسيء الظن بالآخرين ونتهمهم بالحسد، أو نُعلّق تقصيرنا على أنا أُصبنا بحسد الآخرين لنا، فمثلاً نحن لا نُراعي نظافة الأطفال وتغذيتهم وبمجرّد أن يمرضوا نقول: لقد أُصيبوا بعين.

وقد جاء في الروايات أيضًا أن الصدقة، والدعاء، وقراءة سورة الناس والفلق، وأمثال ذلك يمكن لها أن تمنع تأثير الإصابة بالعين.

عناية الله تعالى بالنبي (صلى الله عليه وآله)

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[٢].

لقد جاء في هذه السورة خمس جمل خطابًا لشخص النبي (صلى الله عليه وآله) ولخمس مرّات؛ ذلك لأنه فضلا عن ضمير الكاف في ((أعطيناك)) فقد جاء الخطاب في ((صَلِّ))، و ((لربّك))، وفي عبارة ((وانحر))، و((شانئك))، فتكون هكذا: ((أعطيناك، فصلّ، لربّك، انحر، شانئك)).

وقد جاء في القرآن الكريم ولأكثر من ٢٤٠ مرّة قول البارئ تعالى لنبيه الأكرم ((ربّك)) مع أنه تعالى ربّ كل الوجود ﴿رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٣]، وربّ كلّ الناس ﴿رَبِّ النَّاسِ﴾[٤]، ولكن استخدمت - ومن بين كلّ الألفاظ - كلمة ((ربّك))، وهنا إنما يدل على أن لله تعالى عناية خاصة بنبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله).

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٥، ص ١٢٧.

(٢) الكوثر: ١.

(٣) الأنعام: ١٦٤.

(٤) الناس: ١.

كما نشاهد أنموذجًا آخر لهذه العناية في ألفاظ أخرى من قبيل ذكر الله سبحانه لأسماء أعضاء النبي (ﷺ) في القرآن، كما في: ﴿وَجْهَكَ﴾[١]، و: ﴿لِسَانَكَ﴾[٢]، و: ﴿عَيْنَيْكَ﴾[٣]، و: ﴿عُنُقِكَ﴾[٤]، و: ﴿يَدَكَ﴾[٥]، و: ﴿صَدْرِكَ﴾[٦]، و: ﴿ظَهْرَكَ﴾[٧].

(والحمد لله ربّ العالمين)

---

(١) البقرة: ١٤٤.

(٢) القيامة: ١٦.

(٣) الحجر: ٨٨.

(٤) الإسراء: ٢٩.

(٥) الإسراء: ٢٩.

(٦) الأعراف: ٢.

(٧) الشرح: ٣.